في تاريخ الأدب العربي

(الحلقة السادسة)

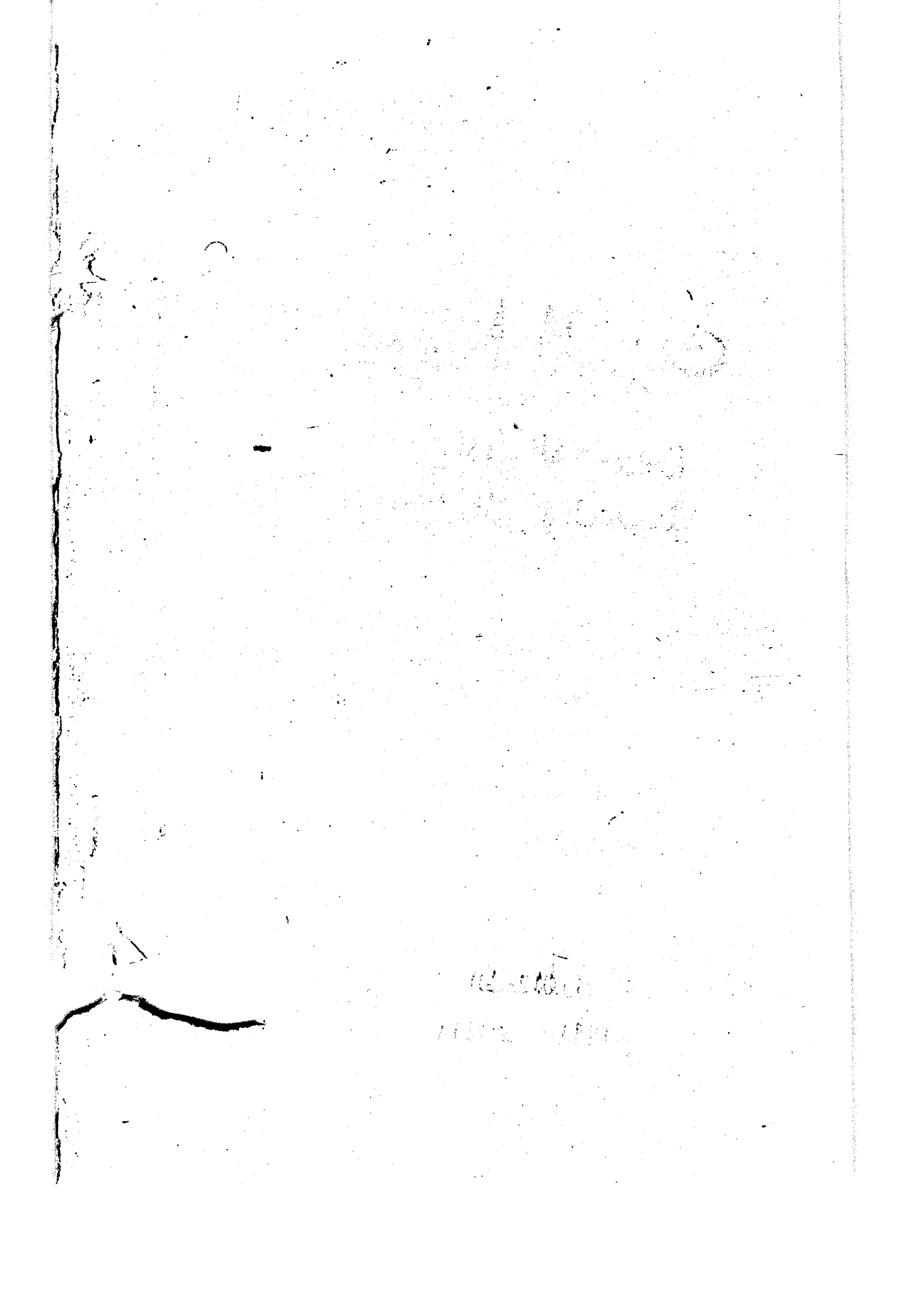
أوسط الحديث

فى أدب العصرين العثمانى والحديث

بقلم الدكتور

محمد عبد المنعم العربى

أستاذ الأدب والنقد فى جامعة الأزهر



دعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنى أسألك فَهْمَ النبيين ،
وحفظ المرسلين ،
وإلهامَ ملائكتِكَ المقربين .
اللهم أكرِمْنى بنور الفهْم ،
وأخرِجْنى من ظلمات الوَهْم ،
وافتحْ لى أبوابَ فهمِك ،
وأبوابَ رحْمتِك ،
يا أرحم الراحمين (١)

---

(١) هذا الدعاء مما حفظته من فم أستاذى المرحوم الشيخ (عبد الحميد محمد أبى سالم) الذى سيأتى ذكره فى صفحة الإهداء .

الإهداء

إلى والدىَّ الكريمين : تقديراً وشكرا لجميلهما ، وإشادةً بما صبرا وجاهدا فى سبيل تعليمى وإخوتى ، وما خصَّانى به من اختيار للدراسة فى الأزهر الشريف على بُعْدِ الشُقة وطولِ مدة الدراسة .

وإلى أساتذتى الأجلاء الذين كان لهم أبلغ الأثر فى توجهاتى العلمية والأدبية وأخص بالذكر منهم :

الأستاذَ الشيخ (عبدَ الحميد سالم) واعظ(بنى سويف) الرائدَ البليغ ، أوّلَ من حبّبَ إلينا الدين والعلم بأسلوبه الرائع الفريد ، ونشاطه العجيب فى الدعوة إلى الله ، ومَنْ دخلتُ الأزهر أملاً فى أن أكون مثله يومًا مّا .

والأستاذَ الشيخ (محموداً سويلماً) الواعظَ العالمَ الأديب الذى حضرتُ عليه دروسَ التفسير والسيرة النبوية المنتظمة ([1])على مدى عامين قبل دخولى الأزهر ، فمهّد لى بذلك طريق دراستى الأزهرية أحسن تمهيد .

والأستاذَ الشيخ (محمداً أبا عامرٍ السِّباعىّ) الواعظَ الورع([2]) والفقيه اللوذعىّ الجرىء فى الحق الذى كان خيرَ قدوة لمريديه ، والذى زوّدنى عند دخولى (معهد القاهرة الأزهرى) ببعضِ الكتب العلمية ، وبنصائحِهِ الغالية القيّمة .

([1]) فى مسجد (السيدة حورية) بمدينة بنى سويف .

([2]) نقل بعد ذلك للتدريس فى معهد القراءات إبانْ إنشائه .

والأستاذ (أحمدَ بالغ حسنين حلاوة) أستاذ اللغة العربية الضليع بثانوية بني سويف (1) الذى تلقّى بدايات قرضى الشعر وأنا طالب صغير بالتشجيع العظيم والتوجيه الحكيم ، وَحَسْبُهُ كرما وحسبى شرفا أنه أهدانى حينئذ (ديوان البحترىّ) ليصقل موهبتى ويكون إماما لى فى مسيرتى الشعرية .

والأستاذ الشيخ (حسينَ سامى بدوى) دُرَّةَ أساتذة المعاهد الأزهرية علما وأدبا وغيرةً على الإسلام والأزهر الذى شرفتُ بتدريسه لى قبيل وفاته (2) رحمة الله والذى وجهنى وإخوانى أروعَ توجيهٍ علمى وأدبى وإصلاحى ، وحسْبنا أننا عرفنا بفضله كتاب (الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى) واقتنيناه فى هذه السن المبكرة ، وأنَّ آثارَ توجيهه الصالح مازالت باقيةً فينا حتى اليوم .

والأستاذ الشيخ (محمداً إبراهيم بازيد) أحد مدرسينا المثاليين (بمعهد القاهرة الأزهرى) فى علمه وخلقه وإخلاصه النادر ، والذى مافتئ يناقشنا ويدرِّبنا بأساليبه السهلة الجميلة فحبَّب إلينا العلم ، وخلقتْ مناقشاتُهُ ومحاوراتُه منا رجالا يرجى منهم الخير لدينهم وأمتهم ، مع تواضعه الجم ، وخُلُقِهِ الرضىّ .

إلى أرواح هؤلاء جميعا وأرواح أمثالهم من شيوخى الصالحين الذين يضيق المقام عن ذكر أسمائهم أهدى كتابى هذا - وهو جُهْدُ المُقِلّ - اعترافا بفضلهم علىَّ - بعد فضل الله تعالى - وتنويهًا بذكراهم العطرة ودعاءً لهم بالرحمة والمغفرة ، رضى الله عنهم وأرضاهم ، وجزاهم عنى أكرم الجزاء .

(المؤلف)

---

(1) كان إذ ذاك مدرسا لشقيقى الأكبر (محمود) وصار بعد ذلك موجها عاما للغة العربية بوزارة التربية والتعليم وهو من نوابغ خريجى (دار العلوم) إذ كان السابع على دفعته عام ١٩٢٧م بينما كان أول هذه الدفعة الأستاذ الشيخ(حسن البنا) رحمهما الله .

(2) توفى رحمه الله عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣) م بعد سن الأربعين بقليل .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمدا يوافي نِعَمَهُ ، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على بني الإنسانية ، وهادي البشرية (محمدِ بنِ عبد الله بنِ عبد المطلب) ، مَنْ تسببت رسالته الخاتمة في نهضة العلوم والآداب ، ونشوء المدنيات وازدهار الحضارات على كوكبنا الأرضي ، فأضاءتْ ما بين المشرقين، وأسعدتْ الثقلين ولن تزال كذلك إلى يوم الدين .

مكانة الأدب الحديث و عوامل رواجه بوجه عام

(وبعد) فإن (الأدب في العصر الحديث) بحر زاخر ، ومحيط هادر ، نبغ فيه على مدى قرنين من الزمان (تقريبا) منذ بدئه بولاية (محمد على الكبير) إلى وقتنا الحاضر ، آلاف الأدباء من كُتّابٍ وشعراءَ ومفتنين في شتى جوانب الأدب الأخرى من خطباءَ وصحافيين ، وقصصيين ومسرحيين ، على اختلاف مدارسهم الأدبية وتعدد أقطارهم العربية ، وبيئاتهم الإنسانية .

وقد ساعد على رواج نتاجهم الأدبي ونشاطهم الإبداعي ، تقدم وسائل النشر التي امتاز بها عصرنا الحديث من طباعة وصحافة ، وإذاعة مسموعة ، وإذاعة مرئية ، فذاع الأدب وانتشر ، ووصل إلى الأفراد والجماعات في كل مكان في زمن يسير ووقت قريب ، وعم نفعه وسهل تحصيله وحفظه ، ولهذا ولغيره من العوامل التي سيأتي تفصيلها إن شاء الله ، بلغ الأدب في العصر الحديث شأوا عظيما من النهضة والرفعة والتقدم ، واحتل مكانة كبيرة ، تسمو به وتقترب من أزهى مكانةٍ بلغها الأدب العربي في العصور السابقة ، فيبارى الأدبُ الحديثُ آدابَ العصور القديمة الزاهرة (كالعصر العباسي)

ن ميزاته في الفنون التقليدية والعامة ، ويتميز عليها ، بما دَخَلَهُ من فنونٍ مستحدثة من أثر احتكاكه بالآداب الأوربية والثقافات الأجنبية – كفنونِ التمثيل والمسرح الشِّعريِّ والنَّثريِّ ، وبعض فنون القصة .

مدى أهميته

ومن أجل ذلك فهو أدب واسع خصب ، جدير بالبحث الدائب والدراسة العميقة ، حقيق بالسياحة في فنونه المتشعبة ، وموضوعاته الشائقة البارعة ، لمعرفة أسرار هذه النهضة الكبرى ، والوقوف على جوانبها المتنوعة ، وظواهرها المتعددة ، والتعرف على روادها وزعمائها ، والمسهمين في بناء صرحها الشامخ ، وبنائها المكين .

ولعل مما يلفت النظر أن تأتي هذه النهضة الأدبية في العصر الحديث بعد عصر وصف من النقاد بأنه عصر ضعف أدبي ، وهو (العصر العثماني) فلابد إذن قبل الدخول إلى ميدان العصر الحديث – من وقفة نلتفت فيها إلى الوراء ، لنلم – ولو إلمامة سريعة – (بالعصر العثماني) لمعرفة نواحي هذا الضعف الذي أصابه ، وظواهره ، وتقدير مداه ، مُوَازِنًا – بوجه عام – بما سبقه مباشرة وهو (العصر المملوكي) ثم بما تلاه وهو (العصر الحديث) .

وهذه دراسة متواضعة ، أرجو أن أتناول فيها أدب العصرين (العثماني والحديث) بموضوعية وإنصاف ، وآمل أن تكون سبيلا إلى أخذ فكرة واضحة عنهما ، ترتكز على التاريخ الصحيح ، والمنطق السليم والبحث الدقيق ، وعلى توخي الحقائق لذاتها ، بعيدا عن الأهواء المضلة والأغراض المخلة ، مع الإيناس والإمتاع بعرض النماذج والأمثلة من إبداعات العصرين .

وكما نوهتُ آنفا فإن العصر الحديث هـو صـاحب النصيـب الأكبر من هذه الدراسة ، والعصر العثمانى هو صـاحب الكفـل الأصغر ، ولعلى فـى طبعـة أخـرى إن شـاء اللـه ، أتمكـن مـن توفية (العصر العثمانى ، حقه ، لتتكافأ الكفتان ، ويتحقق العدل فى الدراسة بين العصرين ، وبالله تعالى التوفيـق وهـو الهـادى إلى أقوم طريق ،

د / محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم (العربى)

الزقازيق : شوال ١٤١٨ هـ

فبراير ١٩٩٨ م

أَوَّلاً

العصر العثمانى فى الأدب العربى

إلى		من
١٢٢٠ هـ	-	٩٢٣ هـ
١٨٠٥ م	-	١٥١٧ م

تمهيد

الدولة العثمانية : أصلها ومراحل تاريخها

أ – أصل العثمانيين :

ينسب (العثمانيون) إلى جدهم الأكبر (عثمان) وهم قبيلة كبيرة من الأتراك المسلمين الذين هاجروا من بلاد (التركستان) وما جولها فى وسط وشرق (أسيا) إلى الغرب من هذه القارة ، حيث نزلوا فى جزء من هضبة (الأناضول) الواقعة بين البحرين (الأسود) و(الأبيض المتوسط) ، واستقروا بها بمعونة أبناء عمومتهم من الأتراك السلاجقة [1] الذين كانت هذه البلاد تحت نفوذهم وهى البلاد التى كانت معروفة قبل ذلك (بأرض الرُّوم) [2] ، وتم ذلك النزوح والاستقرار (فى أواخر العصر العباسى) ، وكوَّن العثمانيون هناك دولة صغيرة أخذت تكبر شيئا فشيئا وكان العثمانيون فى أول أمرهم أشبه(بالقبائل البدوية)، فهم يعتمدون فى حياتهم على (الرَّعْى) والتنقل وليس لهم حضارة ، وكان من صفاتهم البارزة الفروسية فهم محاربون أشداء ، لكنهم بعد توطنهم فى هذا الجزء من العالم تحضَّروا وكونوا دولة صار لها فى التاريخ الإنسانى شأن عظيم •

---

(1) الذين كانوا يحكمون العالم الإسلامى نيابة عن الخلافة فى العصر العباسى الثانى •

(2) وهى امتداد أسيوى للدولة الرومانية الشرقية فى أوربا وكانت بعد أن هزم المسلمون الروم فى الشام ومصر والشمال الإفريقى – شوكة فى جنب الدولة الإسلامية ما فتئ الروم يشنون منها الغارات على بلاد المسلمين حتى أخضعها السلاجقة ومن بعدهم العثمانيون ودخل أهلها جميعا فى الإسلام وصارت بلادا إسلامية وهى مقر دولة (تركيا) اليوم •

ب – المراحل التى مرت بها الدولة العثمانية

وقد مرت الدولة العثمانية على مدى يزيد على ستة قرون بأربعة مراحل هى :

١– **مرحلة الدولة الصغيرة** التى أقاموها على جزء من بلاد الروم فى الأناضول وهى مرحلة كفاح فى سبيل البقاء ، ومكابدة من أجل إثبات الوجود والنماء .

٢– **مرحلة الدولة الكبيرة** عند توسعوا غربا حتى استولوا على الأناضول كله إلى سواحل البحرين الأسود والأبيض المتوسط ، ثم عبروا مضيقى (البسفور) و (الدردنيل) إلى أوربا الشرقية فافتتحوا (القسطنطينية) عاصمة الروم العتيدة على يد سلطانهم العظيم (محمد الفاتح) عام ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م واتخذوها عاصمة لهم وسموها (إسلام بول) أى بلد الإسلام وجعلوا منها منطلقا لغزواتهم الموفقة المظفرة لنشر الإسلام فى قلب القارة الأوربية ، فأزالوا الدولة الرومانية الشرقية من الوجود ، واستولوا على البلاد التى كانت تابعة لها فى شبه جزيرة البلقان من اليونان إلى بلغاريا إلى رومانيا والمجر والصرب ومازالوا يتوسعون حتى وصلوا إلى حدود (روسيا) شمالا واشتبكوا معها فى حروب طاحنة فازوا بالنصر فى أغلبها وإلى (فيينا) عاصمة النمسا غربا وأصبح فى هذه البلاد جاليات إسلامية ، وفى مدنها مساجد عظيمة شيدها سلاطين الترك العثمانيون الغزاة الشجعان المنتصرون [1] ، فكونوا بذلك دولة كبرى فى الغرب والشمال من العالم الإسلامى ، وعوضوا بما فتحوه من بلاد أوربا الشرقية ، ما فقدة المسلمون من بلاد

---

[1] ومازالت هذه المساجد بمآذنها الشامخة باقية حتى اليوم .

(الأندلس) فى أوربا الغربية ، وصاروا قوة إسلامية يحسب لها العالم أعظم حساب .

(التمهيد للإمبراطورية)

وكان يجاور الدولة العثمانية الكبرى الفنية من الشرق ومن الجنوب دولتان إسلاميتان كبريان أيضا هما: ١- (الدولة الصَّفَوِيَّة) من جهة الشرق ومقرها إيران والعراق وخراسان ، وعاصمتها (تبريز) وهى دولة (شيعية) وسميت بذلك نسبة إلى مؤسسها (الشاه إسماعيل الصَّفَوىّ) ٢- و(دولة المماليك فى مصر والشام وتوابعهما من جهة الجنوب)وهى دولة (سنية) ، احتضنت الخلافة العباسية – بعد سقوط (بغداد) على يد التتار – وورثت حضارتها ، وصارت مقرا للعلوم والآداب لاسيما وفيها الأزهر الشريف وبكل ذلك أصبحت زعيمة للعالم العربى وعاصمتها (القاهرة) زينة العواصم ، ومأوى العلماء والفضلاء والصالحين والأولياء ، وكانت العلاقات طيبة بين الدولة العثمانية (السُّنية) وبين كل من جاريتها (الصفوية) و (المملوكية) ، ولكن الحال – من أسف ، لم يدم على ذلك ، إذ دب الخلاف أولا بين الدولتين العثمانية والصفوية لأسباب كان يمكن احتواؤها بشئ من التسامح من الطرفين ، فعزم السلطان العثمانى (سليم الأول) حفيد (محمد الفاتح)* على غزو الدولة الصفوية فى إيران وبدأ فى ذلك ، ولما تعاطفت (دولة المماليك) مع الصفويين ، غضب سليم وقرر غزوها كذلك فى الشام ومصر بعد أن يفرغ من حربه فى بلاد العجم .

وكان هذا القرار من (سليم) متسرعا وغير صائب لأنه أوقف جهاد الترك فى الغرب فى الميدان الأوربى المهمّ والأولى وولى وجوه جيوشه الجرارة نحو الشرق لمحاربة إخوانه المسلمين ، وهو ما يأباه الإسلام ، وهذا يدل على جبروته وطغيانه ، وعدم أخذه بما يقتضيه العقل والدين ، ولا نُحمِّلُ (سليما) وحده وِزْر هذه الحرب وتبعاتها ، ولكن نُشْرِكُ

* الذى مرّ ذكره فى الصفحة السابقة .

معه (إسماعيل الصفوى) شاه العجم الذى لم يأخذ الأمور بالحكمة الواجبة ، ويعمل على تجنب الحرب مع العثمانيين بالطرق السلمية ، بل وسّع دائرة الخلاف ، وتحدى (سليماً) وهذا يدل على مشاركته إياه فى صفات القسوة والطغيان والانقياد للغضب الأعمى كما لا نُعفى السلطان (الغورى) سلطان الدولة المملوكية من أوزار هذه الحرب وما تلاها ، فلم يكن حكيما حسن السياسة إذ لم يسع فى الصلح بين الدولتين الشقيقتين ، كما أنه لم يقف على الحياد بينهما – وهو أضعف الإيمان – بل انحاز للصفويين فأحنق بذلك العثمانيين عليه ، واضرم نار العداوة فى صدورهم ، وحملهم على غزو بلاده وقامت الحرب بين الدولتين العثمانية والصفوية فى شراسة وضراوة ، وتمكن (سليم) من هزيمة الصفويين وإضعاف قوتهم لكنه لم يقض عليهم تماما لقوة شكيمتهم واتساع بلادهم فاكتفى بتأديبهم وشفاء ما فى نفسة من غضب على ملكهم (إسماعيل الصفوى) وولى وجهه نحو الشام فى طريقة لحرب دولة المماليك فى مصر وسلطانها (قانصوه الغورى) – وتقدم الغورى بجيوش مصر لملاقاة سليم فى الشام ، وفى موقعة (مرج دابق) [١] التاريخية الحاسمة بين الجيشين المصرى والعثمانى (وكان المتوقع انتصار الجيش المصرى لكفاءته العالية وإمكاناته الضخمة ولأن الجيش العثمانى كان منهكا من الحرب فى بلاد العجم)– لعبت الخيانة دورها القبيح الحقير فى جيش (الغورى) فانحاز بعض أمرائه من ضعاف النفوس الحاقدين على سلطانهم الغورى من أمثال الخائن (خيربك) انحازوا فى اللحظة – الحاسمة إلى جيش سليم فلحقت الهزيمة بالمصريين وانتصر جيش سليم وقتل السلطان الغورى وتهيأ سليم لدخول مصر وزحف إليها حتى دخل القاهرة بعد أن تمكن من القضاء

([١]) مكان فسيح قرب (حلب) ، وكان من سوء سياسة الغورى الذهاب إليه لبعده الشديد عن مصر

على آخر محاولة لصده من نائب الغورى وخليفته البطل الشهيد (طومانباى) الذى أبلى بلاء حسنا فى مواجهة سليم على أرض مصر ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ، وقتل سليم (طومان باى) وبهذه الخاتمة المأساوية أنهى السلطان العثمانى (دولة المماليك) فى مصر والشام والتوابع الأخرى وضمها إلى الدولة العثمانية كولايات تابعة ، وإمارات ضعيفة خاملة بعد عزٍّ باذخ ، وتاريخ حافل .

وكانت القوى الإسلامية الثلاث (المملوكية) و (الصفوية) (والعثمانية) تكوّن توازنا مطلوبا فى العالم الإسلامى ، ويسند بعضها بعضا فى مواجهة أعداء الإسلام الخارجيين ، فأخلّ (سليم) بهذا التوازن بحربيه هاتين ، وخسر حليفين قويين ، وأضاف إلى دولته أعباء جديدة ثقيلة ، وحَرَم أقطارا إسلامية من حريتها واستقلالها كانت عظيمة مزدهرة ، وَعَطَّلَ إسهامها فى حركة العلم والحضارة والتقدم فى شتى الميادين .

٣- (مرحلة الخلافة والامبراطورية العظمى) :

وبعد أن تم للسلطان (سليم الأول) العثمانى القضاء على الدولتين(الصفوية المملوكية)وضم بلادهما إلى دولته ، أصبح أقوى حاكم فى العالم الإسلامى ، وتوحدت تحت رايته معظم البلاد الإسلامية ، وكان سليم إلى جانب شدته وغلظته داهية ماكرا فطمع فى نقل (الخلافة الإسلامية ، إلى (آل عثمان) ليضمن بذلك ولاء جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لدولتهم ، وليكون بيدهم هذا الرباطُ الروحىُّ القوىُّ الموروث عن نبىِّ الإسلام(محمد عليه الصلاة والسلام)، فانتهز فرصة وجود (الخليفة العباسى) بمصر [والذى كانت الدولة المملوكية قد رحبت بحضور أسلافه (بعد نكبة بغداد) إلى القاهرة ، وأسكنتهم فى القلعة ، وكانت تستظل بمكانتهم الدينية ، وتستمدّ من وجودهم معها نخوة معنويّة لها ، وتفويضا شرعيا لسلاطينها بالحكم] انتهز (سليم)وجود هذا الخليفة فى القاهرة ،

وتقرب منه وأقنعه بالسفر معه إلى (اسلامبول) عند عودته إليها ، وهناك استكتبه تنازلا عن الخلافة لسلاطين (بنى عثمان) ، وأشهد عليه القضاة والعلماء ، والقادة والأمراء ، وكتب بذلك إلى الآفاق وإلى كل أنحاء العالم الإسلامى ، فانتقلت بذلك الخلافة الإسلامية من (العباسيين) إلى (العثمانيين) رسميا وفعلياً ، ولم ينازعهم فى هذا الأمر أحد على مدى (أربعة قرون) – حتى تمَّ إلغاء الخلافة فجأة عام ١٩٢٤ م على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى •

وبعد هذه الخطوة الكبيرة الجريئة ، واكتمال توحد العالم الإسلامى تحت راية الخلافة العثمانية فى عهد (سليم الأول) وخلفائه ، واستئنافهم الجهادَ والغزوَ لنشر الإسلام وتثبيته فى الساحةِ الأوربية •

أصبحت الدولة العثمانية أو الدولة (العَلِيَّة) امبراطورية عظمى فى العصور الوسطى والحديثة بما اكتمل لها من أسباب القوة الحربية والسياسية والروحية ، وبما شملته من ممالك واسعة ، وأقطار شاسعة وأصبحت عاصمتها (إسلامبول) أو (الآستانة) من أعظم عواصم الدنيا ، واصبح الخليفة العثمانى أو (البابُ العالى) من أهم وأكبر حكام الأرض •

٤- (مرحلة الضعف والانحسار حتى الاضمحلال) :

من الحقائق التاريخية الملموسة أن الدول بعد مرحلة شبابها واكتمال قوتها ، تتعرض مع الزمن لأن تشيخ كما يشيخ الأفراد، فتتطرق إليها عوامل الضعف والفناء ، بيد أن شيخوخة الأفراد أمر طبعى محتم ، أما شيخوخة الدول فتأتى نتيجة عوامل سلبية لا تزال تنخر فى بنائها حتى تأتى عليه من القواعد ، ولو تجنبتها هذه الدول لنجت من هذا المصير المؤلم، ولبقيت على قوتها وعنفوانها إلى ما شاء الله •

← ومن أهم هذه(العوامل الهدامة للدول بوجه عام): الاستبداد من أولى الأمر وطرحهم العمل بمبدأ (الشورى) القويم ،

وظلم الرعية وإهمال مصالح الأمة ، وأنانية الحكام وتناحرهم على السلطة ، وإخلادهم إلى الترف والرفاهية واللهو واللعب والملذات الدنيوية ، ونسيانهم الله والآخرة ، وتركهم الدين والشريعة .

مع تطاول الزمن بدولتهم ، فبدأ مجدها الشامخ في الانحسار ، وأخذ الضعف يتسرب إليها بعد قوة وشكيمة ، وآل أمرها إلى الزوال ، وجرت عليها سنة الله في السابقين ، وحقت عليها كلمته في الأولين والأخرين " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (١) .

عوامل أخرى (خارجية) عصفت بالدولة العثمانية :

أضف إلى ذلك عوامل خارجية عجلت بالنهاية تتلخص في تكتل الدول الأوربية شرقيها وغربيها ضد الدولة العثمانية ، وتآمرهم على تدميرها ، وتكالبهم عليها بشن الحروب المتواصلة ، وبخاصة بعدما أحرزت هذه الدول جانبا كبيرا من التقدم الصناعيّ والحربيّ ، وَدَسِّ الدسائس وإشعالِ الفتن بين شعوبها المتعددة ، وقصِّ أجنحتها بالعدوان على بعض ولاياتها وأقطارها البعيدة ، بالاستيلاء عليها ، وفصلها عن الدولة الأم واستعمارها كما حدث في الحملة الفرنسية الغادرة على (مصر) عام ١٧٩٨ م والهجمةِ الفرنسية الغاشمة على (الجزائر) عام ١٨٣٠ م وبعدها على (تونس) و (مراكش) ، والعدوان الإنجليزيّ الآثم على(مصر) واحتلالها عام ١٩٨٢م .. إلى آخر هذا المسلسل الاستعماري (الاستخرابي) اللعين .

---

(١) سورة الرعد آية /١١ .

السبب المباشر لزوال الدولة العثمانية :

ومازال الحال فى هذه الدولة يتحول من سَيِّئٍ إلى أَسْوَأ – والدول الأوربية (على الرغم من ذلك كله) تهاب دولة الخلافة العثمانية وترهبها وتترقب الفرصة للانقضاض الحاسم عليها ، حتى جاءت هذه الفرصة فى أعقاب(الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨ م) التى اشتركت فيها الدولة العثمانية متحالفة مع (ألمانيا) ضد الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا)، ومن أسف انهزمت ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية، وانتصر الحلفاء بعد أربعة أعوام من حربٍ ضروس تشيب لهولها الولدان ، ووقعت الواقعة واحتلت جيوشُ الحلفاء (ألمانيا) و (تركيا) وتوابعَ الدولة العثمانية فى الدول العربية •

أما (ألمانيا) فاستسلمت إلى حين ، وأما الدولة العثمانية فقاومت الاحتلال ، وقامت الحرب فورًا لتحرير(تركيا)قلبِ الدولة العثمانية وطردِ الغاصبين من أراضيها وهبَّ قادتها الشجعانُ يطاردون جيوش الإنجليز والفرنسيين واليونانيين ، ويحرِّرون البلاد منهم ببقايا جيوش الخلافة العثمانية وتحت رايتها الإسلامية وصمدوا لذلك لمدة ستة أعوام ([1]) من ١٩١٨ م – ١٩٢٤ م ونجحوا فى إلحاق الهزيمة بقوات الحلفاء وحَرَّروا معظمَ البلاد التى احْتُلت وكاد النصر الكامل أن يتم فى جو من فرحة العالم الإسلامى ودهشة الحلفاء ، إلا أنها فرحة لم تتم •

إذْ لجأ الحلفاء الأوربيون إلى حيلة ماكرة خبيثة أحبطوا بها هذا النصر وحولوه عن مساره المرسوم والمتوقع ، بهدف إخماد روح الجهاد فى تركيا وإبعادها عن الإسلام – فهى بالإسلام لا تقهر كما رأوا بأعينهم ، وبيَّتوا للإجهاز على الدولة

([1]) من عام ١٩١٨ م إلى عام ١٩٢٤ م

العثمانية وهى فى أدق وأصعب مواقفها ، فإما حياةٌ وإمَّا موت، وبقاؤها على قيْد الحياة خطرٌ عليهم ، وهى التى دوَّخت جيوشُها(أوربا)لخمسة قرون مضت .

فبحثوا عن خائن من قادة الجيش ليقوم بهذه المهمة نيابة عنهم لقاء الحكم والمال وكل مغريات الدنيا ، فوجدوه فى شخص (مصطفى كمال أتاتورك) أبرز قادة الجيش المنتصرين والمحبوبين من الرعية لذلك وغاب عن تلك الرعية المسكينة أن جَدَّه لأمه كان يهوديا ، وأنه هو نفسة كان من المتعاطين للخمور .

تفاوض قادة الحلفاء مع (أتاتورك) هذا سِرًّا ، وتعهدوا له بجلاء جيوش الحلفاء عن باقى البلاد التركية فوْرًا ، وأن يتولى هو حكم البلاد بعد تحويلها إلى(جمهورية)، وكان شرطهم الأساسى هو : (إلغاء الخلافة الإسلامية) وقطْعُ كلِّ صلةٍ لتركيا بالإسلام ، وتحويلها إلى دولة عَلمانية (لا دينية) على النهج الأوربىّ ، وبالتالى قطعُ صلاتِ تركيا بالعالم الإسلامى الذى كان تابعا للخلافة .

وَقَبِلَ الخائن الشروط ، وفاجأ الشعبَ التركىَّ والأمةَ الإسلامية بقراره الأثيم عام(١٣٤٢ هـ ١٩٢٤ م)بإلغاء الخلافة، وطرد العثمانيين ، وإبطالِ كلِّ القوانين الإسلامية ، وجَلا الحلفاءُ عن تركيا ، وأمسك (أتاتورك) بزمام الحكم ، وصنَعَ للبلاد قوانينَ يُكرِّسُ بها لنِظامِهِ الجديد الأسْوَد (١) ، فرضها على الشعب التركى المسلم بالحديد والنار ، ومنها : فَرْضُ (السُّفُورِ) على المرأة التركية وتحريمُ لبس الحجاب - فرْضُ الزى الأوربى على الناس ، وتحريمُ لبس (العِمامة) حتى على

(١) دام هذا النظام حتى الأن ثلاثا وسبعين سنة بسبب دعم دول الغرب له ولكن الشعب التركى المسلم أعلن رفضه لهذا النظام الغريب عليه ونادى بالعودة لأحكام الإسلام وسينتصر بإذن الله .

العلماء، ومبالغةً فى ذلك حَرَّمَ لُبْسَ (الطاقية البيضاء) ، وأعدم بعض العلماء الذين تمسكوا بعمائمهم فعلا للإرهاب - تحريم (الأذان) باللغةِ العربيةِ وجعله باللغة التركية ، - استبدال الحروف العربية - التى كانت تكتب بها اللغة التركية - بالحروف اللاتينية (الإفرنجية) فقطع بذلك حاضر الأمة العلمى والثقافى عن ماضيها إلى غير أولئك من القوانين الطائشة المجحفة .

ونَفَّذ الحِزبُ (الكمالى) الملحِد تلك القوانين بكل شدة وعنف ، وجعلوا لها فى دستورهم الجديد قداسة حتى تظل إلى الأبد جاثمة على صدر الأمة التركية التى استنكرت تلك المؤامرة الدينية بكل طوائفها ، ولكنها قُمِعَتْ بالقتل والحبس والنفْى ، وسكتَ الناس مكرهين ، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان ، ومارسوا شعائر الدين الحنيف فى المساجد والبيوت حتى يأذن الله بالفرج والخلاص .

■ وبهذا الحدث الخطير الذى كان له وَقْعُ الصَّاعِقَةِ فى العالَم الإسلامىّ ، ورَنَّة الأسَى واللوْعَة فى نفوس المسلمين أجمعين طُوِيَتْ صفحةُ الخِلافةِ الإسلاميةِ والدولةِ العثمانية ، بَعْدَ أمجادٍ باذخَةٍ ، وتاريخٍ حَافِلٍ طويلٍ ، ورَثَى الشعراءُ فى العَالَمَيْنِ العربىّ والإسلامىِ (الخلافةَ) التى كانت رَمْزًا خالدًا لقوةِ المسلمين ، وسلْكًا متينا لوحْدَتِهِمْ ، وَمَظْهرًا مَهِيبًا لائتلافهِمْ واجْتماع كلمتهِمْ ، وكانَ من أفضل ما قيل فى ذلك قصيدةُ أميرِ الشُعراءِ (أَحْمَدَ شوْقى) رحمهُ اللهُ وهذه هى : [*]

---

[*] ديوان الشوقيات جـ١ ص١٠٦ مطبعة مصر .

رثاء الخلافة الإسلامية

لأحمد شوقي

عادتْ أغانِى العُرْسِ رجْعَ نُواحِ
ونُعيتِ بينَ معالِمِ الأفراحِ (١)
كُفِّنْتِ فِى ليْلِ الزّفافِ بثوْبِهِ
ودُفِنْتِ عندَ تبلُّجِ الإصباحِ (٢)
شُيّعتِ مِنْ هلَعٍ بِعَبْرَةِ ضاحِكٍ
فِى كلِّ ناحيةٍ وَسَكْرَةِ صَاحِ (٣)
ضَجَّتْ عليْكِ مآذِنٌ ومنابِرٌ
وبكَتْ عليْكِ ممالِكٌ ونَواحِ
(الْهِنْدُ) والهةٌ و(مِصْرُ) حزينةٌ
تبكِى عليكِ بِمَدْمَعٍ سَحّاحِ (٤)
و(الشّامُ) تَسْأَلُ و(العِراقُ) و(فارِسٌ)
أمَحَا مِنَ الأرْضِ الخلافةَ ماحِ ؟!
وأتتْ لكِ الجُمَعُ الجَلائِلُ مأْتَمًا
فقعدْنَ فِيهِ مقاعِدَ الأنواحِ (٥)

- ٧

---

(١) الاغانى جمع اغنية وهى ما يترنم به ويتغنى من شعر ونحوه ، الرَّجْعُ مايردُّ [الصَّدى] فى المكان الخالى على الانسان اذا رفع صوته ، المعالم جمع معلم وهو موضع الشئ الذى يظن فيه وجوده .

(٢) تبلج الاصباح اشراقه وانارته .

(٣) الهلع الجزع الشديد . العبرة الدمعة قبل أن تفيض وقيل هى تحلب الدمع .

(٤) الوالهة الحزينة أو التى ذهب عقلها حزنا ، سحاح كثير السح وهو أن يسيل الماء من أعلى إلى أسفل .

(٥) الجمع واحدتها جمعة وهى الصلاة المفروضة بهذا الاسم والانواح النائحات .

يَا لَلرِّجَالِ لِحُرَّةٍ مَوْءودةٍ
قُتِلَتْ بغيْرِ جَرِيرةٍ وجُنَاحِ [١]

إنَّ الذين أسَتْ جِرَاحَكَ حَرْبُهُمْ
قتلتْكِ سِلْمُهُمُو بغيْرِ جِراحِ [٢]

هتكوا بأيديهمْ مُلاءَةَ فخرهمْ
مَوْشِيَّةً بمواهبِ الفتَّاحِ [٣]

نزعُوا عنِ الأعناقِ خيْرَ قلادةٍ
ونضَوْا عنِ الأعطافِ خيْرَ وِشَاحِ [٤]

حَسَبٌ أتى طُولُ الليالى دونَهُ
قد طاحَ بينَ عَشِيَّةٍ وصَبَاحِ [٥]

وعلاقةٌ فُصِمَتْ عُرَى أسْبابِها
كانتْ أبرَّ علائِقِ الأرْواحِ

جَمَعتْ على البِرِّ الحُضُورَ وربَّما
جَمَعتْ عليه سَرائِرَ النُّزَّاحِ [٦]

نَظَمَتْ صُفُوفَ المسلمين وخَطْوَهُمْ
فى كلِّ غَدْوَةِ جُمْعَةٍ ورواحِ ١٠

---

(١) الموءودة التى تدفن حية فى التراب . الجناح الاثم

(٢) أست جراحك داوتها . السلم الصلح والسلام أيضا .

(٣) يقال هتك الستر ونحوه خرقه أو جذبه فقطعه من موضعه أو شق منه جزءا فبدا ما وراءه . موشية منقوشة منمنمة . الفتاح من اسماء الله تعالى .

(٤) نضوا خلعوا ، الاعطاف جمع عطف وهو الجانب من كل شئ . الوشاح شبه قلادة ينسج من جلد عريض ويرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(٥) طاح ذهب .

(٦) البر الصلة والرفق . النزاح البعيدون جمع نازح .

بَكتِ الصَّلاةُ ، وتلكَ فِتنةُ عابثٍ
بالشرْعِ عِربيدِ القضاءِ وقَاحِ (١)
أَفْتَى خُزَعْبلةً وقالَ ضلالةً
وأتَى بكُفْرٍ في البلادِ بَراحِ (٢)
إنَّ الذينَ جَرَى عليْهِمْ فِقْهُهُ
خُلقوا لفقهِ كتيبةٍ وسِلاحِ
إنْ حَدَّثُوا نَطقُوا بخُرْسِ كتائِبٍ
أو خُوطِبُوا سَمِعُوا بِصُمِّ رِماحِ
أَستغفِرُ الأخْلاقَ لسْتُ بجاحِدٍ
مَنْ كُنتُ أَدْفعُ دونَهُ وأُلاحي (٣)
مالِي أُطَوِّقُهُ المَلامَ وطالَما
قلدتُهُ المأْثورَ مِنْ أَمْداحِي
هُوَ رُكْنُ مَمْلكةٍ وحائِطُ دَوْلةٍ
وقَرِيعُ شهباءٍ وكَبْشُ نِطاحِ (٤)
أأَقولُ مَنْ أحيا الجماعةَ مُلحِدٌ ؟!
وأقولُ مَنْ رَدَّ الحقوقَ إباحِي ؟!

---

(١) العربيد الشرير والكثير العربدة وهى سوء الخلق من السُّكْر . الوقاح ذو الوقاحة وهى قلة الحياء .

(٢) الخزعبلة الفكاهة والمزاح اما الباطل فهو الخزعبل والخزعبيل . ويقال جاء بالكفر براحا أى بينا وقيل جهارا .

(٣) ادفع دونه أردعنه بالحجة . ألاحى من الملاحاه وهى الملاعنة .

(٤) القريع الغالب فى المقارعة وهى أن يضرب الابطال بعضهم بعضا . الشهباء الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح .

الحقُّ أَوْلَى مِنْ وَلِيِّكَ حُرْمَةً
وأحَقُّ منكَ بنُصْرَةٍ وكِفَاحِ
فامْدَحْ على الحقِّ الرجالَ ولُمْهُمُو
أوخَلِّ عنك مَواقِفَ النُّصَّاحِ
ومِنَ الرِّجالِ إذا انبَرَيْتَ لهَدْمِهِمْ
هَرَمٌ غليظُ مَناكِبِ الصُّفَّاحِ (١)
فإذا قذفْتَ الحَقَّ فِي أجْلادِهِ
تركَ الصِّراعَ مُضَعْضَعَ الألْوَاحِ (٢)
أدُّوا إلى الغازِى النَّصيحةَ يَنْتَصِحْ
إنَّ الجَوَادَ يثُوبُ بَعْدَ جِمَاحِ (٣)
إنَّ الغُرُورَ سقَى الرَّئيسَ بِرَاحِهِ
كيفَ احْتِيالُكَ فِي صَرِيعِ الرَّاحِ !
نقلَ الشَّرائِعَ والعَقَائِدَ والقُرَى
والناسَ نقلَ كتائِبٍ فى السَّاحِ (٤)
تركتْه كالشَّبَحِ المُؤَلَّهِ أُمَّةٌ
لَمْ تَسْلُ بَعْدُ عِبَادَةَ الأشْبَاحِ !!
هُمْ أطْلَقُوا يدَهُ كَقَيْصَرَ فيهمُو
حتَّى تَنَاوَلَ كُلَّ غيْرِ مُبَاحِ !
غرَّتْه طاعاتُ الجُمُوعِ ودَوْلةٌ
وَجَدَ السَّوادُ لهَا هوَى المُرْتَاحِ !! ٣٣

(١) المناكب هنا الجوانب والنواحى الصفاح حجارة عريضة رقيقة .

(٢) الاجلاد والتجاليد جسم الإنسان وبدنه .

(٣) الغازى مصطفى كمال وهو أيضا المراد بالرئيس فى البيت الثانى .

(٤) الساح : جمع ساحة والمراد ساحة الحرب .

وَإِذَا أَخَذْتَ الْمَجْدَ مِنْ أُمِّيَّةٍ
لَمْ تُعْطَ غَيْرَ سَرَابِهِ اللَّمَّاحِ (١)
مَنْ قَائِلٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَقَالَةً
لَمْ يُوحِهَا غَيْرُ النَّصِيحَةِ وَاحِ
عَهْدُ الخلافة فِيَّ أَوَّلُ ذَائِدٍ
عَنْ حَوْضِهَا بِيَرَاعِهِ نَضَّاحِ (٢)
حُبٌّ لِذَاتِ اللَّهِ كَانَ ، وَلَمْ يَزَلْ
وَهَوًى لِذَاتِ الحَقِّ وَالإِصْلَاحِ
إِنِّي أَنَا الْمِصْبَاحُ لَسْتُ بِضَائِعٍ
حَتَّى أَكُونَ فَرَاشَةَ الْمِصْبَاحِ (٣)
غَزَوَاتُ (أَدْهَمَ) كُلِّلَتْ بِذَوَابِلٍ
وَفُتُوحُ (أَنْوَرَ) فُصِّلَتْ بِصِفَاحِ (٤)
وَلَّتْ سُيُوفُهُمَا وَبَانَ قَنَاهُمَا
وَشَبَا يَرَاعِي غَيْرُ ذَاتِ بَرَاحِ (٥) ٤٠

---

(١) اللماح : اللماع .

(٢) الذائد الحامى الدافع والنضاح كذلك .

(٣) الفراشة حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج حتى يحترق .

(٤) الذوال صفة للرماح ، الصفاح جمع صفح وهو عرض السيف وادهم وانورهما لقائدان التركيان الكبيران والمراد بالرماح والسيوف هنا الأقلام .

(٥) القنا جمع قناة . الشبا جمع شباة وهى حد كل شئ البراح الزوال .

← لا تبذلوا بُرْدَ النبيِّ لِعَاجِزٍ
عَزْلٍ يُدَافِعُ دونَهُ بالـــرَّاج (١)

بالأمس أَوْهَى المسلمينَ جِرَاحَةً
واليومَ مَدَّ لَهُمْ يَدَ الـــجَرَّاح (٢)

فلتَسْمَعُنَّ بكلِّ أرضٍ داعيـــاً
يدْعُو إلى (الكذَّاب) أَوْ لسَجَاح (٣)

ولتشهدنَّ بكلِّ أَرْضٍ فتنـــةً
فيها يُبَاع الدِّينُ بَيْعَ ســمَاح

يُفْتَى على ذَهَبِ (المُعِزِّ) وَسَيْفِهِ
وهوَى النفوسِ وَحقدُهَا الْمِلْحَاح (٤) ٤٥

التعليق: إِنَّهَا قصيدة قويَّة جاءت مُعَبِّرةً عن هذا الحدث الخطير أَبْلَغَ تَعْبِيرٍ، مُصَوِّرَةً النَّكْبَةَ الفادحة أَرْوَعَ تَصْوِيرٍ، حَادَّةَ العَاطِفَة، حَافِلَةً بالمشاعر الجيَّاشة، من غضبٍ عارمٍ، وأَلَمٍ بالغٍ، وأَسَفٍ وسُخْط، واستنكارٍ وتنديدٍ، ومجابهةٍ وتقريعٍ وإنذارٍ وتحذيرٍ، إلى جانب تميُّزها بوحدة (الموضوع)، واكتمال عناصر (التجربة الشعرية)، وبصدق الهجاء، في إطارٍ من النَّغَمِ الحزين المتمثِّل في وزن (بحر الكامل)[٥] وقافية ←

([١]) العاجز العزل (حسين بن على) شريف الحجاز . يريد أنه طامع فى الخلافة فالأتراك اذا اصروا على خروجها منهم كانوا بذلك قد بذلوها لهذا العاجز الذى لا يملك لحمايتها الا يدا خالية والراح جمع راحة وهى بطن الكف .

([٢]) بالامس وأهى .. الخ الموصوف بهذا العمل هو حسين بن على ايضا وهو اشارة الى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم فى الحرب الكبرى .

([٣]) يريد أن تنحى الاتراك عن الخلافة أطمع فيها من لا يصلح لها وجعل الدعاة لهؤلاء الطامعين يظهرون بكل مكان . والمراد بالكذاب مسيلمة الكذاب : وسجاح امرأة كانت تدعى النبوة .

([٤]) المعز لدين الله الفاطمى فى مصر والمراد بذهبه وسيفه المال كان يبذل لمن أطاعوه والعقاب الذى كان يصيب من خالفوه .

(٥) وهو بحر تجود فيه المراثى مثل قصيدة (أبى الحسن التهامى) فى رثاء ابنه، وقصيدة (جمال الدين ابن نباتة المصرى) فى رثاء ولده كذلك، راجع ديوانيهما .

الخاءِ المكسُورةِ المناسِبَةِ للنُّواحِ والشَّجن ، فكانتْ في بابِها تُحْفةً نادرةَ المثالِ .

الفصلُ الثَّانِي
العصرُ العثمانيُّ في الأدبِ العربيِّ
تحْديدُهُ زمانًا ومَكانًا

قدمنا فى الفصل الأول تعريفا بالدولة العثمانية ككل ، وبيانا لمراحلها التاريخية ، والأدبُ العربيُّ لم يتصل بالدولة العثمانية ويرتبط بها إلا فى جزء من تاريخها ينتمى (للمرحلة الثالثة) من هذا التاريخ الطويل الذى وضحناه آنفا - وهو يبدأ بدخول السلطان (سليم الأول) مصر فاتحًا ، وَمُنْهِياً لدولة المماليك بها ، وضامًّا لها ولتوابعها من الدول العربية كالشام والحجاز وغيرهما إلى دولة (آل عثمان) ، وصيرورة مصر منذ ذلك الحين (ولاية) عثمانية تابعة خاملة ، بعد استقلال وعزٍّ شامخيْن ، هذا من الناحية السياسية ، ونشأ فى مصر والعالم العربى أيضا (العصر العثمانى فى الأدب) الذى امتد قرابة (ثلاثة قرون) من عام ٩٢٣ هـ وهو عام دخول سليم مصر إلى عام ١٢٢٠ هـ وهو عام تأسيس (محمد على) دولته فى مصر [١] ، وهى دولة وإن كانت تابعة للدولة العثمانية من الناحية الاسمية والرسمية ، فإنها كانت مستقلة بشئونها فعليا وبقيام دولة (محمد على وخلفائه) فى مصر ينتهى (العصر العثمانى) فى الأدب العربى ويبدأ (العصر الحديث) .

ولعله قد اتضح الآن أن العصر العثمانى (فى التاريخ) عصر كبير يمتد (زمانا) لزهاء سبعة قرون من القرن السابع الهجرى الموافق للثالث عشر الميلادى إلى القرن الرابع عشر الهجرى الموافق للقرن العشرين الميلادى .

---

[١] ويوافق هذين العامين بالتاريخ الميلادى من عام ١٥١٧ م إلى عام ١٨٠٥ م

ويمتد (مكاناً) - بعد ضم مصر والبلاد العربية إليه من حدود (روسيا ووسط أوربا) شمالا إلى مصر وحدود السودان جنوبا ، ومن بلاد فارس شرقا إلى المغرب الأقصى وشواطئ المحيط الأطلسي غربا ، وأن تبعية (الأدب العربي) للعصر العثماني تتحدد (زمانا) بالمدة التي بيناها في أول هذا الفصل ، وتتحدد (مكانا) في مصر والبلاد العربية . راجع ملا من هذا الكتاب

الفصل الثالث

تمهيد

إطلالة سريعة على عصور الأدب السابقة

لعل من المفيد قبل أن نعرض لحالة الأدب فى العصر المملوكى السابق مباشرة (للعصر العثمانى الذى هو موضع دراستنا) أن نسوق هذه الإطلالة الخاطفة على خط سير الأدب العربى على مدى عصوره ، منذ بدايته فى العصر الجاهلى إلى أن نصل إلى العصر المملوكى فالعثمانى فالحديث ، ففى ذلك تذكرة ، وربط لحلقات هذه السلسلة الشائقة :

١- **(فالعصرُ الجاهليُّ)** حدد المؤرخون بدايته بقرن ونصف قبل الإسلام على وجه التقريب أى : من حوالى ٤٦٠ م إلى ٦١٠ م والعامُ الأخير هو عام بعثة (محمد) رسول الله صلى الله عليه وسلم المولود عام ٥٧٠ م والمبعوث على رأس الأربعين من عمرة الشريف ، والذى كانت هجرته من مكة إلى المدينة بعد ثلاثة عشر عاما من مبعثه ، أى فى عام ٦٢٣ م ، وتعتبر (البعثة المحمدية) نهاية للعصر الجاهلى .

وأدبُ هذا العصر أدبٌ رائدٌ فى قوته وصفاته وجماله ، فهو أدب الفطرةِ الصادقة ، والنفس الصريحة ، والكلمة الصادقة فى تعبيرها عن النفس وعن الحياه والبيئة والمجتمع ، وفى خلوصه من أوضار اختلاط العرب بغيرهم .

٢- وعصر (**صدر الإسلام**) : من عام ١٣ ق هـ ([1]) إلى ٤١ هـ أما بدايته فهى البعثة المحمدية الشريفة وأما نهايته فاستشهاد أمير المؤمنين (على بن أبى طالب) وتنازل ابنه (الحسن) لمعاوية بن أبى سفيان عن الخلافة ، وانتهاء دولة الخلفاء الراشدين بذلك ، وقيام الدولة الأموية .

ومدته (ثلاثة وخمسون عاما) منها ثلاثة وعشرون عاما من بعثته عليه السلام إلى وفاته وهو (العهد النبوى) وثلاثون عاما من أول خلافة أبى بكر الصديق إلى آخر خلافة (على) وهو (عهد الخلفاء الراشدين)وأدب هذا العصر أدب قوى رائد كذلك ، فهو أدب التعبير عن العقيده الجديدة السامية ، وعن القيم العالية ، والدعوة الطاهرة والفتوحات الباهرة ، كما أنه أدب النقاء مما شاب الأدب الجاهلى من ضلالات الجاهلية .

٣- و(**العصر الأموى**) من عام ٤١ هـ إلى عام ١٣٢ هـ الموافقين لعامى ٦٦١ م - ٧٤٩ م

ويبدأ هذا العصر بتنازل الإمام (الحسن بن على بن أبى طالب) عن الخلافة (لمعاوية بن أبى سفيان) وقيام الدولة الأموية ، وينتهى بانهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، ومدته (اثنان وتسعون عاما هجرية) .

وهو عصر نهضة أدبية فاقت العصرين السابقين فى الشعر والنثر فهو عصر إتمام الفتوحات الإسلامية المظفرة شرقا وغربا ، وعصر توسيع الثقافة الإسلامية ، بوضع وتدوين معظم علومها الشرعية واللغوية وعصر بداية الإحتكاك بالثقافات الأجنبية وهو

([1]) ق هـ : أى قبل الهجرة .

خاتمة عصور (السلامة) التى يَحْتَجُّ أهلُ اللغة بكلام شعرائه وكتابه لبراءته من الفساد والدّخيل ومن اللحن وشوائب العُجْمَة •

٤- **(العصر العباسي)** من عام ١٣٢ هـ - إلى عام ٦٥٦هـ الموافقين لعامى ٦٦١ م - إلى عام ١٢٥٨م •

ويبدأ هذا العصر بقيام دولة (بنى العباسى) عندما هَزَمُوا الأمويين وأزالوا دولتهم ، أما نهايته فبدخول (التتار) بغداد مخربين وقتلهم الخليفة (المستعصم بالله) - آخر الخلفاء العباسيين - وأفراد أسرته ، وقضائهم على الخلافة العباسية •

ومدة هذا العصر (خمسمائة وأربعة وعشرون) عاما هجرية وهو العصر الذى بلغ فيه الأدب العربى قمة النهضة وذروة الازدهار بحيث لا مبالغة فى وصفه (بالعصر الذهبى للأدب العربى) لعوامل كثيرة لا مجال لتفصيلها الآن ، وبحسبنا أنه عصر الحضارة الإسلامية الباهرة التى آتت أكلها شهيا فى كل الميادين ، والتى صورها الأدب ، وعبر عنها بكل ما فيها من جد وهزل ، وعلم وفن وغنى وفقر ، وسلم وحرب ، وأنه العصر الذى ظهر فيه أعظم شعراء العربية(كأبى تمام) و(البحترى) و(المتنبى) و(ابن المعتز) و(الشريف الرضى)، وأبرع كتابها(كابن العميد) و(الصاحب بن عباد) و(الخوارزمى) و(بديع الزمان الهمذانى) ، والذى لمع فيه أنبغ علماء الإسلام فى شتى فروع المعرفة والعلوم من شرعية ولغوية وفلسفية وكونية •

٥- **ويأتى بعده (العصر المملوكى)**

من عام ٦٤٨ هـ إلى عام ٩٢٣ هـ

الموافقين لـ ١٢٥٠ م ، ١٥١٧ م

ويبدأ بتولى (عز الدين أيبك) مُلْكَ(مصر)وهو أول سلطان مملوكى ، على أثر انتهاء الدولة الأيوبية ، وينتهى بمقتل السلطان قانصوه الغورى) فى موقعة (مرج دابق) وهو آخر سلاطين المماليك ، ودخول السلطان (سليم العثمانى) القاهرة ، وصيرورة مصر ولاية عثمانية ، ومدته زُهَاءَ ثلاثة قرون ، وهو عصرٌ تَرَاجَعَ فيه الأدب قليلا عن العصر العباسي وضَعُفَ يسيرا ، ولكنه احتفظ بكثير من رونقة القديم ، وروعته السابقة وسنبسط القول فيه بعض البسط فى الفصل القادم بإذن الله لمجاورته العصر العثمانى فهو السابق له مباشرة .

٦- **ومن بعده جاء (العصر العثمانى)**

من عام ٩٢٣هـ إلى عام ١٢٢٠هـ

الموافقين لـ ١٥١٧م ، ١٨٠٥م

وبدأ بدخول السلطان سليم العثمانى مصر فاتحا ، وختم بإقامة (محمد على) دولته فى مصر بتأييد من الشعب المصرى ، ومدته ثلاثة قرون تقريبا وهو أضعف العصور الأدبية لعوامل سيأتى تفصيلها إن شاء الله ولكنه لم يخْلُ من لمحاتٍ قوّة ، وليس بالعصر الشديد الانحطاط كما صوره بعض النقاد ومؤرخى الأدب .

٧- وتلاه (العصر الحديث)

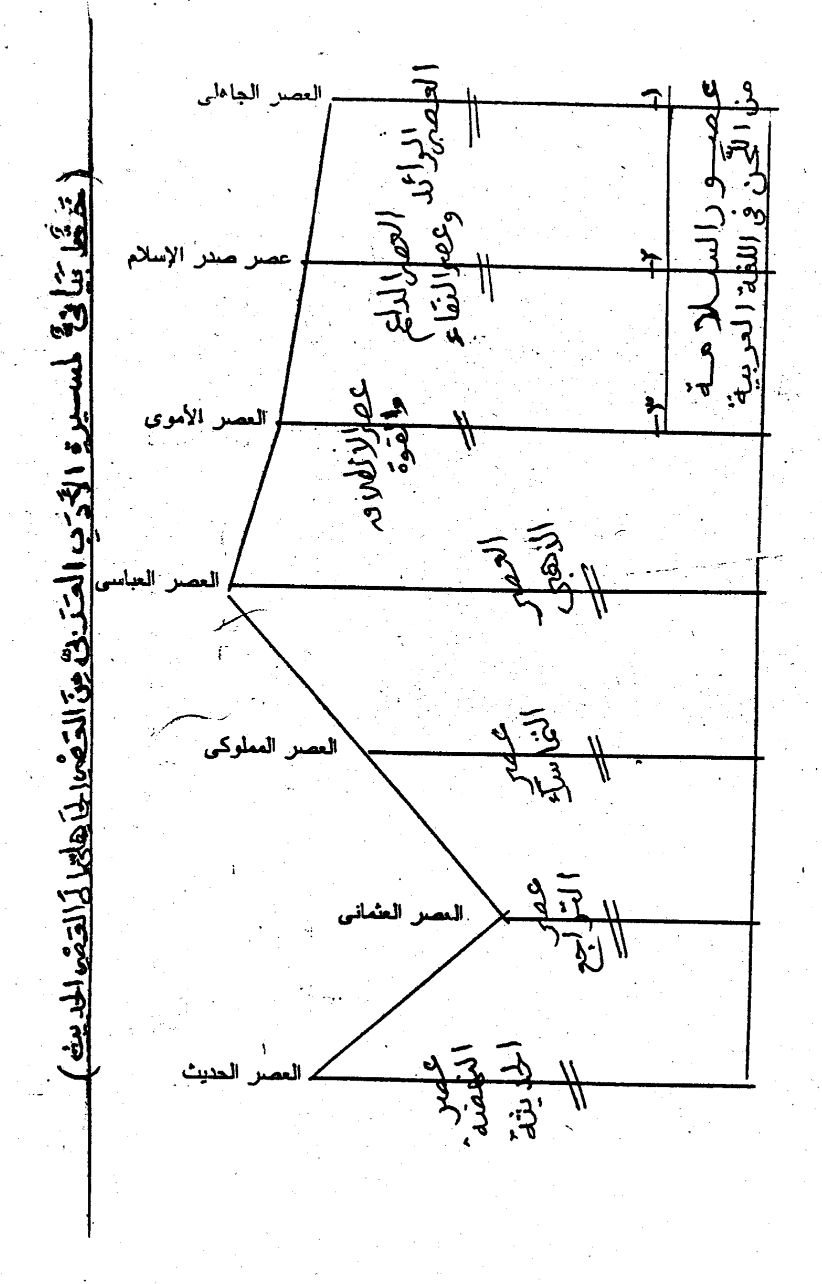
من ١٢٢٠ هـ إلى الآن ١٤١٨ هـ ★.

الموافقين لـ ١٨٠٥ م ١٩٩٨ م

ويمتد إلى ما شاء الله له أن يمتد ومدته حتى الآن زُهاءُ (قرنين من الزمان) وهو عصر قوة ونهضة كما سيجئ مبسوطا ومفصلا في الباب الأخير من هذا الكتاب بعون الله تعالى .

ولو أردنا أن نستعمل لغة (الرياضيات) برسم (خط بياني) لعصور الأدب العربي التي أشرنا إليها ، من حيث القوة والضعف لكان تصورنا له على الشكل التالي :

★ أي إلى تاريخ طبع هذا الكتاب لأول مرة .


خط بياني لمسيرة الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث
العصر الجاهلى
عصر صدر الإسلام
العصر الأموى
العصر العباسى
العصر المملوكى
العصر العثمانى
العصر الحديث

الفصل الرابع

أضواء على العصر السابق للعصر العثماني
وهو العصر المملوكي

يبدأ (عصر المماليك) تاريخيا بتولى (عز الدين أيبك) أحد أمراء المماليك عرش(مصر) عام ٦٤٨هـ كأول سلطان مملوكى فى أعقاب انقراض الدولة (الأيوبية) وقد كان المماليك فى الأصل رقيقا للسلاطين الأيوبيين ، وجنودا لهم ، وعظم شأنهم مع الزمن ، حتى صاروا قادة للجيش الأيوبى ، وحائزين لأعلى المناصب فى الدولة ، حتى كان منهم (نائبُ السلطنة) .

وكان تولِّى (أيبك)العرش حَلاًّ لتولِّى (شجرةِ الدر) حكم مصر وهى أرملة السلطان (نجم الدين أيوب) خاتمة السلاطين الأيوبيين الأقوياء ، وكان توليها هذا المنصب الرفيع بعد قتْلِ (توران شاه) ابنِ زوجها ، والذى تولى بعد أبيه لمدة قصيرة ، ولم يوجد من البيت الأيوبى من يَحِلُّ محله ، وكان قتله فى بداية حكمه بتدبير من زوجة أبيه (شجرةِ الدر) وأعوان أبيه من زعماء المماليك - بسبب سوء معاملته لها ولهم ، بعد أن حققتْ بحصافتها وحِكمتها ، وحققوا بشجاعتهم واستبسالهم لمصر والإسلام نصرا مؤزرا على حملةِ (لويس التاسع) الصليبية فى موقعة (المنصورة) الخالدة فلم يكافِئْهم ، بلْ عامَلَهُمْ بخشونةٍ واحتقارٍ وسوءِ ظنّ .

فهو لم يحفظْ (لشجرة الدر) امرأةَ أبيه حقَّها ، ولم يقدِّرْ دورَها الرائعِ العظيم فى صُنْعِ هذا النصر ، عندما كانت المعركةُ ناشبةً بين جيش المسلمين وجيش الصليبيين ما بينَ

(دمياط) و (المنصورة) وأبوه السلطان نجم الدين حينئذ مريض على فراش الموت – وكان قد طلب نقله من القاهرة إلى المنصورة ليكون قريبا من المعركة واشتد عليه المرض ، وتوفاه الله فى هذه اللحظات الحرجة فكتمت (شجرة الدر) خبر موته لئلا يَفُتَّ ذلك فى أعضاد جيش المسلمين ويخفضَ من معنوياتهم ، وصارتْ تُخْرِجُ الأوامرَ السلطانية مختومةً بخاتم السلطان كأنه حَيٌّ إلى أن تَمَّ النصر ، وعند ذلك أعلنتْ وفاةَ السلطان فبكى الناس سلطانهم الحبيب العظيم ، وكانت أيضا قد أرسلتْ سِرًّا إلى ابنه وولى عهده (توارن شاه) الذى كان بعيدا فى (حصن كيفا) [1] تستقدمه على جناح السرعة ليتولى مكان أبيه ، وحضر فعلا ، وأدرك نهاية المعركة ، وتقلد الحكم ونعم بالنصر وكان منه ما كان من عدم تقدير حكمة زوج أبيه وبعد نظرها ، وطالبها بأموال أبيه وذخائره فى غلظة مما أحنقها عليه ، كما أحنق عليه زعماء المماليك ، فدبرت معهم قتله بعد زمن قصير من ولايته ، وبمقتله أقفر البيت الأيوبى من رجل يتولى السلطنة بعده .

فرأى زعماء المماليك أن يولوا (شجرة الدر) أرملة أستاذهم العظيم الحكم وفاء له ، وتقديرا لما أظهرته من حنكة سياسية فى أثناء مرض زوجها وبعد موته ، ولما كان هذا الأمر غريبا ، إذ لم تتول أمور المسلمين امرأة قبلها ، لم يلق ذلك قبولا فى العالم الإسلامى ، وخاصة فى دوائر الخلافة العباسية فى (بغداد) تراجعت (شجرة الدر) وعزلت نفسها ، وتزوجت أبرز زعماء المماليك حينذاك وهو (عز الدين أيبك) المشار

---

(1) حصن (كيفا) - كضيزى - من حصون الدولة المملوكية على الحدود الشمالية الشرقية قرب (أرمينية) ويقع بين (آمد) وجزيرة ابن عمر ، و(آمد) - كما جاء فى (إعجام الأعلام ، بلد قديم حصين ركين ، تحيط (دجلة) بأكثرة (شمال الجزيرة العراقية) .

إليه فى أول الفصل ، وبايعة المماليك أهل الحل والعقد سلطانا على البلاد وبهذه البيعة قامت (دولة المماليك) فى مصر والشام وتوابعهما ، وانقرضت (الدولة الأيوبية) .

وكانت (الدولة الأيوبية) إحدى الدول المنبثقة عن (الدولة السلجوقية) وكلاهما تابع للدولة العباسية فى عصرها الثانى ، وهى منسوبة لمؤسسها البطل الإسلامى العظيم (صلاح الدين الأيوبى) الذى وحد مصر والشام ليواجه (الصليبيين الغاصبين) تحت إمرة أستاذه البطل الأكبر (نور الدين محمود) بن البطل الشهيد (عِمَادِ الدين زَنْكِى) عاملِ السلاجقة) على (الموصل) ، وأول من نهض لمنازلة الصليبيين ، ونذر (نور الدين محمود) نفسه وأوقف حياته بعد أبيه للجهاد فى سبيل الله وطَرْدِ الصليبيين من بلاد الإسلام ، وَتَطْهِيرِ الشام من أَرْجَاسِهِمْ ، ومضى فى ذلك شوطا كبيرا موفقا مظفَّرًا إِلَى أَنْ لَقِيَ الله مبرورًا مبكيا عليه ([1]) .

ونجح تلميذُهُ النابغ (صَلَاحُ الدين الأَيوبِيُّ) ، بعد وفاة أستاذه فى إلحاق الهزيمة الساحقة الحاسمة بجموع الصليبيين وجيوشهم الجرارة القادمة من كل البلاد الأوربية بقيادة ملوكهم فى موقعة (حِطِّينَ) الشهيرةِ الخالدة ، وحَرَّرَ (القُدْسَ) واستعادها من أيديهم الآثمة بعد تسعين عاماً من احتلالهم إياها ، فحقق بذلك رسالة أستاذه (نور الدين محمود) على خيروجه .

وتمَّمَ خلفاءُ صلاح الدين (فى الدولة الأيوبية) هذه الرسالةَ المجيدة ونهضوا بها إلى آخر أيامهم ، ثم تسلمتْها منهم (دولةُ المماليك) فسارتْ على دربهم ، وردَّ سلاطينها عن المسلمين خطرَ بقايا الصليبيين وأَجْلَوْهُمْ عن سواحلِ الشام التى كانوا

([1]) راجع : نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق للدكتور حسين مؤنس مطبعة مصر ١٩٥٩ م وكان مولد نور الدين عام ٥١١ هـ ١١١٨ م وكانت وفاته عام ٥٦٩ هـ ١١٧٤م رحمه الله ورضى عنه .

متشبثين بها ، وقضوا عليهم نهائيا بعد تمام (مائتى عام على بدء هجماتهم الشرسة الدنيئة على ديار الإسلام كما ردَّ (المماليك) جحافلَ (التتار) عن مصر ، والعالم كله بانتصارهم عليهم فى موقعة (عيْن جَالوت) التاريخية الحاسمة بقيادة السلطان المجاهد (المظفَر قطز) وتأييد الشعبين المصرى والشامى ومؤازرة علماء الإسلام فى القطريْن بزعامة الإمام الجليل الشيخ (عزّ الدين بن عبد السلام) (1) .

(فدولة المماليك) هى دولة الفرسان الشجعان ، والرجال الأشداء الذين تربَّوْا على مائدة (الدولة الأيوبية) ، وكانوا رقيقا مُسْتَجْلبين فى صغرهم من أقاصى (آسيا) ، رباهم السلاطين الأيوبيون ، وَأَعَدُّوهُمْ إعدادا خاصا حربيا وسياسيا ليجعلوا منهم جُنُودًا للدولة وللإسلام .

ولما ورثوا دولة سادتهم الأيوبيين ، ظهر منهم أبطال عظماء من أمثال (قطز) و (بيبرس) و (قلاوون) و(قايتباى) كتبوا فى التاريخ العربى والإسلامى أنصع الصفحات .

وحينما نُكِبَتْ الخلافة العباسية فى أول عهدهم وسقطت (بغداد) سقوطها المروع فى أيدى (التتار) المخرِّبين ، وَقُتِل مَنْ قُتل من الخليفة والأمراء والعلماء والأدباء وفَرَّ مَنْ فر : كان (لدولة مماليك) فضل كبير فى جانبين مهمين :

(أولهما) أنها آوت إليها العلماء والأدباء الفارين من وجه التتار واحتضنتهم وأكرمتهم ، فاستأنفوا نشاطهم العلمىَّ فى (القاهرة) ليعوضوا ما دمره التتار من منارات العلم والحضارة والثقافة والأدب .

---

(1) راجع قصة (وإسلاماه) للأستاذ على أحمد باكثير

ثانيهما : أنها أحيت (الخلافة العباسية) من جديد ، عندما وفد إليها نفرٌ من بقايا (البيت العباسى) المنكوب ، فبايع المماليك أحدهم[1] بالخلافة وأسكنوه (القاهرة) فى قلعة (صلاح الدين) مقرّ الحكم ليكون رمزًا لوحْدة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، واستمرارًا لخلافة النبى عليه الصلاة والسلام وقد استمدّ سلاطين المماليك منه التفويض بحكم الرعية، فنالوا بذلك شرعيةً ، وكسْبا أدبيا لدولتهم .

فقامت فى مصر وملحقاتها - تبعا لذلك - فى عصرهم نهضة علمية وأدبية ، واجتماعية ، إنْ لم تبلغ فى قوتها ما كان فى العصر العباسى ، فقد قاربتْها ، إذْ تراجع (الأدب فى العصر المملوكى) عن مكانته التى بلغها فى العصر العباسى تراجعا قليلا ، وضعفت قُوَّتُهُ ضعفا محدودا ، وبقى له قدْرٌ طيبٌ من الرقىّ والازدهار ، ولكلٍّ من الأمرين عوامله ومبرزاته .

أ - عوامل ضعف الأدب والعلم وتراجعهما فى العصر المملوكى عن العصر العباسى :

كان هذا أمرًا طبيعيا ومنطقيا بعد (سقوط بغداد) فى أوائل الدولة المملوكية ، لفداحة النكبة التى حلت بالعروبة والإسلام نتيجة لهذا الحدثِ المشئوم والخَطْب الجلل ، إذْ خرّب التتار الهمجُ كلّ ما يمت للعلم والأدب والحضارة بصلة ، مِنْ حَرْقٍ

---

[1] هو (أبو القاسم أحمد) بن الخليفة الأسبق (الظاهر بأمر الله) العباسى ، وقد لقب بعد بيعته هذه (بالمستنصر) .

وإتلافٍ للمكتبات (١) ، وقتلٍ وتشريدٍ للعلماء ، وهدْمٍ للمساجد والمدارس والمصانع ومعالمِ العمران . إنَّ فَقْدَ هذا التراثِ الهائل والثروةِ الثقافية الضخمة ، التى كوّنها المسلمون فى زهاء سبعة قرون ، إنَّ فقدها ما بين عشيةٍ وضحاها يُمثِّل مصيبةً فادحة ، وكارثةً عظمى لها مردودها السلبى على العلم والأدب ، وهذا ما كان •

ب – عوامل ازدهار الأدب فى العصر المملوكى :

قدمنا أن المسيرة العلمية والأدبية استؤنفت فى الأقاليم العربية التى لم تطأها أقدام التتار ، وفى مقدمتها (مصرُ) الشامخةُ الأبية ، بجهود من كان بها من العلماء والأدباء ، ومن وفد إليها من العلماء الفارّين من وجه التتار ، وبتشجيع سلاطين المماليك لهؤلاء وهؤلاء ، وخصوا الوافدين بمزيد من الإكرام والحفاوة ، وأغدقوا عليهم العطايا والهبات ، وأسندوا إليهم الوظائف والمناصب ، وكفلوا لهم إقامةً طيبة وحياةً كريمة ، فأقبلوا على العلوم والآداب يحيونها من جديد ، ويبذلون قصارى جهودهم فى التأليف والإبداع ومع أن المماليك لم يكونوا فى الأصل عَرَبا ، إلا أنهم استعربوا لسانا وفكرا ، فقد تربوا فى البلاد العربية ، واكتسبوا لغتها وعاداتها وتقاليدها ، فحافظوا على اللغة العربية (كلغة رسمية للدولة ، وعُنوا (بديوان الإنشاء) الذى تصدر عنه مكاتبات الدولة ، ويلى أمره خيرة الأدباء والكتاب ، وله بين دواوين الدولة شأن عظيم •

ومن أياديهم البيضاء على العلم والأدب إحياءُ الدراسةِ فى (الجامعِ الأزهر) فى أوائل دولتهم ، بعد أن تعطلتْ فى مدة

(١) وبخاصة مكتبة (بغداد) التى كانت فى ضخامتها وكثرة مجلداتها معدومة النظير فى العالم أجمع – كانت تضم ملايين المجلدات ، وأغرقها التتار فى نهر (دجلة) فسدت مجرى النهر •

الدولة الأيوبية – لظروف معينة (١) – وكانت إعادةُ الدراسة إلى هذه القلعة العلمية الحصينة فى عهد السلطان (الظاهر بيبرس) عام ٦٦٥ هـ ، ليزدهر الأزهر منذ ذلك الحين ، ويصبحَ على مرِّ العصور منارةَ العلم والدين فى العالم الإسلامى كله إلى اليوم ، وإلى ماشاء الله .

وبنى المماليك المساجدَ الفخمةَ ، وألحقوا بها المدارسَ العظيمةَ كمدرسة (السلطان حسن) (٢) كما بنَوْا (البيمارستانات) (المستشفيات) بأنواعها لخدمة المرضى بالمجان ، وتدريس العلوم الطبية ، مثل البيمارستان العظيم الذى بناه السلطان (قلاوون) (٢) ، كذلك بنوا (الأسبلة) (٣) و (الخوانق) (٤) والقلاع (٥) والحصون لتأمين البلاد من غارات الأعداء ، وأنشئت المكتبات العامة الحافلة بالكتب النفيسة فضلا عن مكتبات المساجد والمكتبات الخاصة ، وبُذلت الأموال الوفيرة ، وأوقفت الأوقاف الكثيرة على أهل العلم من طلاب ومدرسين ، وازدهر فن (الخط العربى) بكل أنواعه وبخاصة (النسخ) و(الثلث) و (التعليق) أو الفارسى ، وزينت به المساجد والأبنية فى الداخل والخارج ، وكتبت آلاف المصاحف بالخط الجميل ما بين صغيرة وكبيرة لاسيما المصاحف الضخمة التى كانت تكتب للسلاطين بماء الذهب فتأتى آيةً فى الروعة

(١) هى أن الأزهر كان فى أول أمره مقرا لفقهاء (المذهب الشيعى) التابعين للدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبية كانت دولة سُنِّيَّة وهى التى أزالت الدولة الفاطمية وحلت محلها .

(٢) فى حى القلعة بالقاهرة .

(٢) مازالت مباينة موجودة حتى الآن بحى المعز لدين الله بالقاهرة .

(٣) الأسبلة : جمع سبيل وهى أبنية جميلة كانت تزود بالماء العذب يشرب منها الناس .

(٤) الخوانق : جمع (خانقاه) وهى دور للسكن كانت تعد لإيواء الزهاد والمتصوفين وإطعامهم والإنفاق عليهم .

(٥) كقلعة السلطان (قايتباى) بالأسكندرية .

والجمال، وقد رأينا بعض هذه المصاحف البديعة معروضا فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ومنها مصحف السلطان "شعبان" ، وكثير منها موجود فى دور الكتب والمتاحف العربية وأيضا فى مكتبات أوربا الشهيرة . وبلغت الصناعاتُ الكبيرة والدقيقة درجةً عالية من الجودة والإتقان يدل عليها ما بقى لنا من العمائر الرائعة وما حوت من القطع الفنية البديعة كمنابر المساجد وأبوابها ونوافذها ، والتشكيلات الجميلة من الخشب والحديد والنحاس والزجاج فى القصور والأسبلة وسائر المبانى التى مازال معظمها قائما حتى اليوم ، شاهدا على عظمة الفن العربى والصناعات المصرية ومظاهر الحضارة الإسلامية فى عهد المماليك •

حالة الأدب بخاصة فى العصر المملوكى :

أما (الشعرُ) : فكان قريبَ الشبه به فى العصر العباسى الثانى) من حيث القوة والبهاء مع مزيد من الاعتناء بالصناعة اللفظية ، وَتَحْلِيَةِ أسلوبه بأنواع البديع ، ولاسيما (التورية) فهو كما يقول الشاعر الناقد المؤرخ الأستاذ (على الجارم) [١] " شعر الألفاظ والزينة " إلا أنه بقى فى هذا العصر حافظا لكثير من رونقه القديم ومتانته ، حافلا بالروعة والجمال ، لتعلُّقِ الشعراءِ – وما أكثرهم فى ذلك العصر – بهذا الفن الجميل فنِّ الشعر ، وسلامةِ فِطَرِهم وقوةِ الموهبة فيهم •

ومن أشهر شعرائهم : (جمالُ الدين بن نباتة) و (صلاحُ الدين الصَّفَدى) ، و (مجيرُ الدين بن تميم) ، وبدرُ الدين الذهبى) ، و (عمرُ بن الوردى) و (الشابُّ الظريف) و(صفىُّ الدينِ الحِلِّىّ) ، وامتاز شعر أغلبهم بالرقة وجمال الوصف ، وتنوع الأغراض ، وجمال التصوير (وأما النثر) فكانت له أغلب هذه الصفات التى ذكرناها للشعر وشاع فيه

---

(١) راجع المفصل فى تاريخ الأدب العربى لعلى الجارم وآخرين حـ٢ ص١٩٩ •

استعمال طريقة (القاضى الفاضل) مع صعوبتها ، وكثر الخطباءُ والكتاب ، وكثر المؤلفون فى شتى فروع المعرفة ، وظهرت فى هذا العصر الكتبُ الجامعةُ والموسوعاتُ ذاتَ الموضوعات المنوعة والتى يقع كل منها فى مجلدات كثيرة ، والتى كانما أرادوا بها تعويضَ بعضِ ما فقدته المكتبة الإسلامية من علوم ومعارفَ فى نكبةِ سقوطِ بغداد فى أيدى التتار .

ومن أشهر الكتاب فى هذا العصر :

(محيى الدين بن عبد الظاهر) ، (شهاب الدين الحلبى)، و(ابن فضلِ الله العمرى) صاحب كتاب (مسالكِ الأبصار فى ممالك الأمصار) ، و (شهاب الدين القلقشندى) صاحب كتاب (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) ، وشهابُ الدين (أحمدُ بن عبد الوهاب النُويْرى) صاحب كتاب (نهايةِ الأرَب فى فنون الأدب) ، وهذان الكتابان الأخيران من الموسوعات التى أشرنا إليها آنفا . ومن أشهر المؤلفين فى شتى الفنون العلمية والأدبية : (أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية) فى العلوم الدينية ، و(القسطلانى) فى علوم الحديث وهو صاحب كتاب (إرشادِ السّارى إلى صحيح البخارى) وفى علوم اللغة والمعاجم نبغ فى هذا العصرِ (جمالُ الدين بنُ منظور) الإفريقى المصرى صاحب أكبرِ معجم فى اللغة العربية (لسانُ العَرَب) ، و (مجدُ الدين الفيروزا بادى) صاحبِ (القاموس المحيط)، وابْنُ خلكان صاحب كتاب (وفيات الأعيان) ، و(ابن خلدون) صاحب التاريخ المعروف و (المقدمة) الشهيرة لهذا التاريخ التى وضع فيها أسسَ (علم الاجتماع) ، و(المقريزى) صاحبُ (المواعظِ والاعتبار بذكرِ الخُطط والآثار) ، وفى (باب الرحلات) ظهر (ابن بطوطة) (وفى علوم البحار) ألف (ابنُ ماجدٍ النجدىّ) الكثيرَ من المؤلفاتِ وألفَ (الدّميرىّ) فى علم الحيوان .

وهكذا كان عصرُ المماليك عصرَ نهضةٍ علمية تأليفية شاملة .

الباب الثانى

الأدب العربى فى العصر العثمانى

راجع ص٧ من الكتاب

الفصل الأول
عوامل التأثير فى الأدب
وأسباب ضعفه فى ذلك العصر

—

(أولا) : سوء الأحوال السياسية :

بدخول (سليم العثمانى) مصر ، وضمها لدولته ، فقدت مصر شخصيتها الدولية المستقلة التى كانت متحققة فى أيام (المماليك والأيوبيين) ، وما كان يتبع هذه الشخصية من مكانة مرموقة ، وأمجاد شامخة ، وزعامة للعالم العربى والإسلامى وريادة فى العلوم والثقافة ، وازدهار اقتصادى وحضارى ، وتقدم صناعى وعمرانى . وذلك أنها تحولت إلى ولاية تابعة للدولة العثمانية ، لا رأى لها إلا ما يراه السلطان لها حتى فى أخص شئونها ، فأصيب أهلها بإحباط كبير ويأس شديد .

وخضعت مصر لحكم (وال تركى) يُرْسَلُ إليها من (إسلام بول) ما بين حين وآخر ، همه كله فى إرضاء الخليفة العثمانى لا فى إسعاد الرعية يجمعُ الضرائب ، ويرسلُ الخراج السنوى إلى مقر الخلافة من عَرَق الشعب المصرى الكادح ، ومع الوالى فرقة من الجنود الأتراك ، لضبط الأمور ، وضمان بقاء النظام العثمانى ، وجمع كبير من الموظفين الأتراك ، وقد ترك العثمانيون لبقايا المماليك بعض المناصب وكان أهمها منصب (شيخ البلد) أى (محافظ القاهرة) وبهذا المنصب أصبح للماليك مشاركة فى الحكم ، وكان يعاون (الوالى) فى مهامه (ديوان) يتألف من قائد الجيش التركى وشيخ البلد المملوكى ومعهم قاضى القاهرة الذى كان مصريا ثم استبدل بتركى وكان(تعدد السلطات)بهذه الصورة مقصودا من

الخليفة العثمانى ليضمن التوازن بينها ، والتنازع المستمر خوفا من توحيد السلطة الذى قد يؤدى إلى خروج البلاد من تحت قبضته ، فكل سلطة تقف للأخرى بالمرصاد ، والكل يحاول استرضاءَ (الخليفة) والظهورَ بمظهر الإخلاص له ، حتى يدوم له منصبه ، والشعب محروم من المناصب والمزايا ، ومن المشاركة فى أموره ، وعليه أداء الضرائب التى تفرض عليه ، بلا هوادة ولا رحمة .

(فالأحوال السياسية) كانت قلقةً وغير مستقرة ، والوالى معرض للعزل فى أى وقت ، بفعل الدسائس ، والرغبة فى التغيير السريع ، فلا فرصة للإصلاح حتى لو كان الوالى كفئا ومخلصا ، وكان كثير من الولاة يستغل ولايته فى جمع ما استطاع من المال لنفسه قبل أن يغادر البلاد معزولا .

على أن هذا العصر المظلم سياسيا لم يخل من لمحات مضيئة لكنها من أسف – خبت سريعا ، وأهمها حركة (على بك الكبير) لتخليص مصر من قبضة العثمانيين ، وإعادة شخصيتها المستقلة وأمجادها السالفة ، فقد استغل المماليك منصب (مشيخة البلد) الذى كان بأيديهم ، لتقوية نفوذهم وإضعاف النفوذ العثمانى ، وتمكن (على بك) أحد من تولَّوْا هذا المنصب ، وكان ذكيا شجاعا طموحا عالىَ الهمة – من الاستقلال بمصر ومد نفوذه إلى الشام والحجاز ، وخَشِىَ العثمانيون تعاظم أمره فتآمروا مع قائد جيشه (محمد بك أبى الذهب) على خلعه وتوليته مكانه على أن يكون تابعا لهم فخان (أبو الدهب) أستاذه وغدر به ورجع بالجيش من الشام وحارب

أستاذه (١) ، وانتصر عليه وتولى منصب مشيخة البلد ، وأعاد بسوء عمله مصر إلى السيادة العثمانية ، وإلى توابعها السيئة .

▪ ومن أهم الأحداث التى وقعت فى أواخر الحكم العثمانى لمصر : [الحملة الفرنسية على مصر والشام] بقيادة (نابليون بونابرت) عام ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م . فقد انتهزت فرنسا فرصة ضعف الدولة العثمانية ، وسوء الأحوال فى مصر ، فجهزت جيشا جرارا مزودا بأفتك الأسلحة ، وأرسلته فى حملة بحرية إلى شواطئ مصر لاحتلالها واستعمارها ، وفاجأت الحملة الديار المصرية بالهجوم الغادر دون سبب أو مبرر ، وتمكنت من هزيمة المماليك واحتلال البلاد ، ولكن الشعب المصرى رفض الاحتلال من أول يوم ، وهب يقاوم الحملة الفرنسية الغاشمة بكل قوة ، وثار ضدها مرات عديدة ، حتى ساعدته الظروف بتحقيق آماله وجلاء العدو الغاصب عن دياره الطاهرة ، وانتهت الحملة الفرنسية على مصر بالفشل بعد ثلاث سنوات من الاحتلال البغيض والمقاومة البطولية الشريفة وعاد العثمانيون إلى مصر ، وعادت فلول المماليك ولكن الشعب المصرى كان قد استيقظ يقظة كان لها آثارها الكبيرة التى سيأتى الحديث عنها فى الباب الثالث إن شاء الله .

تعليق على الحملة الفرنسية :

كانت الحملة الفرنسية على مصر والشام حملة عدوانية استعمارية بكل المقاييس ، وكما هى العادة يتخفى المستعمرون ويسترون مقاصدهم الخبيثة فى استعباد الشعوب واستنزاف خيراتها بشعارات زائفة من الصداقة والتحضر ، وهذا ما أعلنه الفرنسيون للشعب المصرى الذى لم ينخدع بأكاذيبهم المفضوحة ، ولمّا أخذ المحتلون يفرضون قوانينهم الجائرة وينشرون

---

(١) ومات (على بك) محسورا بعد جرحه وأسره فى إحدى معاركه مع تابعه الغادر الذى باء بلعنة التاريخ .

مباذلهم من الخمور والفجور والإفساد مارس المصريون حقهم المشروع فى الثورة على كل ذلك وفى الإصرار على جلاء الدخلاء المعتدين ، والقتال حتى يتحقق هذا الهدف النبيل .

فقابل الفرنسيون (الأصدقاء المتحضرون !!) ذلك بأبشع وسائل القمع والتدمير التى كان يتسلح بها جيشهم من مدافع وقنابل سلطوها على الأبرياء المجاهدين سفكا لدمائهم ، وهدما لبيوتهم ، وإمعانا منهم فى إهانة الشعب المصرى دخلوا (الأزهر) معقل الإسلام والعلم ، ووطئوه بخيولهم ، وداسوا مقدساته ومزقوا (القرآن الكريم)، وبطشوا بالعلماء والطلاب ، وعبثوا بكتبهم ونهبوا ذخائرهم فى خسة ونذالة ووحشية منقطعة النظير ، ومع كل ذلك صمد المصريون فى قتال الدخلاء المجرمين ، وسقط مئات الشهداء فى حرب غير متكافئة بين مسلح وأعزل – ولما عقدت الهدنة بين الفرنسيس والثوار ، بشرط تأمين من بقى من زعماء الثورة المصريين ، وانتهى القتال على ذلك ، قبض (نابليون) على هؤلاء الزعماء الشرفاء المدافعين عن أوطانهم وأعراضهم ومقدساتهم وأمر بإغراقهم ليلا فى مياه نهر النيل خيانة منه وغدرا ، ونقضا لكل العهود والمواثيق ([1]) ، أليس هذا الطاغية (نابليون) هو الذى قتل السيد (محمد كريّم) حاكم الإسكندرية الوطنىّ الشريف ظلما وعدوانا مع تقدمه فى السن ؟! ولعلك تعجب معى أيها القارئ الكريم عندما تقرأ فى صحف هذه الأيام أن نفرًا من الكتّاب المصريين (الشاذين) يقترحون الاحتفال بذكرى الحملة الفرنسية على مصر ([2]) باعتبارها فى نظرهم حملة تنوير وتحضّر للشعب المصرى !! ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون

([1]) ويقال بعد هذا إن هذا السفاح الأثيم من عظماء التاريخ !! .

([2]) بمناسبة مرور مائتى عام عليها .

إلا كذبا وزورًا وافتراء ، وقلبا للحقائق التاريخية الدامغة التى قدمنا طرفا منها .

وما الحملة الفرنسية التى أوجزنا بعض مخازيها إلا امتداد لحملة (لويس التاسع) الفاشلة على مصر ، وحلقة من حلقات الحروب الصليبية الملعونة التى اتخذت فى العصور الحديثة اسما جديدا هو (الاستعمار) ، وهو اسم أطلق على ضد معناه ، فهو فى الحقيقة تدمير وتخريب للشعوب التى ابتليت به لمادياتها ومعنوياتها على السواء .

إن أصحاب هذه المقولة فئة ضالة من العلمانيين الضالين أذناب المستعمرين وبقايا اليساريين الشيوعيين والملحدين فى هذا البلد المنكوب بهم . فليتنبه الشرفاء المخلصون ، ولتخرس ألسنة الكاذبين المضللين .

ونعود إلى الأحوال السياسية فى العصر العثمانى فنقول إنها كانت بوجه عام مضطربة سيئة ، وكان لهذا أثره السلبى على العلم والأدب ، لأن ازدهارهما ونهضتهما يحتاجان لمناخ سياسى هادئ ، وأحوال سياسية طيبة مستقرة .

ثانيا : سوء واضطراب الأحوال الاجتماعية :

أحدث تحول مصر من سلطنة كبرى فى عهد المماليك تشمل حدودها معظم البلاد العربية ، وتضم تحت جناحها كرسى الخلافة العباسية ، إلى ولاية تابعة للدولة العثمانية ، وفقدها لهذا المجد العتيد ، أحدث شعورا بالصدمة والنكبة ، والإحباط والأسف لدى خاصة المصريين ، وإحساسا بالمرارة والأسى واليأس لدى عامتهم ونتج عن هذه التبعية وفود كثير من الأتراك إلى مصر – مع الوالى – لتقلد الوظائف والمناصب المختلفة ، أو لتملك الإقطاعيات والأراضى الواسعة بعد نزعها من أصحابها .

والترك جنس عرفوا فى طباعهم غالبا بالشدة والغلظة ، وفى معاملاتهم بالقسوة ، فنال المصريون من ذلك الكثير ، وقاسوا منه ألوانا من العسف والبطش ، وتنافر ذلك مع طباع أهل مصر المعروفين بالوداعة والطيبة والهدوء ولين الجانب ٠ وكانت (الجزية) أو (الخراج) المفروض على مصر ، والذى كانت تؤديه سنويا إلى دار الخلافة فى (الأستانة) عبئا ثقيلا على الخزانة المصرية ، أفقرها وشل يد الإصلاح لمرافقها ، وعاد على عامة الناس نتيجة الضرائب الباهظة بالفقر والضيق والكرب الشديد ٠ ولولا أن مصر مشمولة برحمة الله بنيلها العظيم ، وما خص الله تعالى أرضها به من خصب وخير – كانت ردءا لشعبها فى النكبات والملمات لعصف الظلم و الفقر بهذا الشعب ، وقضى عليه ٠ فالحياة الاجتماعية كانت مضطربة بين بؤس للغالبية العظمى من الشعب ، وثراء وترف للقلة الحاكمة من أتراك ومماليك ، وبعض كبار التجار – ولقد كان لنقل السلطان (سليم) من مصر مَهَرَةَ الصُّناع وكثيرًا من الصناعات – حتى ليقول (الجبرتى) المؤرخ الكبير :

" وأخذ السلطان سليم معه ما انتقاه من أرباب الصنائع التى لم توجد فى بلاده ، بحيث فُقد من مصر نيف [1] وخمسون صنعة " [2] – كان لفقد مصر هذه الثروة الصناعية أثر بالغ فى كساد الصناعة وبالتالى فى كساد التجارة وما أصاب البلاد من بطالة الأيدى العاملة وتردى الأحوال الاقتصادية [ولابد أن نلاحظ هنا أن نقل (سليم) هذه الصناعات من مصر إلى تركيا دليل ناصع على أنه كان بمصر نهضة صناعية مرموقة ، وتقدم لم يكن موجودا فى بلاده ، وأن القاهرة كانت فى وضع

---

[1] النيف من واحد إلى ثلاثة ٠

[2] تاريخ الجبرتى حـ١ ص٣٧ ط٢ دار الجبل بيروت ١٩٧٨ م ٠

حضارى أفضل بكثير مما كان فى (إسلامبول) ، وهذه حقيقة لا جدال فيها] .

كما كان التنازع بين الأتراك والمماليك على السلطة وكذلك بين طوائف المماليك على الحكم ومغانمه ، ذا أثر وبيل فى فَقْدِ الأمن ، وشيوع الخوف والذعر ، لكثرة ما كان ينتج من هذا التنازع من القتال والسلب والنهب ، مما تجد تفاصيله المؤلمة فى الكتب التى أرّخت لهذا العصر وبخاصة كتاب (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) للعلامة الشيخ (عبد الرحمن الجبرتى) لأنه كتب عن مشاهدةٍ وعِيان لكثيرٍ من أحداث هذا العصر ([1]) ولولا لياذ الشعب المصرى بالعلماء فى الأزمات ، وعندما يطفح الكيل ، ويشتد الكرب من طغيان الحكام واستبدادهم ، وتحرك العلماء معه ضد هؤلاء الحكام بالنصح والزجر ، وقيادة العلماء جموع الشعب الساخط المدافع عن حقوقه حتى يعود الحق إلى نصابه ويرتفع الظلم ، وانصياع طغاة الحكام - ولو مؤقتا - لقضاءِ العلماءِ وحُكْمِ الشرع - لولا هذا لاستحالت الحياة ، وعمت الفوضى ، وخربت البلاد وهلك العباد .

[ومن كل هذا يتبينُ أن (الأحوال الاجتماعية) فى عهد العثمانيين لم تكن بيئة صالحة لإنتاج أدب جيد ناهض ، ولا لازدهار علم ، ولا لنهضة حضارة .]

([1]) ولد الجبرتى عام ١١٦٧ هـ وأدرك الحملة الفرنسية وأوائل عهد (محمد على) وأرخ لهما .

(ثالثا) : ضعف وجمود الحياة العقلية :

تزدهر الحياة العقلية والفكرية من علوم وآداب وفنون بوجود عناصر كثيرة منها: ١ تشجيع الحكام على الإجادة والتبحر في العلوم والفنون ، وإغداقهم المال على العلماء والأدباء ، ولا يكون ذلك إلا إذا كانوا على قدر من فهم لغة تلك العلوم والآداب وتذوق آثارها .

٢ - ومنها : تيسير طلب العلم للناس بالإكثار من إنشاء المدارس والمعاهد والمكتبات العامة ، والعناية بالقائم منها فعلا .

٣ - ومنها : وجود مؤسسات رسمية تعنى بالأدب ، وتزدهر في جنباتها الفصاحة والبلاغة ، مثل (ديوان الإنشاء) .

٤ - ومنها : استقرار العلماء والأدباء في أوطانهم من غير إزعاج بنفي أو تهجير . ومنها ٥: وجود جو من الحرية والتسامح يتيح للألسنة أن تنطلق ، وللحناجر أن تغرد ، وللمواهب أن تتضح ومنها ألا تزاحم اللغة القومية لغة أخرى في عقر دارها ، تحظى بالعناية حتى تزحزح اللغة الأصلية عن مكانها ، وتحل محلها في الشئون الرسيمة ، وتغزوها بكثير من كلماتها ومصطلحاتها .

وهذه العناصر لم تتوافر — من أسف — في العصر العثماني

١- فقد كان (الولاة) الذين يرسلهم الخليفة العثماني إلى مصر والبلاد العربية ، كانوا (أتراكا) ، فكانوا يجهلون اللغة العربية غالبا ، ولا يتذوقون أدبها ، ولا يثيبون المبدعين من الشعراء والكتاب .

٢- وقد تصرف كثير منهم في الأوقاف التي كانت موقوفة على دور العلم وطلابها ومدارسيها ، فقل الإقبال على

طلب العلم وقل بناء المدارس والمعاهد ، وقلت العناية بالموجود منها .

٣- وألغى (ديوان الإنشاء) الذى كان بمثابة معهد عال لتخريج الكتاب المبدعين وتدريبهم ، وتصدر عنه المكاتبات الرسمية للدولة مصوغة فى أجمل الأساليب ، وله رئيس من كبار الأدباء فى مرتبة وزير .

٤- ومنى العلم والأدب بخسارة كبيرة عندما اصطحب (السلطان سليم) معه إلى تركيا نخبة من أفاضل العلماء والأدباء فأقفرت مصر من فضلهم وزاد الفجيعة أن بعضهم غرقت به السفينة فى البحر فى أثناء رحلة السفر من مصر إلى تركيا .

٥- وعظمت الخسارة بنقل (سليم) أيضا نفائس الكتب وذخائر المخطوطات فى كل علم وفن من مكتبات القاهرة إلى عاصمته (الأستانة) .

٦- وضربت اللغة العربية ضربة شديدة بإحلال (اللغة التركية) محل (العربية) فى الدواوين والمكاتبات الرسمية ،وتسرب إلى اللغة العربية كثير من الألفاظ التركية والفارسية [1] .

ولكن الحياة العقلية ، وإن ضعفت لهذه العوامل ، فقد تشبثت بالحياة ، وكافحت فى سبيل الاستمرار والبقاء وصمدت،وقاومت عوامل الاندثار والفناء وكفل لها ذلك عاملان عظيمان :

---

[1] لأن الأتراك كانوا متأثرين بالحضارة الفارسية من أيام (السلاجقة) .

أولهما : أن لغة العلم والأدب هى (العربية) وهـــى لغــة (القرآن الكريم) ، فهى محبوبة إلى النفـــوس ، وتعظيمـــها مركوز فى القلوب لدى الجميع(عَرَبـًـا وأتراكـا)، حُكَّامـًـا ومحكومين بحكم العاطفة الدينية ، والضــــرورة العمليــة ، لارتباط اللغة العربية بمعرفة أحكام الشريعة الإسلامية ، فلها أى اللغة العربية) وضعها الخاص ومكانتها المتميزة .

ثانيا : وجود الأزهر الشريف بمصر .

دور الأزهر الشريف فى الحفاظ على العلم والأدب :

قام الأزهر بدور عظيم فــى احتضـــان العلـــوم وبخاصــة الشرعية والعقلية ، ودراسة اللغة وآدابها على نطاق واســع ومنظم لجميع الوافدين عليه والملتحقين به من أهل مصـــر ومن خارجها ، وظل الأزهر يؤدى هذه الرسالة الجليلة فـــى (العصر العثمانى) على نحو يقارب ما كـــان عليـــه فـــى العصرين السابقين (الأيوبى والمملوكى) فهو محور العلـــم والأدب ، ومركز الثقافة ومنارة الدين فى العالمين العربـــى والإسلامى ، يفد إليه الطلاب من أدانى البــــلاد وأقاصيـــها ليجدوا الرحب والسعة حيث خصصت لهم (الأروقـــة) (١) للإقامة والسكن ،وأُجْرِيَتْ عليهم الأرزاق من طعام وكســوة يقيمون فيه ما يقيمون ، ثم يعودون إلـــى ديـــارهم ليــؤدوا مهمتهم فى خدمة العلم والإســـلام . وكـــان الطـــالب يبـــدأ بدراسة الكتب الصغيرة فى شتى العلوم ثم ينتقل بعدها إلـــى المتوسطة فالكبيرة ، ويقضى فى ذلك الأعـــوام والســنين ، حتى إذا نضج وأتقن فهمَ العلوم خضع لاختبـــارات مـــن شيوخه فإذا وفق فيها حصل منهم على الإجـــازة بـــالتدريس والتعليم فى الأزهر نفسه أو فى خارجه ، وصلـــح للإمامـــة والخطابة والفتيا فى بلاده .

---

(١) جمع رواق وهى بيوت متلاصقة يتكون كل منها من عدة حجرات مخصصة لســـكنى الطلاب من بلد معين وبلغة عصرنا تمثل الأروقة (مدينة جامعية) .

وكان الطلاب يتحلّقون حول أستاذهم لتلقى الدروس فى الجامع الأزهر ، والمساجد الكبرى الملحقة به والتى تعتبر فروعا له فى القاهرة كمسجد (المشهد الحسينى) ومسجد (المؤيد) ومسجد (المردانى) ...... الخ .

وكل استاذ له(حلقة)يؤمها طلابه ، وهو مستند الى عمود من أعمدة المسجد جالسا على كرسى أما طلابه فقعود على أرض المسجد المفروشة بالحصير أو بالأبسطة ، وتبدأ الدراسة يوميا من بعد صلاة الفجر الى صلاة العشاء ، تتخللها الصلوات وفترات قصيرة للراحة وتناول الغداء ويأخذ الطلاب وأساتذتهم إجازة من الدراسة طيلة شهر (رمضان) ، من كل عام ، حيث يقضونه فى بلادهم فى زيارة أهليهم ، ويتفرغون للصوم والعبادة .

وكانوا يستذكرون دروسهم إما فى مساكنهم وأروقتهم وإما ــ وهو الغالب ــ فى (صحن) الجامع الأزهر نفسه وهو فناء مربع واسع جدا غير مسقوف تحيط به الأعمدة الرخامية الجميلة من جوانبه الأربعة كما تحيط به أربعة إيوانات مسقوفة ، وأرض الصحن مبلطة وَيُؤَدِّى من ناحية القبلة الى الساحة الداخلية للمسجد (المقصورة) التى تقام فيها الصلاة ، وتلقى فيها الدروس .

وصحن الأزهر أول مايتلقاك وأنت دالف الى المسجد بعد المدخل الذى يلى الباب الكبير للمسجد ، وهو متنفس له ومكان صالح للمذاكرة لإتساعه العظيم ، وتمتعه بضوء الشمس وبالهواء النقى ، ووجود جزء ظليل حوله ، وانتهائه من أحد جوانبه بدورة مياه كبيرة للوضوء .

ويشعر الداخل إلى(الجامع الأزهر) براحة نفسية عجيبة لجوِّ السَّمَاحَةِ الذى يغشاه ، ولتعطُّره بِعَبَقِ العلم والعبادة مَعًا

، ولتلاقى جماعات المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها فيه لايُحِسُّ أحدٌ منهم بِغُرْبَةٍ ، ولايشعر بوحْشة فهو للجميع على قدمِ المساواة ، وعبَّر عن ذلك بعضُ الشعراءِ فقال (١).

رَحِيبٌ يَشِعُّ الضَّوْءُ مِنْ جَنَباتِهِ
وَأَمْنٌ يُلاقِيهِ مُقِيمٌ ونَازِحُ

ووصفه ذلك الشاعر نفسه نثرا فقال :ـ

" ماالأزهرُ إِلاَّ عالَمٌ إِسلامِىٌّ مُصَغَّرٌ ، وَمُؤْتَمرٌ إِسلامىٌّ دائِم "

وقد نبغ كثير من العلماء الأزهريين فى (العصر العثمانى) فى شتى العلوم والفنون التى درسوها فى الأزهر ، ولاسيما (العلوم الشرعية) من (التفسير) و (الحديث) و(الفقه) الذى كان يدرس على (المذاهب الأربعة) ، و (العلوم اللغوية) من (النحو) و (الصرف) و (متن اللغة) و(العلوم الأدبية والبلاغية والنقدية) من المعانى والبيان والبديع ، و (العلوم العقلية) من المنطق و (التوحيد) و(الأصول) وأدب البحث والمناظرة) و(العلوم الاجتماعية) من (التاريخ) و (السيرة) و (تقويم البلدان) أو (الجغرافية) ، هذه المجموعة تمثل (المواد الأساسية) التى كانت موضع الاهتمام الأعظم ، والى جانبها كانت تدرس مجموعة مواد ، تحظى بنصيب أقل من العناية والإقبال (كالرياضيات) الحساب والجبر والهندسة والحيل (الميكانيكا) وكعلم (الفلك) ، فهى علوم ثانوية بالنسبة للمجموعة الأولى .

وسيأتى فى آخر هذا الفصل حديث عن طريقة الدراسة فى هذه العلوم بقسميها ، ونقد لها وتعليق عليها .

---

(١) هو مؤلف هذا الكتاب ، وراجع ديوانه (الومضات) صـ ١٢٧ .

عوامل مساعدة :

ومما دَعَمَ العامليْن الكبيريْن السابقيْن عوامل أُخرى مساعدة هى :

١ــ وجود (مدارس أخرى) بجانب الأزهر وإن كانت قليلة متخصصة فى بعض العلوم (كالطب والصيدلة) ، وكانت ملحقة بالمستشفيات الكبيرة (البيمارستانات) وكان أطباؤها يمارسون فيها الى جانب علاج المرضى تدريس الطب والصيدلة لمعاونيهم وطلابهم ، ويقيمون بتركيب الأدوية وصرفها للمرضى .

٢ ــ وجود (الكتاتيب) التى لعبت دورا مهمًّا فى تحفيظ وتعليم (القرآن الكريم) وكيفية تلاوته وأحكام تجْويده ، وتعليم صغار التلاميذ مبادئ القراءة والكتابة والحساب وبهذا كانت تُعِدُّهم للإلتحاق بالأزهر والمعاهد المناظرة له ، فهى بمثابة مدارس صغيرة ، وكان لها فى المدن الكبيرة أبنية خاصة ملحقة بالمساجدوفوق (الأسبلة) تبنيها الدولة أو يتطوع ببنائها أهل الخير من الأثرياء ، ويقوم بالتدريس فى كل منها شيخ حافظ للقرآن الكريم متقنٌ لأحكامه وتجويده وله مساعد يسمى (العريف) من تلاميذه الكبار ، وقد يكون (الكُتّاب) فى بيت الشيخ المحفظ ــ وهذا فى الريف ــ بتخصيص حجرة أو أكثر فيه لهذا الغرض ، وكانت الكتاتيب تسهم فى إزالة (الأمية) لمن يقتصرون عليها ولايكملون دراستهم بعدها ، وتؤدى رسالة التنوير بين طبقات الشعب ، لإنتشارها الواسع فى المدن والقرى على حدٍّ سواء .

٣ ــ (نمو المكتبات)

نمت المكتبات مرة أخرى ــ بعد ماأصابها من حَيْف فى أول العصر وذكرنا أسبابه فيما سبق ــ وكان نماؤهاً بفضل مانَسَخَهُ النَّسَاخون والورّاقون (أصحاب مهنة الوراقة) ، وكانوا يكتبون الكتب للمؤلفين لقاء جُعْل معلوم ، أو ينسخون

المراجع والكتب القديمة المهمة ، ويبيعونها للناس أو لتجار الكتب ، فأنجزوا من ذلك الكثير ، فعمرتْ المكتباتُ وأسهمت فى بعث الحياة الفكرية ، وبخاصة (مكتبة الجامع الأزهر) التى كان يُهْدِى لها كثير من الأمراء وكبار العلماء مكتباتهم الخاصة عند وفاتهم ومكتبات المساجد والمدارس .

ومماهو جدير بالذكر أنه فى أواخر هذا العصر تعرضتْ المكتبات لمحنة ثانية ، فقد نهب (الفرنسيون) جزءا كبيرا منها فى أثناء الحملة الفرنسية على مصر ، وحملوه معهم عند عودتهم الى بلادهم ، وسُرِق جزء آخرُ ، وبيع لسماسرة الكتب من الأجانب ، ونقل الى عواصم أوربا ، وصار قسما من مكتباتهم الكبرى فى (لندن) و (باريس) و (برلين) و(ليدن) وغيرها ، يراه الزائرون لهذه المكتبات حتى اليوم(١) .

٤ـ ومما دعم الحياة العقلية والفكرية ، وفود بعض العلماء والأدباء الأفاضل الى مصر واستقرارهم فيها من الحجاز والشام والعراق واليمن والمغرب وغيرها ، وممارستهم أنشطة علمية وأدبية تدريسا ومحاضرة وتأليفا ، من أشهرهم الشيخ (عبد القادر البغدادى) ، والشيخ (بهاء الدين العاملى) والشيخ (أحمد بن محمد المقرى) والشيخ (عبد الرحيم العباسى) والشيخ (مرتضى الزبيدى) ، والشيخ (عبد الغنى النابلسى) والطبيب (داود الإنطاكى) وغيرهم ، وسيأتى حديث عن مؤلفاتهم قريبا إن شاء الله

(١) وهذا شبيه بما فى متاحف أوربا من القطع الأثرية الإسلامية والفرعونية ، وكله مسروق من بلادنا ومهرب الى هناك فى الظلام ، وهو الآن معروض عندهم بلا حياء ، والانصاف يقتضى أن يرد هذا كله الى أهلة ووطنه ـ وإلا اعتبرت السرقة مصدرا للأقتناء بل والمباهاة.

تعالى وقد نبغ من (علماء مصر) الكثير فى شتى العلوم والفنون ، التى سبقت الإشارة اليها فى المجموعتين (الأساسية) و(الثانوية) ولكن الملاحظ أن معظم المؤلفات(فى هذا العصر كانت فى مجموعة (العلوم الأساسية) من شرعية ولغوية وعقلية إما (شروحا) لكتب الأقدمين أو تعليقا عليهما فيما سمى (بالحواشى) و(التقريرات) أو اختصارا لها فيما سمى (بالمتون) فهى عالة على القديم ، وقل الابتكار والتجديد والاجتهاد — صحيح أن مؤلفيها من علماء الأزهر قد درسوا موضوعات هذه العلوم وألموا بكتبها الصغيرة والكبيرة وأتقنوها ولكن طريقة التدريس والتأليف كانت تغلب عليها عليها النواحى (اللفظية) وتتقيد فى كل مرحلة بكتاب معين مثل (ألفية ابن مالك) فى النحو والصرف وماألف حولها من شروح وحواش .

ولهذه الطريقة مزايا وعيوب ، (فمن مزاياها) : الدقة فى فهم الألفاظ ، والوقوف عند كل كلمة وجملة ، وذكر التأويلات المحتملة فى فهمها وبيان المراد منها ، وشدة العناية بالتعريفات ومحترزاتها وهى طريقة تكسب ملكة اليقظة والدربة على فهم أعوص الأساليب وتذليل أعقد المشكلات .(ومن عيوبها) إضاعة الوقت فى المماحكات اللفظية التى قد تجنى على فهم الموضوع الأصلى وإدراك مقاصده وتحول دون تبسيطه وتيسيره وإحسان تطبيقاته .

وأما (علوم المجموعة الثانوية)كالرياضيات فقد اكتفوا منها بالقليل ففى (الحساب) مثلا أخذوا مايعين على تقسيم التركات والمواريث ، وتعيين أنصبة أصحاب الفروض وغيرهم ، وعلى مايعين التجار على ضبط أموالهم ، وتقدير أرباحهم وخسائرهم فحسب ، ولم يتبحروا فى الطب والفلك والهندسة وماإليها كما ينبغى ، بل اكتفوا بالقليل مما أخذوه

عن العصر العباسى الزاهر دون إضافة ، كما أنهم لم يتصلوا بالنهضة العلمية فى (أوربا) التى ارتكزت فى الأصل على ماأخذه الأوربيون من علوم المسلمين ، فاستثمروه وطوروه وسبقوا المسلمين الأواخر فى ميادين هذه العلوم ومن أشهر المؤلفات فى هذا العصر :

ـ (تاج العروس فى شرح القاموس) للشيخ (مرتضى الحسينى الزبيدى) فى متن اللغة والمعاجم وهو شرح نفيس على معجم نفيس .

ـ (حاشية الشيخ (محمد بن على الصبان) على (شرح الأشمونى) لألفية (ابن مالك) ، وهذه الحاشية من الكتب الرفيعة المستوى فى علمى (النحو والتصريف) ومن أفضل ماألف حول (الألفية) من كتب وماأكثرها .

ـ (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) للشيخ الأديب (عبد الرحيم بن أحمد العباسى) المتوفى عام ٩٦٣ هـ فى ثلاثة أجزاء وهو كتاب (بلاغة وأدب) وهو الى الأدب أقرب لما فيه من تراجم الشعراء وأخبارهم ومنتخباتٍ من أشعارهم ، وقد جعل من الشواهد الشعرية الموجودة فى كتاب (تلخيص المفتاح) للخطيب القزوينى منطلقا لكل ذلك فأبدع وأمتع ، وساق من الفوائد والفرائد ماأعجب وأطرب ، ويكفى أنه ـ كما ذكر محققه أستاذنا العلامة (الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد) ـ كان سَمِيرَ الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) وأنه رحمه الله كان كثير القراءة فيه والمعاودة له (١) .

---

(١) راجع معاهدالتنصيص نشر التجارية بالقاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م

■ (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب) للأديب الكبير الشيخ (أحمد بن محمد المقرى) المتوفى عام ١٠٤١ هـ في عشرين مجلدا .

وهو من أعظم الكتب في الأدب الأندلسي بخاصة ومن أكبر المراجع وأنفعها وأمتعها في الأدب العربي بعامة .

■ (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) للشيخ الأديب البارع عبدالقادر بن عمر البغدادى) المتوفى عام ١٠٩٣ هـ في نحو عشرة أجزاء وهو شرح لشواهد الرضى ، في شرحه (للكافية) لابن الحاجب التى بلغت ٩٥٧ شاهدا (تسعمائة وسبعة وخمسين) ــ جمع فيه علوم الأدب واللغة بأسرها إلا القليل " وقال محققه الأستاذ (عبدالسلام هارون): " .... ويعد أعلى موسوعة في علوم العربية وآدابها ..... " الخ [1] .

■ (ريحانة الألبا وزينة الحياة الدنيا) من تأليف (شهاب الدين الخفاجى المتوفى عام ١٠٩٦ هـ الكاتب الشاعر المؤلف ، وكتابة هذا يشتمل على تراجم لبعض أدباء عصره ، ومختارات من آثارهم .

■ (شفاء الغليل ، بما في لغة العرب من الدخيل) له أيضا جمع فيه طائفة من الألفاظ الدخيلة والمعرّبة ، وضمّنه مباحث مفيدة [2] .

---

(١) راجع الخزانة مقدمة المحقق جـ ١ ص ١٩ ط الهيئة المصرية ١٩٧٩ م .

(٢) راجع المفصل في تاريخ الأدب العربي جـ ٢ ص ٢٨٠ مطبعة مصر ١٣٥٢هـ ١٩٣٤م .

وكثر التأليف فى التاريخ والسير ومن ذلك :

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، لابن إياس الحنفى (محمد بن أحمد) المتوفى عام ٩٣٠ هـ ، وهو من أهم الكتب التى ألفت عن عصرى المماليك والعثمانيين وقد أدرك المؤلف آخر العصر الأول وأول الثانى فهو من مخضرمى هاتين الدولتين .

- إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون : للشيخ على بن نور الدين الحلبى المتوفى عام ١٠٤٤هـ وهذا الكتاب فى سيرة سيدنا محمد رسول الله عليه السلام ويعرف (بالسيرة الحلبية) وقد تلقاه العلماء بالقبول والاستحسان وانتفع الناس به ومازال مرجعاً قيِّماً من مراجع السيرة النبوية الشريفة .

- تاريخ الإسحاقى : لمحمد بن عبدالباقى الإسحاقى المتوفى عام ١٠٦٠ هـ وهو المسمى بـ (لطائف أخبار الأُوَل فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول) وهو كتاب قيِّم من مصادر تاريخ (الجبرتى) الشهير .

- عجائب الآثار فى التراجم والأخبار للشيخ (عبدالرحمن بن حسن الجبرتى) وهو كتاب طريف أرَّخ فيه لأحداث عصره بطريقة شائقة فقد التزم بتسجيل الوقائع يوما بيوم ، وقد عاش فى عصر وقعت فيه أحداث جسام (من قبيل الحملة الفرنسية على مصر إلى جزء كبير من ولاية (محمد على) حُكْمَ مصر) فكان خير مسجل لها فى إحاطة وأمانة مع التعليقات المناسبة .

- وفى الطب والصيدلة أُلِّفَ كتاب (التذكرة) للطبيب الحاذق (داود الإنطاكى) المتوفى عام ١٠٠٨ هـ وهو من أفضل المراجع فى عصره لهذين العلمين ، واسم كتابه بالكامل هو : { تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب } واشتهر باسم (تذكرة داود) .

▪ وظهرت كتب كثيرة فى التَّصَوُّفِ والرُّوحانيات لانطيل بذكرها ــ وكثير من كتب هذا العصر (مخطوط) لم يطبع أو مفقود .

ونختم حديثنا عن الحياة العقلية فى (العصر العثمانى) بأنه قد تبين مما سبق أن هذه الحياة لم تنطفئ شعلتها بـــل اســتمرت ، وكانت أضواؤها أقلَّ نسبياً من العصور السابقة ، وأن رَايَتَها لــمْ تُنَكّسْ ، وإنما تراجعتْ شيئا مّا وربما نزلتْ قليلا عــن علوهــا الماضى فى العصر السابق (المملوكى)

فقد رأينا فى المؤلفين أعلاما وفى كتبهم نفــائسَ ودُرَراً كنفــح الطيب وخزانة الأدب وغيرهما فليس لنا أن نحكمَ بأنـــه عصــر انحطاط كامل فى العلم والأدب ــ وإنما (تحريا للإنصاف) نقرر أنه عصرٌ لَحِقَ به بعضُ الضعف وشيءٌ مِــن الفتــور وأن فيــه ومضاتٍ من النهضة ، ولمحاتٍ من الإشْـراق وحركـةً علميــة وأدبية جديرة بالدراسة والبحث وبالوقوف عندها لاســتجلاء مــا فيها من إبداعات وإشراقات .

أما (الشعر والنثر) فى العصر العثمانى وأحوالُهما بالتفصيل ، وأشهرُ أربابهما من الشعراء والكتاب وطبقاتهم ، وعرضُ أنماذجَ من إبداعاتهم والتعليقُ عليها ، فلذلك فصلان ضافيان نعقدهما فى فرصة قادمة . إن شاء الله تعالى

الباب الثالث

الأدب فى العصر الحديث

الى	من
اليوم	١٢٢٠ هـ
››	١٨٠٥ م

الفصل الأول

أضواء على العصر الحديث
بدايته ومدته ، وأهم الأحداث التى وقعت فيه وأثرت على حيواته : السياسية والاجتماعية والفكرية •

يبدأ العصر الحديث بولاية (محمد على) أمر مصر عام ١٢٢٠ هـ ١٨٠٥م من قبل العثمانيين ثم استقلاله بها ، وتأسيسه دولة له ولأسرته فيها بعد ذلك •

ويمتد هذا العصر إلى وقتنا الحاضر ، ليكمل حتى عامنا هذا (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م*) قرابة قرنين من الزمان ، وهو عصر حافل بالأحداث السياسية الكبرى ، والتحولات الاجتماعية والفكرية ، وعصر نهضة أدبية سنتناولها بالدراسة فى الفصول القادمة بإذن الله •

وكانت ولاية (محمد على) فى أعقاب رحيل الفرنسيين عن مصر عام ١٢١٦هـ ١٨٠١ م بعد فشل الحملة الفرنسية على مصر بقيادة المغامر (نابليون بونابرت) فى تحقيق أهدافها الاستعمارية الخبيثة •

فقد استعادت الدولة العثمانية سيادتها على مصر ، وأرسلت إليها الولاة من جديد ، ليسكنوا قلعتها الشامخة ، كما عادت فلول المماليك الذين كانوا قد فروا من وجه الحملة الفرنسية بعد هزيمتهم أمامها ، عادت هذه الفلول لتشارك الولاة العثمانيين حكم البلاد ، ويتولى زعماؤهم منصب (مشيخة البلد) ، كما كان الحال عليه قبل الحملة الفرنسية ، وعاد الصراع بين (الولاة الأتراك) و(المماليك) ليحتدم ويتفاقم بين هاتين القوتين الباغيتين ، وساءت الأحوال فى البلاد نتيجة لهذا التناحر الذى لا

---

* تاريخ طبع هذا الكتاب •

مصلحة للشعب المصرى فيه ، ووقف التاريخ مترقبا من من هاتين القوتين سيحسم المعركة لصالحه وكان من المتوقع أن يتفق الفريقان على اقتسام السلطة والنفوذ فى هذه البلاد المنكوبة بهما على حد سواء ، كما كان الحال فى الماضى .

ولكن ظهر عامل جديد ، وبرزت قوة ثالثة على مسرح الأحداث لم تكن فى الحسبان ، تلك هى قوة (الشعب المصرى) الذى استيقظ بعد أحداث (الحملة الفرنسية) الجسام ، وعرف حقوقه وأدرك مكانته فهو الذى حمل عبء الثورة على أعداء وطنه ودينه من الفرنسيين الغازين والمحتلين ، ولم يعبأ بقوتهم المتفوقة ، ولا بأسلحتهم الرهيبة الفتاكة ، وأعباء وهموم إخراجهم من مصر مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات ، بعد أن تقاعست (الدولة العثمانية) من رد الفرنسيين من أول يوم ، وعن أخراجهم من البلاد لقرابة ثلاث سنوات ، وبعد أن فرَّ (المماليك)بعد الصدمة الأولى والهزيمة أمام الفرنسيين ، فلم يعاودوا الكرة عليهم ، ولم يصمدوا لقتالهم ، وتركوا الشعب المصرى وحده يواجه الغزاة العتاة .

فنهض هذا الشعب العريق الأبىُّ المقدام لمنازلة الفرنسيين فى كل مكان احتلوه ودنسوه ، نهض بإمكاناته المتواضعة يقاتل بشراسة ، ويحارب ببسالة نادرة عن الوطن والدين والعرض " والشرف ، وقدم للحرية ثمنا غاليا من ماله ودماء أبنائه ، وسقط الشهداء الأبرار بالمئات والألوف فى ثورتى (القاهرة) وثورات الأقاليم فى (الوجه البحرى) و(الصعيد) .

وكان لثوراته تلك أعظم الأثر فى جلاء الغاصبين الفرنسيين عن أرضه الحبيبة وترابه المقدس ، بعد ثلاث سنوات فقط ــ من قدومها البغيض ــ كانت كلها كفاحا لا يكل ، ومقاومة لا تهدأ ولا تنام .

لقد شعر الشعب المصرى ــ بعد انقشاع ظلام الحملة الفرنسية الكئيب ، وانقضاء أيامها الكالحة السوداء ، شعر الشعب بقوته وفعاليته ، وقدرته على تحريك الأحداث وصنع التاريخ ، وظهرت فيه زعامات قوية على رأسها (السيد عمر مكرم) نقيب الأشراف ومعه نخبة من كبار علماء الأزهر فى مقدمتهم (الشيخ عبدالله الشرقاوى) عبرت عن آماله وأمانيه فى الحرية ، وفى حكم صالح يشارك فيه الشعب ويكون له فيه الرأى الأول فى اختيار الحاكم . ولم يقف هؤلاء الزعماء ــ ومن خلفهم جموع الأمة ــ من الأحداث موقف المتفرج ، بل أخذوا يجتمعون ويتداولون الأمور ويتشاورون فى شأن بلدهم الحبيب ، وما ينبغى أن تسهم به الأمة جمعاء فى تقرير مصير الوطن ، وتحديد مستقبله فى هذه الحقبة التاريخية الفاصلة.

و(محمد على) ضابط البانى [1] كان ضمن الجيش العثمانى الذى أرسلته الدولة العثمانية إلى مصر لإخراج الفرنسيين منها وترقى إلى قائد لفرقته ، وكان ذكيا طموحا صاحب مكر ودهاء يخفى مطامعه التى لاحد لها تحت قناع من الطيبة والاستقامة ، وحب العدل ، وكراهية الظلم والعدوان الذى كان يمارسه الأتراك والمماليك ، وساءت الأحوال فى مصر نتيجة اشتداد الصراع على السلطة بين الأتراك والمماليك، والشعب المصرى ساخط على كليهما و(محمد على) يرقب هذا الصراع

---

[1] (ألبانيا) قطر أوربى صغير يقع شمال (اليونان) وجنوب بلاد (الصرب) وغرب (بلغاريا) وشرق (البحر الأدرياتى) قبالة (إيطاليا) وقد افتتحها (العثمانيون) عام ٧٩١هـ الموافق لعام ١٣٨٩م ضمن ما افتتحوه من بلاد البلقان ، ودخل أهله جميعا فى الإسلام ، وكانت (البانيا) أيام الدولة العثمانية فى أمن واطمئنان ، فلما زالت هذه الدولة أصبحت جزيرة إسلامية يحيط بها الإعداء من كل جانب فأغاروا عليها واقتسموا أراضيها وأخيرا احتلها الصرب الآثمون واضطهدوا أهلها وضموها قسرا إلى دولتهم الباغية ومازالت تعانى حتى اليوم .

فى يقظة تامة ، ويحاول أن يكون محايدا ، ويتظاهر أمام الشعب وقادته بأنه ساخط مثلهم ، وأنه غير راض عن المظالم التى تحيق بالناس من أى جانب، ويتقرب إلى المصريين بشتى الطرق ، ويتملقهم ، ويبدى الأسى لهم ، والعطف على أمانيهم فى العدل والكرامة ، على خلاف أمثاله من القادة والأتراك المتعجرفين .

فأنِس له المصريون ، وتعلقوا به ، وتحدث زعماؤهم ــ بعضهم إلى بعض ــ بأنه الرجل المناسب لحكم مصر ، وتقلد الولاية .

والمصريون معذورون فى اتجاههم لاختيار (محمد على) ، وكان المفروض أن يختاروا أحدهم مصريا صميما ليكون واليا عليهم ، لكن ذلك كان يستدعى أمورا جمة لم تكن فى أيديهم ، منها : القوة المادية التى تدعم مطلبهم وتحققه ، إذ كانت قوة الشعب المصرى التى نوهنا بها آنفا ،(قوة معنوية)أكثر منها مادية ، فلا جيش وطنى منظم ينهض بحماية الدولة ، ولاجهاز شرطة يحفظ الأمن الداخلى ، والأجهزة الإدارية بيد الأتراك والمماليك ليس غير .

ولأن (محمد على) يملك قوة مسلحة من الجيش العثمانى تعينه على الإمساك بناصية الأمور لو ولى الحكم ، ولما أظهره من ضروب المودة والإخلاص نحو الشعب المصرى وقادته ، واستقر رأيهم على ترشيحه للولاية ، ورأوا فى ذلك الخير الصواب ، فذهب وفد منهم إلى (محمد على) وفاتحوه فى الأمر ، فرحب بشدة ولكن فى حذر حتى يستوثق ويمكن لنفسه ، إذ أن رتبته فى الجيش العثمانى أقل من رتبة الولاية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فمن له بموافقة السلطان العثمانى الذى يختار الولاة عادة من رجاله فى الآستانة ولا يأخذ فى حسبانه رغبات الرعية ، كما أن للسلطان واليا موجودا فعلا فى مصر ، وإن كان غير حائز على رضا المصريين.

وقد حمل (محمد على) الزعماء المصريين عبء تذليل هذه العقبات ، وعرض المصريون شروطهم لذلك فيما لــو نجحت مساعيهم فى توليته ، وتتلخص فى أن يقيم العدل وينشر الأمــن ،وأن يكون حكمه (شوريا) لا استبداديا وأن يكون مجلس شــوراه من زعماء البلاد وكبار العلماء ، فلا يقطع أمرا دون موافقتهم ، وألا يفرض (ضريبة) إلا برضاهم ، وألا يظلم أو يسمح بظلــم أحد من الرعية •

فوافق (محمد على) على الفور على هذه الشروط ، وأعطاهم العهود المؤكدة ، والمواثيق المغلظة على الالتزام بها ، وعلى أن يكون عند حسن ظنهم ، وطوع أمرهم ، فصدقوه، واطمأنوا إليه، ووثقوا فى عهوده ، وانطلقوا يعملون جــاهدين لإجلاســه علــى أريكة الحكم،فأعلنوا للأمة ترشيحه وأخذوا تأييدهــا وتفويضــها للمطالبة رسميا بذلك، وأرسلوا إلــى الســلطان العثمــانى فــى (إسلامبول) يطلبون موافقته على من اختاره الشعــب المصــرى ليكون واليا عليهم •

وعارض السلطان فى أول الأمر ، لأنه كان يرى أن فى هذا المطلب افتئاتا على حقه فى تعيين مــن يشــاء لــهذا المنصــب الخطير، ولأن (محمد على) كان فى ذلك الوقت (نكــرة) فــى دوائر العاصمة التركية ، ولم تكن له رتبة رفيعــة ، ولا ســابقة تجيز ترشيحه لمثل هذا المنصب •

ولكن أمام إصرار الشعب المصرى عليه، ورفضه لأى وال سواه ــ اضطر السلطان إلى الموافقة على تعيين (محمد علــى) واليا على مصر ، وهو كاره لذلك •

ولما جاءت موافقة السلطان العثمانى على ولاية محمد على فرح الشعب المصرى فرحا عظيما ، واحتفل بتنصيبــه احتفــالا كبيرا ، لأنه حقق ــ لأول مرة منذ قرون ــ أمله فــى اختيــار

حاكمه بمحض إرادته ، وفى وضع أسس يلتزم بـــها الحـــاكم ، قوامها العدل والشورى • ولكن القدر كان يخبئ شيئاً آخر خيب آمال الأمة فى الحاكم الجديد من حيث التزامه بهذه الأسس بعـــد قليل من بداية حكمه الطويل للبلاد •

فاز (محمد على) بولاية مصر رسميا وشعبيا ، وكان عليه أن يواجه الصعاب ، ويذلل العقبات لتثبيت قدمه فيها ، ومنها حاجته إلى المال لدفع رواتب الجند وسد المصالح العاجلة ، واستعان بالعلماء والزعيم الشعبى (عمر مكرم) فى جمـــع هذا المال من التجار والقادرين دون اللجوء لغرض ضرائب جديدة تحنق الناس عليه - ثم صرف كل اهتمامه لإخضاع المماليك الذين طالبوه بنصيبهم من السلطة فلما أبى تمـــردوا عليه ولجئوا إلى الصعيد وتحصنوا به واستعدوا لمحاربته ، فأرسل إليهم الحملات وقاد بعضها بنفسه وكـــانت الحـــرب سجالا فمرة يهزمهم ومرة يهزمونـــه ، وفـــى أثنـــاء ذلـــك تعرضت مصر لغزو الإنجليز (بحملة فريزر) ، واحتلـــوا (الإسكندرية) و (رشيد) والوالى مشغول بحرب المماليك فى الصعيد ، فهادنهم ، وقرر العودة ليواجـــه هـــذا الأمـــر وتمكنت المقاومة الشعبية المصرية الباسلة فى رشيـــد مـــن هزيمة الإنجليز وضربهم ضربـــة قاصمـــة فـــارتدوا إلـــى الإسكندرية ثم جلوا عن البلاد ، وجنى (محمد على) ثمرة هذا النصر دون أن يبذل فيه جهدا ثم عاد لمحاربة المماليك، بالوجه القبلى ولما رأى قوة شكيمتهم لجـــأ إلـــى الحيلـــة ، وخادعهم وعرض عليهم الصلح - وهو يبيت لهم الشـــر - بشروط قبلوها أهمها أن يدخلوا فى طاعتـــه مقـــابل مغـــانم يعطيها لهم فى السلطة والوظائف ودعا زعماءهم للعودة إلى القاهرة فعادوا ، ولما استقربهم المقام واطمأنوا غـــدر بـــهم وفتك بهم على ما سيأتى بيانه • وزادت حاجته إلى المـــال للاستكثار من الجند والسلاح ، واصطناع الأعوان ، وتقديم الهدايا والرشى لرجال الدولة العثمانية فى (إســـلام بـــول) ولمن يقوم هناك بالأوامر والفرمانـــات وأيضـــا لإقامـــة الدور والقصور له ولأولاده وكبار أتباعه فاستعان على ذلك مرة بعد مرة بالعلماء والسيد عمر مكرم الزعيـــم الشعبـــى ونقيب الأشراف يجمعون له المال من القادرين فى صـــورة

معونة للدولة ، ثم فى صورة (قروض) ـ لا تـرد كما يقول الجبرتى ـ ولما لم يكفه ذلك وزاد سعاره للمال أخذ يفرض الضرائب دون الرجوع إلى مجلس الشورى ويحصلها جنوده بالعسف والشدة ، فضج الناس وهرعوا إلى العلماء وإلى النقيب للشكوى والاستغاثة فذهبوا إلى محمد على وطلبوا دفع هذه المظالم ، فحاول التنصل ببعض الأكاذيب والتعلات وطلب مهلة حاول فيها استمالة السيد عمر مكرم إليه ليغضى عن هذه الأمور ، فرفض السيد عمر وقاطع (محمد على) ولم يلب دعوته للحضور إليه فى القلعة، وحلف الا يقابله حتى يبطل المظالم ـ وكان من الممكن أن ينجح العلماء فى ردع محمد على وإرجاعه إلى العمل بالوثيقة التى عاهدهم عليها ، لو أنهم استمروا صفا واحدا مع النقيب ، لكن محمد على لجأ للحيلة حتى فرق صفوفهم ، فألان جانبه لفريق منهم ، وحرضهم على السيد عمر، فلما اختلفت كلمتهم أنتهز الفرصة وأصدر مرسوما بعزل السيد عمر مكرم من نقابة الأشراف ، ونفيه إلى دمياط وهكذا ضرب محمد على ضربته الغادرة لزعامة الشعب المصرى ، وتخاذل العلماء وأسلموا أجرأ عنصر فيهم وانفضوا عنه ، فخلا الجو لمحمد على ، وبطلت الرقابة الشعبية، وارتد الوالى عن مبدأ (الشورى) الذى كان أول شرط لاختيار الشعب إياه وعن سائر الشروط ونقض بذلك عهوده مع الأمة بعد أقل من أربع سنوات من ولايته ، وانفرد بالأمر ولم يعد للعلماء حتى ما كان لهم أيام المماليك من نفوذ كان يخفف عن الشعب بعض آلامهم ويدرأ عنهم كثيرا من المظالم .

مجمل (مساوئ (محمد على) :

وأصبح (محمد على)(دكتاتورا) رهيبا ، وحاكما مستبدا يفعل ما يشاء ، وحمل الرعية على أوامره ونواهيه بالسيف وبالحديد والنار ، وحق فيه المثل (تمسْكنَ حتى تمكّن) ، وأسفر عن وجهه الحقيقى وشخصيته الانتهازية المخادعه ، المستحلة لكل أنواع البغى ، والعداون فى سبيل تحقيق

مطامعه وأهدافه وكانت طريقته تقوم على إزاحة خصمه عن طريقه — حتى ولو كان خصما شريفا كالسيد عمر مكرم الزعيم الشعبي المحبوب — فإذا استعصى عليه خادعه ولوح له بالصلح حتى إذا أمن له غدر به فقتله كما فعل مع المماليك أو أخرجه من البلد كما فعل مع الزعيم النقيب عمرمكرم بعد كل الخدمات العظيمة التى أداها له ، وأجلسها تقليده ولاية البلاد ، وكانت (مذبحة القلعة) التى دبرها للمماليك تطبيقا لهذه الطريقة اللا أخلاقية — فبعد أن خان الشعب بنقض عهوده ومواثيقه ونفى زعيمه السيد عمر مكرم بعد عزله من منصبه اتجه إلى المماليك واستأنف محاولاته لإخضاعهم ، وكانوا معتصمين بالصعيد ، وقد اتحدت طوائفهم للوقوف ضده حتى يشركهم فى السلطة كما كانوا قديما ، وحاربهم فلم ينل منهم شيئا لكثرتهم وقوة شكيمتهم ، واجتماعهم على رأى واحد ، فلجأ إلى الحيلة لتحقيق هدفين أولهما : إيقاع الخلاف بينهم وقد نجح فى ذلك بدسائسه وعملائه فانقسموا على أنفسهم وتفرقت كلمتهم • ثانيهما: الفتك بهم بعد إيقاعهم فى فخ المصالحة ، حيث عرضها عليهم بشروط فيها تحقيق لكثير من مطالبهم فقبلوا ، ثم استدرج زعماءهم للحضور إلى القاهرة لإبرام الصلح النهائى ، وتقلد بعض الوظائف ، فحضروا مع أعوانهم ، ورحب الوالى بهم وهو يبيت لهم الشر المستطير، وبعد أن استقروا واطمأنوا إلى جانبه ، دبر مع أعوانه وجنوده مؤامرة لإبادتهم واستئصال شأفتهم* ، فدعاهم إلى وليمة فى القلعة احتفالا بإحدى المناسبات ، ولبوا الدعوة وصعدوا إليها آمنين ، وبعد الطعام وعند انصرافهم نازلين منها وعلى حين غرة سلط جنوده النار عليهم من أعلى ومن أسفل وحصدوهم برصاص بنادقهم حتى أفنوهم جميعا وكانو أكثر من ألف مملوك ، ثم أمر عماله بقتل من بقى من المماليك فى القاهرة والأقاليم ففعلوا وكانوا الوفا مؤلفه ولم ينج منهم إلا أفراد فروا إلى الشام شمالا أو إلى السودان جنوبا •

* مذبحة القلعة

وبهذا العمل الدنئ، والغدر الشنيع ، والمذبحة البشعة التي سجلها التاريخ لمحمد على في أردأ صفحاته ، تخلص من خصومه ، وفي سبيل هذه الغاية داس عل كل القيم الدينية والأخلاقية ، مطبقا مبدأ(ميكافللى) (*) الذى يقرر :«أن الغاية تبرر الوسيلة »فلأجل هدفه يسحق خصمه ولو بأخس الوسائل ، وليس هذا من العدل ولا من الشرف في شيء ، وإذا اعتبرنا المماليك (بغاة) فأين هو من توجيه القرآن الكريم في ذلك إذ يقول الله تعالى { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين}([1])، وحتى الخصم الكافر المعاهد إذا خيفت خيانته أوجب الإسلام إعلانه بانتهاء عهده قبل مقاتلته ، وحرّم أخذه فجأة : تأمل قول الله تعالى:" وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين " ([2]) .

ويذكرنا غدر محمد على بالمماليك بغدر (نابليون) بالثوار المصريين الذى أشرنا إليه في فصل سابق ، وأرجح أن محمد على كان معجبا به ، ويترسم خطاه ، فقد كان (نابليون) معاصرا له ، وسابقا له في الهيمنة على مصر ، وشبيها به في الغرور والطغيان وسفك الدماء ، وقد جازى الله تعالى كلا منهما بسوء عمله وجعل من نهايتهما عبرة لمن يعتبر .

(فنابليون) كان أنانيا وصوليا يعمل لشخصه ومجده ، وساعدته الظروف بعد رحيله من مصر ، فوثب على الحكم

(*) مفكر إيطالى ألف كتابا لأحد الأمراء زين له هذه القاعدة الشيطانية .

([1]) سورة الحجرات آية ٩ .

([2]) سورة الأنفال آية ٥٨ .

فى فرنسا ، ثم أخذ فى شن خروب عدوانية متصلـــه علـــى جيرانه ، واحتل معظم ممالك أوربا وضمها لبلـــده ، ووزع عروشها على أقاربـــه وأفـــراد أســـرته ؛ ونصـــب نفســـه امبراطورا حاكما بأمره فى أوربا ثم لم يلبث أن هُزِم هزيمة منكرة ـــ لاستبداده ودكتاتوريته وسقط أســـيرا فـــى أيـــدى أعدائه، ونفى إلى جزيرة نائية موحشة حيث مـــات هنـــاك وحيدا شريدا •

و(محمد على) بعد أن تخلص من المماليك و أخـــذ فـــى تثبيت مركزه واتسعت آماله فى قرب وصوله إلى هدفه الذى كرس حياته من أجله ألا وهو : (أن يؤسس لنفســـه ملكـــا عريضا قاعدته مصر ، وأن يورثه لذريته من بعده) فســـخر جهوده وعبقريته وإمكانات مصر الطيبة لتحقيق هذا الـــهدف متوخيا النفع والمجد لشخصه وأسرته أوّلاً، ولا بأس أن ينال الرعية شىء بعد ذلك ولو أخلص هذا الرجل النية والعمل لله والأمة لكان له ولمصر شأن آخر أعظم " أكرم ، وأبقـــى ، وأدوم ! فعلى الرغم من انتصاراته الحربيـــة فـــى معظـــم الحروب التى خاضها ، ومن نجاحه فى تأسيس دولة حديثة فى مصر ، وفى قَصْر الحكـــم فيـــها علـــى أولاده ، إلا أن الأخطاء الفادحة التى ارتكبها ، والجنايـــات التـــى اقترفـــها خلفاؤه فى حق الشعب ، انتهت بزوال هذه الأسرة وتقويض بنيانها، بعد أن عاشت تحت ذل الاستعمار البريطانى) معظم أيامها • وعلى مســـتوى المؤســـس (محمدعلـــى) أصيـــب بالإحباط فى أخريات حكمه وانـــهار الجـــزء الأكـــبر مـــن مشروعاته التوسعية ، ثم أصيب(بالجنون)فتم عزله ، وتولية أبنه (إبراهيم) الذى عاجلته المنية فى حياة أبيه ، كما مـــات معظم أولاد محمد على فى حياته كذلك ، ومنهم مـــن مـــات محروقا فى السودان[1]وبعد وفاة إبراهيـــم تولـــى (عبـــاس

وهو (إسماعيل) بن محمد على

[1] حرقه (نمر) ملك (شندى) بسبب عجرفته وإهانته إياه •

الأول) حفيد محمد على ، ومات(محمدعلى) بعلته فى حياة هذا الحفيد الذى انتكست فى عهده النهضة التى أسسها جـــده فى شتى الميادين •

وقد حكم البلاد تسعة من ذرية محمد على([1])تموا به(عشرة)، وكانوا جميعا استبداديين لا شوريين ، وجلب معظمهم علـــى مصر الخراب والنكبات والكوارث فرابعهم (ســـعيد) هــو الذى منح ــ بجهله وعدم تبصره في الأمور ــ منح الأفـــاق (ديلسبس) الفرنسى امتياز حفرقناة الســـويس) التـــى كـــان حفرها وبالاعلى مصر فقد ذاق المصريون الويل فى حفرها تحت نظام السخرة اللعين ، فقدوا (مائه وعشرين ألفا) مـــن خيرة شبابهم ثم حرمت مصر من ثمارهـــا وصـــار ريعـــها طعمة للأجانب من الأوربيين على مـــدى (ســـبعة وثمـــانين عاما) ([2])وخامسهم (إسماعيل) وإن حاول إحياء النهضـــــة ، فقد كان إسرافه وسفهه سببا فى إيقاع مصــــر فـــى هاويـــة (الديون الربوية الأوربية) التى عصفت باستقلال البلاد كمـــا عصفت به فتم عزله وسادسهم(توفيق بن إسماعيل) هو الذى جلب بخيانته وضعفه كارثة الاحتلال الإنجليزى على البلاد ، الذى جثم على صدرها (أربعة وسبعين عاما) بســـامها فيـــه سوء العذاب وعاق تقدمها وانطلاقها نحو الرقى والعزة([3]) •

وجاء بعده حكام ضعفاء كانوا أذنابا للمستعمر، مـــا بيـــن (خديو) و(سلطان) و(ملك) ، وجاء عاشرهم وهو (فـــاروق)

([1]) هم : إبراهيم ، عباس الأول ، سعيد ، اسماعيل ، توفيق ، عباس الثانى ، حسين كامل، فواد ، فاروق •

([2]) من عام ١٨٦٩م وهو تاريخ افتتاحها إلى عام ١٩٥٦م وهو تاريخ تأميمها •

([3]) إذ لولا معوقات الا ستعمار البريطانى الأثيم لبلغت مصر اليوم ما بلغته (اليابان) الـــتى بدأت نهضتها مع مصر أوائل القرن التاسع عشر الميلادى •

فكان مثالا للبغى والفساد ، فحاق به سوء عمله ، وعزلتــه ثورة الجيش المصرى فى ٢٣ من يوليو عام١٩٥٢م ونفتــه خارج البلاد لينتهى بعزله عهد أسرة(محمدعلــى) وتطـوى صفحتهم إلى الأبد ، وتتحول مصر إلى (النظام الجمهورى) وتبدأ صفحة جديدة فى تاريخها •

وهناك خطيئة كبرى لحكام أسرة محمد على هــى أنــهم كانوا أول من جلب القوانين الوضعية الأوربية لتحكم البــلاد فى النواحى المدنية والجنائية ، وتعطيلهم أحكــام الشريعــة الإسلامية ـــ فيما عدا (الأحوال الشخصية)من زواج وطلاق وميراث ـــ وهى خطيئة مازال المجتمع المصرى يعانى من آثارها السيئة حتى اليوم •

(حسنات (محمد على) ودوره فى إنشاء دوله حديثه فى مصر

كما وجهنا النقد إلى شخصية (محمد على) وذكرنا جملة من أخطائه الفادحة يقتضينا الإنصاف أن نذكر حسناته وجــهوده الدائبة فى إقامة المشروعات التى نهضت بمصر ، وأوجدت فيها دولة جديدة ، انتعشت فيها العلوم والآداب والصناعــات ولابد من أن نقرر أن الفضل لم يكن له وحده ، بــل أيضــا لتوافر عوامل ساعدته على تحقيق هذه النهضة منها: –

١- طول مدة ولايته التى ناهزت أربعين سنة •

٢- وفرة الأموال التى جباها والتى وُهِبتْ له والتى اقترضــها[١] من شعب مصر الكريم المعطاء •

٣- عبقرية أبناء هذا الشعب ، ونجاحهم فى كل المجــالات التــى رشحهم لها فاقتحموها بهمة واقتدار •

٤- شجاعة المصريين فى كل الحروب التى خاضوها معه ، والتى كان معظمها فى نصــرة الدولــة العثمانيــة دولــة الخلافــة الإسلامية•

---

[١] وهى قروض لم ترد كما سجل (الجبرتى) رحمه الله فى تاريخه •

٥- اطلاعهم على جوانب النهضة الأوربية فى العلم والصناعة ، واقتباسهم منها ما هم فى حاجة إليه فى دقة ومهارة وإتقان •

٦- استيعابهم لكل جديد نافع ولو كان ضخما خطيرا كبناء الأساطيل وصنع معدات الحرب ، وإدارة المؤسسات العلمية والعملية ، وبالإجمال وجد (محمد على) فى مصير العريقة (خامات) طيبة وسواعد قوية وعقولا متفتحة ورجالا يعتمد عليهم ، متى تهيأت لهم الفرصة برزوا وتفوقوا ويجهودهم المخلصة اندفعت النهضة إلى الأمام ، ورسخت أقدامها فى شتى الميادين •

كان(محمد على مقتنعا بأنه لا دولة قوية بدون جيش قوى يحمى الدولة ويحمى عرشه وكان الجيش العثمانى الذى قدم هو معه إلى مصر أخلاطا من أجناس شتى ونوعيات مختلفة ما بين(دلاة) و(أرناءود) وغير أولئك ، وكانت أساليبهم الحربية عتيقة ، وأسلحتهم تقليدية ، وأمثال هؤلاء لا ترجى منهم استجابة لبناء جيش جديد ـــ فانتهز فرصة فناء معظم هذا الجيش القديم فى معاركه مع المماليك والحملة ضد الوهابيين ، وعزم على تحديث الجيش بعناصر جديدة ، وأسلحة حديثة ، على النسق الأوربى الذى رآه بنفسه فى جيش الحملة الفرنسية التى جاء إلى مصر للاشتراك فى إخراجها والجيش الإنجليزى الذى جاء متحالفا مع العثمانيين ضد الفرنسيين •

ولأن الجيش الحديث لابد له من(ضباط) دارسين لفنون الحرب ، و(أطباء) لعلاج الجنود ، و(بيطريين) لعلاج الدواب اللازمة للجنود ونقل العتاد ، و(مهندسين) لتصميم وتنفيذ إنشاءات الجيش فى السلم والحرب ، وطوائف من (الفنيين) للصناعات الحربية ، ومن (الإداريين) لتنظيم العمل فى داخل الجيش

الفصل الثانى
أسس النهضة الحديثة وعوامل قيامها

فقد احتاج إلى تنفيذ المشروعات التالية :-

إنشاء وفتح المدارس :

أخذ محمد على فى إنشاء وفتح المدارس المتخصصة (العالية) لتخريج هذه النوعيات كلها ، فأنشأ (مدرسة الطب البشرى ، ومدرسة الطب البيطرى) ومدرسة (المهندسخانة) والمدارس الحربية بأنواعها (المشاة) و(الفرسان) و(الطوبجية) أى المدفعية ، ومدرسة (الفنون والصنائع) ولكى يرقى بالزراعة التى تمد الجيش بالمؤن الغذائية أنشأ مدرسة (للزراعة) ولموسيقا الجيش أنشأ مدرسة (للموسيقا) وهكذا ٠٠٠٠

ومن أجل إيجاد قاعدة من الطلاب لهذه المدارس السابق ذكرها أنشأ العديد من المدارس (التجهيزية) أى (الثانوية) التى هى بدروها فى حاجة إلى قاعدة أكبر تستند إليها فأنشأ الكثير من المدارس (الابتدائية) ٠

ويلاحظ أن كثيرا من طلاب (الأزهر) الذى كان يمثل إلى هذا الحين الجهة التعليمية الوحيدة فى البلاد قدغذوا المدارس العالية والتجهيزية وانتظم فى صفوفها أعداد وفيرة منهم ، كما كانوا عمادا (البعثات) التى أرسلت إلى (أوربا) عقب ذلك ٠

وهكذا اكتمل الهيكل التعليمى الحديث فى مصر وكانت هذه المدارس تسير على نظام(التفرغ للدراسة)وتقوم الدولة بكفالة المأوى والملبس والمطعم لتلاميذها وطلابها ، لتشجيعهم على الالتحاق بها ، وتشجيع أبائهم كذلك على إلحاق أبنائهم واستمرارهم فى الدراسة ، وأجرت الدولة على مدرسيها الرواتب والمخصصات ، ما بين (وطنيين أزهريين) يقومون بتدريس اللغة العربية والمواد الدينية و(أجانب) استقدمهم الوالى من أوربا

ومن خريجي هذه المدارس الذين تقلدوا الوظائف المختلفة في الدولة نشأت في مصر طبقة (المتعلمين والمثقفين) الذين كان لهم شان كبير بعد ذلك في تطور مصر في شتى النواحي.

٢- ارسال البعوث إلى البلاد الأوربية :-

ومن أجل إيجاد جيل من الأساتذة المتضلعين في شتى العلوم أرسل (محمد علي) البعوث المتعددة إلى البلاد الأوربية وبخاصة (فرنسا) ليدرسوا هذه العلوم في معاهدها العليا ، ويتقنوها ثم يعودوا إلى الوطن ليقوموا بتدريسها ولينشروا فيه العلوم والمعارف ويخرجوا أمثالهم من الذين سيحملون مشعل النهضة من بعدهم .

وكان كثير من هؤلاء المبعوثين من خيرة طلاب الأزهر ونجبائهم ، كالشيخ الجليل الأستاذ (رفاعة الطهطاوي) الذي قاد النهضة التعليمية بكفاءة عالية وإخلاص نادر سنين طوالا بعد عودته من بعثته ، فكان (ناظرا) لمدرسة الألسن وغيرها من المدارس ، وألف وترجم العديد من الكتب النافعة .

٣- إنشاء قلم الترجمة : -

نهض هؤلاء الأساتذة ، وتلاميذهم من خريجي (مدرسة الألسن) بعبء نقل العلوم والمعارف الجديدة من اللغات الأوربية التي أتقنوها إلى اللغة العربية الفصحى ، كالعلوم الحربية والرياضيات والجغرافية والطب ، وأنشئ لهم ديوان سمي (بقلم الترجمة) يشرف عليه العلامة (رفاعة رافع الطهطاوي) وكان لهذا الديوان أثره الجليل في نشر العلوم الحديثة وتقدمها في مصر وتيسير الوقوف عليها للقارئ العربي بلغته الوطنية .

٤- إنشاء المطبعة الكبرى [١]:

ومن أجل طبع ما يترجم من الكتب وتعميم الانتفاع به - إلى جانب طبع النشرات الرسمية للدولة والتقاويم السنوية والدفاتر الحكومية - أنشأ الوالى عام ١٢٣٧هـ ١٨٢١م (المطبعة الأميرية أو مطبعة بولاق) حيث كان مقرها ، ثم أخذت فى طبع الكتب المقررة فى شتى المدارس ، ثم فى طبع العديد من كتب التراث العربى العلمية والأدبية والدواوين الشعرية ، ونشرها على الناس فى مصر والعالم العربى ، بتوزيعها بالمجان أو بيعها بأثمان زهيدة ، مما كان له أثره العظيم فى رواج العلوم والآداب بين طبقات الشعب .

دور المصححين : (الجنود المجهولون)

وقد استدعى طبع الكثير من كتب التراث العربى التى كانت مخطوطة قيام بعض من لهم خبرة بهذه الكتب بمراجعتها ، وتصحيح ما قد يكون فيها من أخطاء تسربت إليها مع الزمن ، فنشأت (هيئة للتصحيح) فى المطبعة الأميرية ، عمادها رجال من علماء الأزهر المتضلعين فى اللغة العربية ، قامت بهذا العمل الجليل خير قيام ، وأدت هذه المهمة على أفضل الوجوه .

بداية إصدار الصحف :

كما قامت هذه المطبعة بعد سبع سنوات من إنشائها [٢] بطبع صحيفة (الوقائع المصرية) وهى الجريدة الرسمية للدولة ، وكانت قائمة فى أول الأمر على نشر القوانين والأوامر الحكومية ، وإيراد الحوادث والأخبار المحلية ، ثم تدرجت إلى نشر المقالات ومعالجة بعض الموضوعات الأدبية والاجتماعية ، وممن تولى الإشراف على تحريرها بعض جهابذة هذا العصر مثل الشيخ (حسن العطار) العالم الأديب الشاعر ، والشيخ

---

[١] عام ١٢٣٧هـ - ١٨٢١م .

[٢] عام ١٢٤٤هـ - ١٨٢٨م .

محمد (شهاب الدين) المصرى والشيخ رفاعة الطــــهطاوى ثــم الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده).٠

وقد انتكست النهضة التعليمية فى أواخر عهد (محمد على) وعهد خليفتيْه بعد ولده (إبراهيم) (عباس الأول) و (ســــعيد) تبعا لانكماش الجيش بإغلاق كثير من المدارس ، ونقل رائدهـــا الكبير الشيخ رفاعة إلى السودان ، لكنها استؤنفت بقوة فى عـــهد (إسماعيل) الذى كان طموحا ، وشديد الحماسة لتحديث البــلاد وإلحاقها بأوربا فى الشكل والمظهر ، (والذى أشرنا إلى بعــض سلبياته فيما سبق) وكان من حسناته إعادة ما أغلق من المدارس والمعاهد ، وفتح أخرى جديدة مثل (مدرســة دار العلــوم) ، و (مدرسة الحقوق) ومدرسة ثانوية للبنات لأول مرة هى (المدرسة السَّنِيَّة) بفضل الوزير العظيم المصرى الصميم (على مبارك) ناظر المعارف حينئذ ٠

٦- مؤسسات ثقافية جديدة :

وكان له الفضل كذلك فى إنشـــاء (دار الكتــب المصريــة الكبرى) واستؤنفت (البعثات) إلى الخارج ، وأنشئ (المتحف المصرى) لعرض آثار قدماء المصريين ، كما أنشئت (الجمعية الجغرافية) وبنى إسماعيل دارا (للأوبرا) والمســرح لعــرض الروايات التمثيلية الأجنبية ثم أخذت فــى عــرض المســرحيات العربية ٠

← هذه هى أهم الجهود التى تضافرت لبنـــاء دولــة (مصــر الحديثة) ، واستقلالها الفعلى ، واستعادة شخصيتها التى تــوارت طيلة مدة الحكم العثمانى ٠

ولقد توالت الأحداث فى أيام حكم أسرة (محمد على) ومــا بعدها وكان بعضها إيجابيا وبعضها سلبيا كما أشرنا ، وكان لكل

أثره فى الحياتين الاجتماعية والفكرية ، ويمكن تقسيم (العصـــر الحديث فى مصر) إلى عهدين :

أ - **عهد محمد على وخلفائه** : من عام ١٨٠٥ إلى عـــام ١٩٥٢م ومدته مائة وسبعة وأربعون عامـــا أى حوالـــى قـــرن ونصف من الزمان ، وكان النظام فيه ملكيا وراثيا •

ب - **عهد الجمهورية** : من عام ١٩٥٢م حتى اليوم ويبـــدأ بقيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢م وإلغاء الملكيـــة وإعـــلان النظـــام الجمهورى ومدته حتى اليوم ستة وأربعـــون عامـــا ميلاديـــة أى حوالى نصف قرن من الزمان (١) ، ومجمـــل العـــهدين (مائـــة وثلاثة وتسعون عاما ميلادية) أى(حوالى قرنين من الزمان)كما نوهنا فى أول هذا الباب •

أما أهم الأحداث فى هذا العصر فيمكن إجمالها فى الآتى :

١ - انكماش دولة (محمد على) بعد فتوحاته وتوسعاته الكبيرة وقصرها على مصر والسودان وتثبيت ولايتها فى ذريته • نتيجة لتآمر الدول الأوروبية عليه فى اتفاق (لنـــدن) عـــام ١٨٤٠م وتأييد السلطان العثمانى لذلك بفرمان إبريل عـــام ١٨٤١م •

٢ - حفر قناة السويس التى وصلت (البحر الأحمر) بـــالبحر الأبيض المتوسط) لخدمة التجارة العالمية ، ومنح امتيازها لشركة أجنبية أوربية ، وبدأ حفرها فى عهد الوالى (سعيد باشا) عام ١٨٥٩م ، وتم افتتاحها فـــى عـــهد (الخديـــو اسماعيل) عام ١٨٦٩م •

٣ - ثورة الجيش المصرى بقيادة (أحمد عرابى) وزملائه من الضباط الوطنيين ضد استبداد (الخديـــو توفيـــق) عـــام ١٨٨١م وتأييد الشعب المصرى لهم •

---

(١) وقد تولى الحكم فى العهد الجمهورى أربعة رؤساء هم بحسب ترتيب ولايتهم : (محمد نجيب) و(جمال عبدالناصر) و(محمد أنور السادات) و(محمد حسنى مبارك) •

٤ - إخفاق الثورة العرابية ووقوع كارثة (الاحتلال البريطانى لمصر) فى سبتمبر عام ١٨٨٢م ٠

٥ - قيام الحركة الوطنية ضد الاحتلال الانجليزى بزعامة (مصطفى كامل) ١٨٩٠- ١٩٠٨ وخليفته (محمد فريد) وإنشاء (الحزب الوطنى) ٠

٦ - قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨) بين (ألمانيا) ومعها (الدولة العثمانية) وبين دول الحلفاء وعلى رأسها انجلترا وفرنسا ، وانتهائها بانتصار الحلفاء وهزيمة ألمانيا وتركيا ، ودخول الحلفاء البلاد التركية وإلغاء الخلافة العثمانية واحتلال الحلفاء البلاد العربية (العراق وسوريا وكل أجزاء الشام) وصدور (وعد بلفور) لليهود بإنشاء وطن لليهود في فلسطين ، وبدء ظهور (المشكلة الفلسطينية) ٠

٧ - تطور الحركة الوطنية وثورة عام ١٩١٩م العارمة ضد الإنجليز فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد شارك الشعب المصرى بأكمله بزعامة (سعد زغلول) وإخوانه فى هذه الثورة ٠

٨ - صدور تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٢٢ من بريطانيا وفيه اعترافها بحق مصر فى الاستقلال كرد فعل للثورة ٠

٩ - معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا وحصول مصر على استقلال مرحلى وتعدد الأحزاب ، وظهور حركات إصلاحية إسلامية كبرى ٠

١٠- هجوم (اليهود) على فلسطين العربية بتمهيد وتأييد من الإنجليز (١) واحتلالهم أجزاء منها وإعلانهم قيام دولة (إسرائل) عام ١٩٤٨م واعتراف أمريكا ودول أوربا بها ، وقيام الحرب بين الدول العربية واليهود لأول مرة وهزيمة

---

(١) الذين كانت دولتهم تحتل فلسطين من عام ١٩١٧ م ، وقد باعتها لليهود على حساب أهلها العرب الفلسطينيين فباءت بلعنة التاريخ ٠

العرب نتيجة تآمر أوربا وأمريكا على العرب لصالح اليهود .

١١- قيام ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢م فى مصر وإعلان قيام الجمهورية .

١٢- اتفاق مصر وبريطانيا على إنهاء الاحتلال وجلاء الانجليز جلاء تاما عن البلاد عام ١٩٥٤م .

١٣- تأميم حكومة الثورة (لقناة السويس) عام ١٩٥٦م وتحويلها لشركة مصرية خالصة ، وقيام (بريطانيا وفرنسا) ومعهما (إسرائيل) بشن (العدوان الثلاثى) على مصر فى العام نفسه بسبب تأميم مصر للقناة ، ثم فشل العدوان الثلاثى بجلاء المعتدين بعد أن دمّروا مُدُنَ القناة وسيناء .

١٤- نكسة عام ١٩٦٧م فى الحرب بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا وهزيمة العرب واحتلال إسرائيل (لسيناء) المصرية وهضبة (الجولان) السورية فضلاً عن بقية فلسطين .

١٥- حرب عام ١٩٧٣م بين مصر وإسرائيل وانتصار مصر واستعادة (سيناء) .

هذه هى أهم (الأحداث السياسية) التى شهدتها مصر فى عصرها الحديث والتى انعكست آثارها على الحياتين (الإجتماعية والعقلية) فيها .

أهم الآثار فى الحياة الإجتماعية :

١- نشأة نظام (الإقطاع) الزراعى فى مصر بسبب احتكار (محمد على) لجميع الأراضى فى البلاد ، وتوزيع مساحات واسعة منها على أولاده وكبار أعوانه وتحول الفلاحين إلى أجراء عند الحكومة والسادة الملاك ، وما تبع ذلك من فقر مدقع فى أهل الريف وهم سواد الأمة .

٢- امتلاء قلوب الناس بالسخط على الحكومة لظلمها واحتكارها التجارة والصناعة كذلك وفرضها الضرائب الكثيرة والباهظة على جميع أفراد الشعب وتحصيلها منهم بالقسوة والبطش .

٣- غضب جماهير الشعب على الحكومة لفرضها نظام التجنيد الإجبارى على الناس دون مدة محددة ، والتهام الحروب لزهرة شبابهم .

٤ - سخط الرعية الشديد من عمل الحكومة بنظام (السخرة) لأبناء الشعب فى مشروعات الدولة كحفر قناة السويس ، وبناء القناطر ، وشق الترع ومد خطوط السكك الحديدية لمشقة العمل ، وتفاهة الأجور ، وتفشى الأمراض فى العمال وإهمال العناية بهم حتى لاقى الكثير منهم حتفه ، مما دعا الكثير من أبناء الوطن للهجرة منه إلى الشام ، وإلى غيره من البلاد ، فرارا مما يلاقون .

٥ - تحسن الأحوال قليلا بعد إلغاء نظام السخرة والاحتكار ، وتخفيف الدولة من قبضتها الحديدية على الفلاحين والتجار والحرفيين .

٦ - ازدياد الوعى الوطنى بحقوق الشعب بثورة (عرابى) ، وما أعلنته من مبادئ الحرية والعزة والكرامة لأبناء الأمة وما اقتبسته من أفكار المصلحين من أمثال (جمال الدين الأفغانى) و(الشيخ محمد عبده) وتلاميذهما .

٧ - نمو الحركة الوطنية لمقاومة الاحتلال بفضل جهود (مصطفى كامل) و(محمد فريد) وإخوانهما.

٨ - اشتعال الحركة الوطنية بثورة ١٩١٩ م ضد الإنجليز بزعامة (سعد زغلول) وأخوانه ، وبروز دور طلاب الأزهر والمدارس العالية والثانوية فى هذه الثورة .

٩ - اتساع طبقة المثقفين والموظفين فى الدولة ، وصغار التجار ، وتحسن الأحوال المعيشية إلى حد ما .

انتعاش الحياة الفكرية (العلمية والأدبية) وأسبابه :ـ

ساعد تطور الحياتين السياسية والاجتماعية فى انبعاث وانتعاش ونهضة العلوم والآداب (على ما سنفصله قريبا) للأسباب الآتية :-

١ – انتشار (المطابع) فى مصر والعالم العربى – على غرار المطبعة الأميرية) التى سبق التنويه بها ، وظهور المطبوعات من الكتب القيمة كتب التراث العربى فى عصور الازدهار التى كان لها أعظم الآثر فى صقل المواهب وتكوين الأدباء والشعراء، ورفع مستواهم ، ورقى نتاجهم ، مثل (نهج البلاغة) [١] و(كليلة ودمنة)[٢] والأغانى[٣] •و(مقدمة ابن خلدون) و(العقد الفريد)) و(حماسة أبى تمام) ومقامات (بديع الزمان الهمذانى، ومقامات (الحريرى) ودوا وين كبار شعراء العربية : (كامرئ القيس) (وزهير) و(النابغة الزبيانى) و(جرير) و(البحترى) و(ابن المعتز) و(الشريف الرضى) و(المتنبى) و(المعرى) وغيرهم•

وفوق ذلك تفاسير (القرآن الكريم) وشروح كتب الحديث الشريف الكبيرة (كالبخارى) و(مسلم) وأهم كتب الفقه (كالأم) للشافعى وكتب البلاغة ولا سيما (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) للإمام (عبدالقاهر الجرجانى) •
وإلى جانب ذلك كتب السير الشعبية كسيرة (الظاهر بيبرس) وقصة (سيف بن ذى يزن) والسيرة الهلالية ، وقصة (عنترة) •

٢- كثرة إصدار (الصحف) والمجلات بأنواعها من سياسية وعلمية وأدبية ما بين يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية ، وإقبال المتعلمين على قراءتها واستفادتهم من محتوياتها وإسهامهم أحيانا فى تحريرها مع نشأة طبقة من الصحافيين

---

(١) للإمام على بشرح الشريف الرضى •

(٢) من ترجمة (ابن المقفع) •

(٣) لأبى الفرج الأصفهانى •

الكبار الذين أسسوا صناعة (الصحافة) العتيدة فى مصر ، (ومن أشهر الصحف والمجلات (المؤيد) [1] و (اللواء) [2] ، و (الأهرام) [3] ، و (المقتطف) [4] و (البيان) [5] و (الأزهر) [6] و (الفتح) [7] و (المنار) [8] و (الرسالة) [9] و (الثقافة) [10] ، و (منبر الشرق) [11] و (مجلة الإسلام) [12] و (نور الإسلام) [13] و (الاعتصام) [14] .

وكانت الصحافة بأنواعها منبرا للآراء الحرة والأفكار الإصلاحية التى كانت الأمة فى أشد الحاجة إليها فضلا عن تعبيرها عن آلام الأمة وآمالها كما كانت مجالا رحبا

---

[1] التى كان يصدرها الصحفى الكبير (الشيخ على يوسف) .

[2] التى أصدرها الزعيم (مصطفى كامل)

[3] أصدرها ابناء (تقلا) اللبنانى .

[4] اصدرها (يعقوب صروف) .

[5] أصدرها (عبدالرحمن البرقوقى)

[6] صدرت عن مشيخة الأزهر .

[7] أصدرها (محب الدين الخطيب) .

[8] أصدرها الشيخ (رشيد رضا) .

[9] أصدرها الأديب (أحمد حسن الزيات)

[10] أصدرها المفكر (أحمد أمين) .

[11] التى كان يصدرها الشاعر الوطنى (على الغاياتى)

[12] التى كان يصدرها (أمين عبدالرحمن) ويحررها نخبة من علماء الأزهر .

[13] التى كان يصدرها قسم الوعظ والإرشاد بمشيخة الأزهر .

[14] لسان حال (الجمعية الشرعية) والتى كان يصول فيها ويجول العالم الأزهرى والكاتب الإسلامى الجرئ) الأستاذ الشيخ (محمود عبدالوهاب فايد) .

للأدباء من كتاب وشعراء ، ينشرون فيها نتاج قرائحهم من القصائد الشعرية والمقالات النثرية فى شتى الموضوعات، والقصص الأدبية والاجتماعية والمسرحيات ، كما كانت ميدانا لمعارك نقدية بين الأدباء والمفكرين .

٣ - النهضة التعليمية والفكرية فى (الأزهر الشريف) بتنظيم الدراسة فيه وإدخال كثير من العلوم الحديثة فيه وتقسيمه إلى مراحل أولية ومتوسطة وعالية وإنشاء الكليات المتخصصة فى مرحلته العالية إما فى علوم اللغة العربية ، أو العلوم الشرعية أو العلوم العقلية والفلسفية وإنشاء(التخصصات) للدراسات فوق الجامعية كتخصص (المادة) وتخصص (القضاء) وتخصص (الوعظ والإرشاد) ــ وقد حمل لواء هذه النهضة فى أولها الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) وإخوانه وتلاميذه من بعده ،كالشيخ (محمد شاكر) ([1]) والإمام (محمد مصطفى المراغى) ([2]) وأرسلت بعوث من نابغى خريجى الأزهر إلى أوربا لإكمال الدراسة فى العلوم التاريخية والفلسفية ، وبعد عددتهم أسهموا فى أزدهار الحركة العلمية والثقافية داخل الأزهر وخارجه ،ومن أبرزهم (محمد البهى) و(محمد عبدالله ماضى) و(محمد يوسف موسى) و(محمد حب الله) و(سليمان دنيا) و(محمد الفحام) و(عبدالرحمن تاج) ، و(عبدالحليم محمود) وكل من الثلاثة الأخير من تولى مشيخة الأزهر ولثالثهم فضل كبير وأثر واضح فى نشر المعاهد الدينة والكليات الآزهرية فى أقاليم مصر ومن

([1]) تولى منصب وكيل الأزهر وله (لائحة) مشهورة فى تنظيمه وهو رائد علمين من أعلام النهضة ــ هما (الشيخ محمد شاكر) المحقق المشهور ، والأديب الكبير (محمود محمد شاكر) .

([2]) أحد تلاميذ (الشيخ محمد عبده) وقد تولى مشيخة الأزهر مرتين .

حسناته الكبرى فتح معاهد وكليات أزهرية للبنات مما أسهم فى تعميق الثقافة الدينة ونشرها على أوسع نطاق ٠

٤- إنشاء (الجامعة المصرية) (١)وفيها عناية كبيرة بالعلوم الحديثة وتنوع فى الكليات وقد سدت فراغا كبيرا فى الثقافة والتعليم وبخاصة فى النواحى العملية كالطب والصيدلة والهندسة ــ وقد بدأت أهلية وقامت على تبرعات أهل الخير من أثرياء مصر ، ثم تبنتها الدولة وأدخلتها فى رعايتها ، ثم تتابع إنشاء الجامعات فى القاهرة والأقاليم على نظام جامعات (الغرب) ــ وقد خرجت الكثير من العلماء المتخصصين فى شتى المجالات ، ووسعت دائرة الثقافة وأغنت طلاب مصر عن السفر إلى الخارج لطلب العلم ٠

٥ - العناية بمدرسة (دار العلوم) التى سبق التنويه بها ، وقد صارت من أهم الروافد للأزهر تحت رعاية وزارة المعارف التى أنشأتها وتبنتها فأصبحت معقلا للغة العربية ، وخرجت المدرسين لهذه اللغة وآدابها فى مدارس الحكومة ودرّس فيها افذاذ من علماء الأزهر ثم من أبنائها خدموا اللغة العربية أعظم خدمة ، وكانت فى بدء أمرها ومعظم عمرها تستمد طلابها من طلاب الأزهر المتممين للمرحلة ٠ المتوسطة ، وسافر كثير من نابغيهم إلى جامعات أوربا لإتمام دراساتهم وعادوا جامعين بين الثقافتين الشرقية والغربية ، فكان لهم أثرهم الطيب فى نهضة اللغة العربية والدراسات الأدبية ومن أشهرهم : (محمد عاطف بركات) الذى تولى نظارة (مدرسة القضاء

---

(١) وهى جامعة القاهرة ٠

الشرعى)(١) و(الشيخ عبدالعزيز جاويش)(٢) و(حسن توفيق العدل) و (أحمد على ضيف) و(مهدى علام)(٣) و(إبراهيم بيومى مدكــور) (٤) و(أبــو العــلا عفيفــى) و(إبراهيــم اللبــان) و(أحمــد هيكــل) (٥) و(الطــاهر مكى)(٦).

٦ – الاتصال بالثقافة الأوربية :–

وقد تم ذلك بعدة طرق :

أ – (طريق البعثات) الذى أشرنا إليه آنفا ، وقــد كثفــت الدولة إرسال البعثات إلى بلاد أوربا فى عصر (إسماعيل وما بعده) من أجل إحراز العلوم والمعارف النافعة ، ومن أشهر المبعوثين –(بعد جيل رفاعة الطهطاوى ورفاقه)– فى شعبة العلوم النظرية من فلسفية وتاريخيــة وقانونيــة ولغوية وأدبية وتربوية (أحمد شوقــى) و(طــه حســين) و(منصور فهمى) و(وجروج أبيض) ، ومــن مبعوثــى (دار العلوم) (محمد عــاطف بركــات) و(عبدالعزيــز جاويش) و(زكى المهندس) و(أحمد ضيــف) و(مــهدى علام) و(إبراهيم بيومى مدكور) و(إبراهيم اللبــان) و(أبــو العلا عفيفى) و(أحمد هيكــل) و(الطــاهر مكــى) (٧) ،

---

(١) التى خرجت جيلا من الجهابذة قبل إغلاقها .

(٢) العالم اللغوى الجليل والزعيم الوطنى المجاهد والصحافى البارع حرر فى جريدة (اللواء) وتوفى عام ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م .

(٣) تولى كل منهما رئاسة المجمع اللغوى .

(٤) السابق نفسه .

(٥) تولى عمادة دار العلوم ثم وزارة الثقافة .

(٦) صاحب الدراسات الكثيرة فى الأدب الأندلسى .

(٧) وهؤلاء أشرنا إليهم آنفا .

وبعضهم تقلد مناصب علمية رفيعة كرئاسة (المجمع اللغوى) •

ومن مبعوثى الأزهر الشريف (محمد البهى) و(محمد عبدالله دراز) و(محمد يوسف موسى) و(محمد عبدالله ماضى) و(محمد حب الله) و(سليمان دنيا) و(محمد الفحام) و(عبدالرحمن تاج) و(عبدالحليم محمود) ، والثلاثة الأخر تولى كل منهم مشيخة الأزهر ولقد اختير المبعوثون بوجه عام من أفضل أقرانهم ومن نبغاء خريجى المعاهد والجامعات للذهاب إلى شتى بلاد أوربا لإكمال دراساتهم العليا فى مختلف العلوم والفنون ، ولتحصيل ما عند القوم مما ليس له نظير فى أوطانهم ، وللوقوف على مناهج البحث الجديدة ، فحصلوا على أعلى الدرجات العلمية ، وعاد وافأسهموا فى النهضة العلمية والأدبية والثقافية بوجه عام فى داخل جامعاتهم وفى خارجها ، بما ألفوا وترجموا وحاضروا ، وكانت معظم البعثات موجهة إلى انجلترا وفرنسا وألمانيا ثم إسبانيا •

ب - (طريق الترجمة) لكثير من الكتب العلمية والأدبية ، والروايات القصصية والمسرحيات الشعرية والنثرية •

ومن أشهر ما ترجم فى الأدب : مسرحيات (شكسبير) عن الإنجليزية ، ومسرحيات (كورنى) و(راسين) و(موليير) عن الفرنسية ، وبعض قصص (جوتة) عن الألمانية ،وجانب من قصص (هيجو) و(لامرتين) عن الفرنسية•

ج ــ (طريق الرحلات) إلى البلاد الأوربية والأمريكية لمشاهدة معالم حضارة تلك البلاد ، ولأغراض أخرى كالتجارة والاستشفاء ، ومن أشهر من قاموا بها من الأدباء الكاتب (توفيق الحكيم) والأديب (الحسين فوزى) والصحافى (فكرى أباظة) والاقتصادى (طلعت حرب) وغيرهم كثير•

هذا فضلا عن إدخال أهم اللغات الأوبية كمادة أساسية فى مناهج الدراسة فى المدارس المصرية بأنواعها ، مما يسر الطرق الثلاثة السابقة لسالكيها •

٧ – **دور الكتب العامة :**

نوهنا فيما سبق بإنشاء (دار الكتب المصرية) الكبرى ، وقد نمت هذه المكتبة وعظمت وتطورت بما حوت من أمهات الكتب المخطوطة والمطبوعة ونظمت فيها الأقسام ، وعين لها مديرون من أفاضل الأدباء ، وحسبك أن يكون الشاعر (حافظ إبراهيم) أحدَ وكلائها في بعض العهود ، وقد فتحت أبوابها للمطلعين والدارسين ، وأنشئتْ بها القاعات الفسيحة للقراءة في دارها الضخمة الفخمة في ميدان (باب الخلق) بالقاهرة ، فيسرت طلب العلم ، ونشرت المعرفة ، وأتاحت القراءة لكل راغب سواء في داخلها أو خارجها بنظام الاستعارة ، فأضحت منارة من منارات النهضة العلمية والأدبية في العصر الحديث . وعلى غرارها[1] أنشئت مكتبات عامة في عواصم الأقاليم وتخص بالذكر (مكتبة الإسكندرية) و(مكتبة طنطا) (ومكتبة إسلام باشا العامة بمدينة بني سويف) ([2]) .

وهذه المكتبات الإقليمية وإن كانت أصغر من مكتبة القاهرة ، إلا أنها أدت مثل دورها في خدمة العلوم والآداب .

ويتبغي ألا ننسى في مجال المكتبات التنويه (بمكتبة الأزهر) العريقة القيمة النادرة المثال في العالم الإسلامي بما حوت من نوادر ونفائس المخطوطات والمطبوعات من كتب التراث والتي نمت بفضل ما أهدى إليها من مكتبات العشرات من كبار العلماء ومن الأمراء والوجهاء على مر العصور .

([1]) مثالها .

([2]) خصها المؤلف بالذكر لأنه كان يتردد عليها للقراء والاطلاع في صباه الباكر ،وكانت في غاية التنسيق والجمال ، ولها دَوْرٌ خاص فسيح أعلى دار البلدية (بني سويف).

والآن وفى وقتنا الحاضر صار لكل (جامعة) مكتبة مركزية ولكل (كلية) مكتبتها الخاصة ، ولكل مدرسة مهما كان نوعها أو درجتها مكتبة ولا يخفى أن القراءة أساس العلم ، ونبع الأدب ، وسبب اكتساب الثقافة ، وسبيل التقدم والحضارة ، ولاسيما القراءة الحرة المنبعثة من حب الاطلاع ، فهى التى تكون العالم والأديب ، وهى أفضل هواية للإنسان المتحضر على وجه الإطلاق ·

٨ – **وفود بعض كبار المفكرين الإسلاميين إلى مصر :**

* وكان في مقدمتهم (السيد جمال الدين الأفغانى) ([1]) – (ترجمة الأفغانى) : تلقى علومه الشرعية والعقلية فى (كابول) ومعها قدر من العلوم الحديثة ، وكان نابغة حاد الذكاء أبى النفس ، عالى الهمة ، شريف الغرض ، قوى الحجة ، وصل به فضله إلى تقلد الوزارة فى بلاده ، ولكن وقعت فتن بين حكامها فهاجر إلى (إيران) وتقلد بها الوزارة أيضا ثم حدثت دسائس ضده هناك فتركها إلى الهند ، ومنها وفد إلى مصر عام ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م فى عهد (الخديو إسماعيل) ورحب به أولو الأمر فى مصر فى أول الأمر ، ووجد فى أرض الكنانة تربة خصبة لنشر علمه وأفكاره ، وذاع صيته ، وأقبل عليه المثقفون ينهلون من معارفه ، يقبسون من توجيهاته الإصلاحية الجريئة التى كانت تتركز فى وجوب إنهاض الأمة الإسلامية من سباتها ، وإيقاظها من غفلتها ، وإصلاح نظم الحكم فيها بالعدل والشورى ، وصد عدوان الدول الأوربية الاستعمارية عليها

([1]) مصلح إسلامى كبير أصله من (أفغانستان) وهو شريف حسينى عالم ومجاهد فذ ، كانت ولادته فى قرية (أسعد آباد) قريبا من (كابول) عام ١٢٥٤ هـ الموافق لـ ١٨٣٨ م أما وفاته فكانت عام ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٦م فى (إسلامبول) عاصمة الخلافة العثمانية·

، وتحرير العقول من رق الخرافات والأوهـــام ،وإنارتـــها بنور الدين الصحيح والإيمان المكين ، والسلوك القويم .

ومن أعظم تلاميذه الأستاذ الإمام الشيخ (محمد عبــــده) الذى أعجب به وأشرب مبادئه واتحد فكره بفكره ، حتـــى صارا نهجا واحدا ، وتعاونا فى العمل على بعث الوعى فى أنحاء العالم الإسلامى ، وفضــــح أســاليب المســتعمرين ،ومحاربة الطغاة من الحكام .

ومن تلاميذه أيضا (محمود سامى البـــارودى) و(أحمــد عرابى) وجيلهما من القادة والسياسيين والأدباء ،وكان لـــه فيهم تأثير عظيم .

وكانت الأحوال السياسية والاقتصادية ســيئة للغايــة فـــى أواخر حكم (إسماعيل) وأوائل حكم ولده (توفيق) ، ولـــم يرق للحكام ما كان ينادى به (الأفغانى) من أفكار إصلاحية حرة جريئة ، فقرروا إبعاده عن مصر ، وتم نفيـــه عنـــها فجأة عام ١٨٧٩ م ، بعد ثمانى سنوات قضاها فـــى أرض الكنانة كانت من أخصب أيامها فكرا ووعيا ، حيث أيقـــظ الهمم الخامدة ، ونشط العزائم الخائرة ، ونفخ فى الأمة من روح العزة والكرامة ، وبث فيها التوجيهات النافعـــة فـــى الدين والأدب والسياسة ، مما كان له صداه فى الأحـــداث التى تلت رحيله عن مصر ، وأهمها (الثورة العرابية) .

وقد رحل إلى (الهند) ثم إلى أوربا ، وفـــى (فرنســـا) وافاه صديقه وتلميذه الشيخ (محمد عبده) الذى كان قد نفى هو الآخر من مصر فى أعقاب إخفاق الثـــورة العرابيـــة ، ودخول الإنجليز مصر ، وكان محمد عبده مـــن زعمـــاء الثورة الكبار ،وكان منفاه فى (سوريا) ثم لحق بجمال الدين فى (باريس) فاستأنفا جهادهما معا بإصدار جريدة (العروة الوثقى) وكان هدفها دعوة المسلمين فى مشـــارق الأرض ومغاربها إلى الوحدة والوقوف صفا فى وجـــه الأطمـــاع الاستعمارية فى بلادهم وإلى التمسك بـــالدين الصحيـــح ،

وكان هجومها على دول الاستعمار قويا عنيفا ، فتصـــدى الإنجليز لمحاربتها بعد أن ذاعت فى العالم الإسلامى وكان لها أعظم الأثر فكانت فى(مصر) بلسما لجراح المصريين ومددا معنويا يقوى عزائمهم ، كما كانت نارا تلفح وجـــوه المستعمرين وتزلزل أقدامهم، وتمكـن الانجلـيز ومعـهم الفرنسيون من إيقافها بعد العدد الثامن عشر من أعدادها ، وهذه الجريدة وثيقة تاريخية رائعة ، وصفحة ناصعة تشهد بصدق الرجلين (الأفغانى).(ومحمد عبده) فى جـهادهما ، وبحسن بلائهما فـــى خدمـة دينـهما الحنيـف وأمتـهما الإسلامية •

* – الشيخ (عبدالرحمن الكواكبى) : عالم جليل ، ومصلح كبير ، وأديب بليغ ، أصله من (حلب) عاصمة الشمال فى بـلاد الشام وإحدى حواضر العلم والأدب المزدهرة أيام (سـيف الدولة الحمدانى) فى العصر العباســـى الثـانى ، والبلـدة التاريخية التى شهدت أمجاد (سيف الدولة) الحربيـة فـى حروبه مع الروم ،وأمجاده الأدبية مع (المتنبى) وغيره من الشعراء الأفذاذ (موجز لترجمته) ولد الكواكبى فى حلب فى أسرة عريقة مشهورة بالعلم والأدب عام ١٢٦٥ هـــ ١٨٤٨م واشتغل بالعلم حتى أتقنه ، وتقلد بعض المنـاصب الحكومية فى بلده ، وكان له ميـل إلـى الأدب والكتابـة والعمل فى ميدان الصحافة فتولى تحرير جريدة (الفرات) الحكومية ثم أنشأ جريدة أهلية سماها (الشهباء) وهو لقـب (حلب) ــ لتكون منبرا حرا لآرائه فـى الإصـلاح ونقـد أحوال المجتمع ونصح الحكام فى أسلوب جـرىء يعـتز بحرية الرأى ، ويجهر بكلمة الحق مع عطف على الضعفاء ، ودفاع عن المظلومين ابتغاء رضوان الله ، ولم يعجـب ذلك النهج الإصلاحى الحر حكام البلاد من الولاة العثمانيين ، بالإضافة إلى وشايات الحاقدين وضعفاء النفوس ضـده عند هؤلاء الحكام ، فاضطهدوه لدرجة الحبس ، والتجريد

من ممتلكاته ، فاحتمل هذا البلاء بصبر المؤمن المجاهد ، وهاجر إلى(مصر) عام ١٣١٨هـ الموافق لعام ١٩٠٠ م ، ومصر دائما ملجأ الأحرار وقبلة المفكرين والعلماء حتى فى أحلك ظروفها ــ وقد مكث فى مصر عامين تخللتهما رحلة له إلى البلاد الإفريقية الإسلامية (كزنجبار) و(الحبشة) وبعض البلاد الآسيويه ، وصحارى (شبه الجزيرة العربية) وبعد عودته من هذه الرحلات إلى مصر عكف على التأليف لاسيما فى تاريخ الشرق الإسلامى ، وعلم الاجتماع والعمران فى تواضع وإنكار ذات ، حتى توفاه الله فى القاهرة عام ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م ومن أشهر مؤلفاته كتابا : (طبائع الاستبداد) ، (أم القرى) وهما كتابان فريدان يعبران عن نهجه فى الإصلاح وحب العدل وعشقه للحرية ، وشدة مقته للظلم والطغيان ، وقد نادى فيهما بمثل ما كان ينادى به نظيره (جمال الدين الأفغانى) من جمع شمل الأمة الإسلامية تحت راية الحق والعدل والشورى ،ووجوب العمل على انتشالها من ظلمات الفكر ، ووهدات التخلف ، وإنقاذها من مخالب الظلم والطغيان ، وفخاخ العبودية والإذلال .

* – (أديب إسحاق) من أهل الشام ولد فى (دمشق) وتثقف فيها وفى (بيروت) ونبغ فى الأدب ، وانتقل إلى مصر فى عهد (إسماعيل) والتقى فيها (بجمال الدين الأفغانى) وتأثر به واشتغل بالصحافة والسياسة وأصدر جريدة (مصر) وكتب فيها كتابات وطنية بأسلوب بليغ أثار إعجاب الناس ، وله روايات تمثيلية من تعريبه وأخرى من تأليفه وتوفى شابا عام ١٣٠٣هـ ــ ١٩٨٥ م عن تسعة وعشرين عاما .

* – (الشيخ نجيب الحداد) أديب لبنانى ، نشأ فى بيت علم وأدب وهاجر إلى مصر واشتغل بالصحافة فى الإسكندرية

والقاهرة وكان منشئا بليغا كما كان شاعرا يعالج القريض في شتى الأغراض واشترك فى تحرير جريدة الأهرام إلى عام ١٨٩٤ م ثم انشأ جريدة (لسان العرب) وكان رئيس تحريرها ، وكان له باع طويل فى تعريب وتأليف الروايات التمثيلية الأدبية التى مثل أغلبها وهى أكثر من عشر روايات •

* - (سليم نقلا) صحافى لبناني بارع وفد مع شقيقه (بشارة) إلى مصر وأنشأ بها جريدة (الأهرام) عام ١٨٧٦ م التى تمتاز برصانتها واعتدالها ، ومازالت تصدر حتى اليوم وهى من كبريات الصحف فى العالم العربى وقد توفى (سليم) فى لبنان عام ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢م •

* - (جورجى زيدان) وهو لبنانى نابغة ولد فى (بيروت) عام ١٨٦١ م وتوفى بالقاهرة عام ١٩١٤م قدم إلى مصر لدراسة الطب حوالى عام ١٨٨٣ م ، وقرر الإقامة بها ، وتحول من الطب إلى الصحافة ، وأكثر من القراءة والاطلاع فى كتب التاريخ واللغة العربية وآدابها حتى صار من رجال القلم ومن كتاب القصة ومن مؤرخى الأدب ، وأنشأ (مجلة الهلال) التى تغلب عليها النزعة الأدبية وهى مجلة قيمة ومازالت تصدر حتى اليوم وعن دارها صدرت مجلات كثيرة سياسية واجتماعية وفنية وأشهرها (مجلةالمصور) ، وألف كتابا عن (عظماء الشرق) وكتابا كبيرا عن تاريخ أداب اللغة العربية ومجموعة قصص تاريخية مصوغة بأسلوب أدبى مزج فيها الحقيقة بالخيال لإكسابها عنصر التشويق وأغلبها مستمد من التاريخ العربى الإسلامى ، فهو أحد الذين أسهموا بجهودهم وأقلامهم فى بناء الثقافة الحديثة ، مع إخوانه الأربعة الذين ذكرناهم قبله وبهم يظهر دور (أدباء الشام) الملحوظ فى النهضة الأدبية فى العصر الحديث •

٩ - **نهضة فن التمثيل والمسرح بالعربية الفصحى :**

دخل فن التمثيل والمسرحى مجتمعنا العربى فى العصر الحديث منتصف القرن التاسع عشر الميلادى مقتبسا من الفنون الأوربية نتيجة لاحتكاك الشرق بالغرب ، والعرب بالأوربيين ، ويستدعى التمثيل قصة تمثل تسمى (المسرحية) ، فترجمت إلى العربية قصص أوربية لتمثل ، وتبع ذلك تاليف مسرحيات عربية خالصة شعرا ونثرا على يد فريق من أدبائنا ، أشهرهم فى الشعر (أحمد شوقى) و(عزيز أباظة) وفى النثر : (على باكثير) و(توفيق الحكيم) وقد أقبل الناس على هذا الفن لجماله وجاذبيته القوية .

وكان لما ظهر من المسرحيات بالفصحى شأن عظيم فى ازدهار النهضة الأدبية فى عصرنا الحديث سواء أتلقاها الناس مقروءة أم ممثلة على خشبة المسرح .

١٠ **تأسيس الجمعيات والأندية العلمية والأدبية والسياسية :**

كان لتأسيس هذه الجميعات والأندية أثر كبير فى نشر الوعى الدينى والوطنى وتنشيط الحركتين العلمية والأدبية ، فكان (لجمال الدين الأفغانى) جمعياته وندواته ، وكذلك للشيخ (محمد عبده) كجمعية (العروة الوثقى) و(الجمعية الخيرية الإسلامية الكبرى) التى أنشأت المدارس والمستشفيات ثم جميعات (الشبان المسلمين) و(الإخوان المسلمين) والأحزاب السياسية وفى مقدمتها (الحزب الوطنى) والنقابات المهندية وكان لكل منها دار للأجتماع والمحاضرة والاحتفالات بالمناسبات المختلفة مثل (دار

الحكمة) (١) وهى مقر (نقابة الأطباء) فـــى القـــاهرة ، وغيرها وكان يخطب فيها العلمــاء والإدبــاء والزعمــاء ويحاضرون فى شتى الموضوعات الدينيـــة والاجتماعيـــة والسياسية بلغة عربية سليمة ، وأســـاليب ادبيـــة بليغـــة ، وعبارات حماسية فصيحة ، وينبغى أن ننوه بدور الدروس والمحاضرات فى المساجد علـــى أيـــدى نوابـــغ الأئمـــة والخطباء ، وأيضا أفاضل (الوعاظ) بعـــد إنشـــاء (قســـم الوعظ والإرشاد) بمشيخة الأزهر ، وانتشار رجاله فـــى مـــدن مصـــر وقراهـــا فـــى الثلاثينيـــات والأربعينيـــات والخمسينيات من هذا القرن (٢) وكانوا على مستوى رائـــع فى التكوين والأداء يحاضرون ويخطبون بلغة سهلة جميلة كان لها أثر طيب فى النهضة الحديثة .

١١ - **إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة :**

وقد صدر المرسوم بانشائه عـــام ١٩٣٢ م فـــى عـــهد (الملك فؤاد) ويتألف من صفوة من علماء اللغـــة والأدب فى مصر والبلاد العربية ومن بعض المستشرقين ومعـــهم متخصصون فى العلوم المختلفة ممن يجيدون اللغة العربية يجتمعون بصفة منتظمة لبحث قضايا اللغة العربية والعمل على سلامتها والمحافظة عليها وارتقائها .

ومن مهامه وضع مصطلحات لمفردات العلوم الحديثـــة والمخترعات الجديدة بالعربية من طب وهندسة وصيدلـــة وغير ذلك ، وتيسير فهم اللغة العربية بوضع (معجمـــات جديدة) مسايرة للعصـــر وتنظيـــم مســـابقات عامـــة فـــى موضوعات لغوية وأدبية لتشجيع الباحثين والأدباء وتكريم

---

(١) فى شارع قصر العينى ، وقد سمعنا فيها محاضرات دينية قيمة ونحن طلاب من الأساتذة (محمود شلتوت) و(عبدالوهاب خلاف) و(عبدالعزيز حمودة) وغيرهم .

(٢) العشرين الميلادى .

كبارهم واقتراح كل ما من شأنه النهوض باللغة العربية وتقدمها ومسايرتها لمتطلبات الحياة الحاضرة وشئون الحضارة وعقد (مؤتمرات) في مناسبات خاصة ، يحضرها المهتمون باللغة العربية وأدابها من أنحاء العالم العربى ومن المستشرقين والأوربيين وله (مجلة) قيمة ناطقة بنشاطه وتعتبر سجلا لأعماله ٠

وقد أنشئت على غراره مجامع فى عواصم عربية أخرى كمجمع (دمشق) ومجمع (بغداد) وغيرها من الحواضر ٠

١٢ – **نشاط حركة الاستشراق :**

يراد بالاستشراق : دراسة تاريخ الشرق وعلومه وآدابه وعاداته وتقاليده (ولا سيما الشرق الإسلامى) من جانب فريق من الباحثين الأوربيين ما بين فرنسيين وإنجليز وأسبان وهولنديين ٠٠٠الخ ،وما بين يهود ومسيحيين ولتفرغهم لهذه الدراسات وانقطاعهم لها سموا(بالمستشرقين) وقد نالت حركتهم تأييدا ماديا ومعنويا من دولهم ، وعهد إليهم بمهام ــ سنشير إليها لاحقا بإذن الله ــ وقد كثرت أعدادهم حتى بلغت المئين بل الألوف ، منذ القرن العاشر الميلادى إلى الآن ، وكانت أهداف الأجيال الأولى منهم التعرف على علوم العرب وترجمة كتبهم إلى اللغة اللاتينية(١) وما تفرع منها ، للأنتفاع بما فيها ، لترقية بلادهم وبناء نهضتهم واللحاق بالحضارة الإسلامية التى كانت زاهرة ومتفوقة فى تلك العصور والحقب ولا سيما فى العصر العباسى والعصور الأندلسية ،وحقق الأوربيون من ذلك ما أرادوا ٠

* – ولما ضعف المسلمون حربيا وحضاريا فى العصور المتاخرة وطمع الأوربيون فى بلادهم : تحولت أهداف الأجيال التالية من المستشرقين إلى (خدمة أغراض

(١) هى اللغة الرومانية القديمة وعنها تفرع عدد من اللغات الأوربية الحديثة ٠

الاستعمار الأوربى) لبلاد الشرق الإسلامى ،وذلك بـإمداد المستعمرين بالمعلومات عن بلاد المسلمين بعامة ، وعـن نقاط ضعفهم بخاصة ، ليسهل التغلب عليهم هذا أولاً ،وثانيا (لخدمة أغراض التبشير المسيحى) فى بلاد المسـلمين ، بالطعن فى الدين الإسلامى الحنيـف ، وإثـارة الشبـهات الباطلة حول عقيدته وشريعته وتاريخه ورجاله .

وقد أغدقت دول أوربا على المستشرقين مـن أبنائـها ،ومكنتهم من جميع الكتب العربية ونقلهاإلى أوربا وإنشـاء أقسام كاملة للتراث العربى فى مكتباتها الكبرى فى (لندن) و(باريس) و(روما) و(مدريد) و(ليدن) وغيرها ــ كمـا أنشأت لهم (المطابع) العربية ، فطبعوا أبحاثهم المغرضة، وأنشئوا (مجلات متخصصة) ونشروها باللغة العربية فى بلاد الشرق والإسلام .

ومن أجل أن تستفيد أجيالهم من كتب التراث الإسلامى ومن أجل التغطية على نشاطهم المغرض المشبوه ، طبعوا جانبا من كتب هذا التراث المخطوط طباعة جيدة ، بعد أن حققوها وعلقوا عليها ، وقدموا لها ، وفهرسوا لها بأنواع الفهارس ،وأخرجوها فى ثوب علمى جديد ، صار مثـالا يحتذى عند محققينا بعد ذلك .

وهذه هى حسنتهم الوحيدة التى أسهموا بها (على غـير قصد) فى النهضة العلمية والأدبية فى العصر الحديث .

ومما هو جدير بـالذكر أن الـدول الأوربيـة أنشـأت للمستشرقين أقساما فى جامعاتها المختلفة ، فقلمـا تخلـو جامعة فى أوربا من قسم للاستشراق يقوم على هـؤلاء ، ويدرس اللغة العربية ، وكانوا ــ وما يزالون ــ يتلقفـون المبعوثين من البلاد العربية والإسلامية ويستغلون حاجتهم إلى نيل الشهادات والدرجات العلمية من بلادهم ، فيحاولون احتواءهم فكريا ، و(غسل أمخاخهم) وتشكيكهم فى ثوابت عقيدتهم ، وقضايا لغتهم وتاريخهم ، فمنهم من وقـع فـى

فخاخهم ، ومنهم من نجا وكان أقل ما يطلبه هؤلاء المستشرقون من طلابنا المبعوثين أن يجعلوا أبحاثهم (للماجستير أو الدكتوراه) في موضوعات يختارونها لهم من أردأ وأسوأ الموضوعات التي يمكن أن يتناولها باحث عربي مسلم ، مستعملين في الوصول لمأربهم عوامل الضغط تارة والإغراء أخرى باعتبار أنهم الأساتذة المشرفون والمتحكمون في المستقبل العلمي لهؤلاء الطلاب فمن أطاعهم أجازوه ، ومن عصاهم رفضوه !! (١)

يقول الأستاذ (عبدالعزيز البشرى) (٢) في هذا الفريق من المستشرقين : " على أن التعصب الأعمى قد عصف ببعض هؤلاء ، فافتروا على هذا الدين (الإسلام) ، وأحالوا حسناته سيئات ، وتعمدوا تشويه كثير من حقائقه الناصعة فخانوا بذلك أمانة العلم ، وعملوا على تضليل أقوامهم فهم غير أحرياء بأن ينسبوا إلى العلم ، وينظموا في سلك العلماء ".

ولكن للإنصاف نقول إن قلة نادرة منهم خالفت هذا المنهج الخبيث ، وقالوا كلمة الحق في القضايا الإسلامية ،وأنصفوا العرب والحضارة الإسلامية في كتاباتهم ومؤلفاتهم ، بل إن بعضهم قد دخل في الإسلام واعتنقه عن اقتناع كامل ، وعقيدة راسخة وإيمان عميق ـ وهذه هي الحسنة الثانية لحركة الاستشراق بعامة ـ وفي كتاب (المفصل) الذي نوهنا به ، وكتاب (تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان) أسماء كثير من مشاهير المستشرقين وتعريف بهم (٣) .

---

(١) راجع في هذا الجانب مقدمة تحقيق (ديوان الطغرائي) للدكتور جواد على الطاهر ط بغداد

(٢) راجع المفصل في تاريخ الأدب العربي للبشرى وآخرين طبع مطبعة مصر عام ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤م ص ٤١٢ .

(٣) وراجع كتابنا عن العصر الجاهلي ط الزقازيق ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١م ورسالة الدكتوراه) ١٩٧٨ م لمزيد من الحديث عن هذا الموضوع وراجع أيضا : (المستشرقون =

١٣ – إنشاء الإذاعة اللاسلكية المسموعة :-

ظهرت أجهزة البث والإرسال الإذاعى التى يتلقاها الناس فى أجهزة (الراديو) أو المذياع (وكلتاهما من مخترعات العصر الحديث) ظهرت فى مصر فى أوائل (الثلاثينيات) من قرننا العشرين على يد هيئات أهلية ، وأخذت تذيع على الجماهير برامج أخبارية وسياسية واجتماعية ، ثم تَبَنَّتْهَا الحكومة واستأثرت بها (لما لها من أهيمة بالغة) وذلك فى عام ١٩٣٤ م وأنشأت لها هيئة حكومية مستقلة ، نظمت برامجها المتعددة ، فهى تذيع القرآن الكريم والأحاديث الدينية ، والأخبار المحلية والعالمية ، والمحاضرات الثقافية من علمية وأدبية واجتماعية ، كما تذيع برامج ترفيهية موسيقية وغنائية وتمثيلية ، فتلقاها المجتمع المصرى والعربىبالترحيب والقبول ، وانتشرت أجهزة الاستقبال ، واستمع الناس إليها مشغوفين مبهورين ، واقبلوا على حيازتها حتى لا يكاد يخلو منها بيت .

ولما كان معظم برامجها ناطقا بالعربية الفصحى ، ويُخْتَارُ لإذاعتها مذيعون أَكْفَاءُ ، ويُدْعَى للمحاضرة فيها وإلقاء الكلمات فى المناسبات المختلفة كبارُ المفكرين والعلماء والأدباء ، عَمَّ النفع بها ، لأنها تصل إلى كل مكان ، وتكاد تصل إلى كلِّ أُذن ، ولما تطورت أجهزة الاستقبال إلى ما يمكن أن يعمل بدون كهرباء بل بما اصطلح على تسميته (بالحجارة المشحونة) أو(البطاريات) زاد أثر الإذاعة حيث يمكن أن يستمع إليها الزارع فى حقله ، والراعى فى صحرائه وغنمه! فأدّت الإذاعة للثقافة العامة والأدب أجل خدمة حيث تصل إلى جماهير الشعب، خاصِّهم وعامِّهم فى يُسْرٍ كبير بلا تعب ولا مشقة مما يدعم النهضة الفكرية ويقويها ولا ننسى فى هذا المجال (محطة إذاعة

= والإسلام) للدكتور (إبراهيم اللبان) و(أوربا والإسلام) للدكتور (عبدالحليم محمود) و(المستشرقون والإسلام) للدكتورعلى حسنى الخربوطلى و(صور استشراقية) للدكتور (عبدالجليل شلبى) .

القرآن الكريم) وماتذيعه من برامج رائعة كلها نـــاطق باللغـــة العربية الفصحى ٠

ويلحق (بالإذاعة) المسموعة فى هذا المجال (التلفاز) أو (الإذاعة المرئية) وهو اختراع عجيب ينقل مع الصوت صورة المتحدث وحركاته وسكناته دخل إلى مصر فى أوائل (الستينيات) من هذا القرن (العشرين الميلادى) ، وانتشرت أجهزتـــه فـــى المدن والقرى ، وهو جهاز ذو سطوة شديدة لما له من جاذبيـــة وتشويق ، وهو سلاح ذو حدين ، إن استعمل فى الخير أثمـــر ، وإن استعمل فى الشر خَرَّبَ ودَمَّر ، ومع اعترافنـــا بسـلبياته ، واعتراضنا على بعض برامجه الترفيهية العامية وغير الملتزمة ، وما يبثه من (أفلام) وتمثيليات هابطة ، فإننا نُنَوِّهُ ببرامجـــه الجادة والملتزمة باللغة الفصحى ، فلها أثر كبير فى خدمة اللغة العربية ونشر الوعى العلمى ، والأدبى ، والثقافى بوجه عـــام ، وعلى سبيل المثال فإن من حسنات (التلفاز) أنه قدم لجمـــاهير المشاهدين بصفة منتظمة شخصياتٍ علمية وأدبية لها أثر كبـــير فى تعميق الفكرِ الدينىِّ والأدبىِّ والعلمىِّ لدى الكافة مثلَ الأديـــبِ الشاعرِ المفسِّرِ الفذِّ للقرآن الكريم الأستاذِ الشيخ (محمد متولـــى الشعراوى) والطبيبِ العالِمِ الأديب الدكتور (مصطفى محمود) ٠

توطئة لدراسة الشعر والنثـــر
توصيف أدباء العصر الحديث

الآثار الأدبية ـ كما هو معلوم ـ إما شعرية وإما نثرية:-
١- فمن أوتى موهبة (للشعر) فحسب وأجاد فيه فهو أديب ٠
٢ - ومن أعطى موهبة (النثر) لا غير فهو أديب ٠
٣ - ومن جمع بين الموهبتين ، وحاز الفضيلتين ، فهو الأديـــب الكامل ٠

وهذا التوصيف موجود فى كل العصـــور الأدبيـــة ، وفيمـــا يخص (عصرنا الحديث) نذكر من الفريق الأول علـــى ســـبيل المثال :

(البارودى) ، و(إسماعيل صبرى) ، و(على محمود طه) و(محمود حسن إسماعيل) و(إبراهيم ناجى) ٠

ونذكر من الفريق الثانى ـ على سبيل المثـــال كذلـــك :- (محمد المويلحى) و (أحمد حسن الزيـــات) و(أحمـــد أميـــن) و(محمود أبو العيون) و(محمود تيمور) و(توفيق الحكيم) ٠

ومن الفريق الثالث ـ من باب التمثيل أيضـــا : (شوقـــى) و(حافظ) ومصطفى صادق الرافعى) و(السيد توفيق البكـــرى) و(المنفلوطى) و(العقاد) وهنا سؤال وهو : مع من نضع رجـــال هذا الفريق ؟ أمع الشعراء أم مع الناثرين والكتاب؟ ٠

والجواب : أن من غلبت أثاره الشعرية على اثاره النثريـــة ذكرناه مع الشعراء (كشوقى) و(حافظ) ، ومن غلبت أثـــاره النثرية على أثاره الشعرية ذكرناه مع اعلام النثر (كـــالرافعى) و(المنفلوطى) ٠

ومن تعادلت كفتاه أو كادتا ذكرناه مع هؤلاء وهؤلاء (كالعقاد)

الفصل الثالث
الشعر فى العصر الحديث

حاله وصفاته وظواهر نهضته بوجه عام :-

نتيجة للعوامل التى ذكرناها آنفا ، نهض الشعر فى العصر الحديث من كبوته ، وأقيل من عثرته ، ونشط من عقاله ، فنفض عنه غبارَ الضعف الذى غشيه فى العصر السابق ، وانطلق إلى آفاق الرفعة والازدهار ، ونبغ فيه الجم الغفير من الشعراء المبدعين ٠

أما (أغراضه) فكثرت وتنوعت ، وهُجر منها مالا يناسب روح العصر الجديد واتجهت إلى تصوير نفس الشاعر والتعبير عن هموم أمته ،ومخاطبة الجماهير العريضة بدلا من الأفراد القليلة ٠

وأما (معانيه) فاتسعت وشَرُفَتْ واتّسمتْ بالقوة والعمق ، مع السهولة والوضوح ٠

وأما (ألفاظه) فرقّتْ فى مواضع الرقة ، وجَزُلَتْ فى مواضع الجزالة ، وابتعدتْ عن الحُوشِيّ والغريب ٠

وأما (أَساليبُه) فارتقتْ بمباراتها لأساليب شعراء العصور الزاهرة (كالعصر العباسى) ومجافاةِ أساليب الضعف والتهافت التي ورثها من (العصر العثمانى) وتخلصتْ هى والألفاظ من رِقّ المحسنات ، وتحررتا من زخارف الصنعة البديعية وأوضارها ، وامتازت بمتانة النسج ، وإشراق الديباجة ، وبهجةِ الحسنِ والرونق.وأما (خيالُهُ) فحلق فى سموات الإبداع ، وآفاق الإحسان وروائع التصوير ، ومجالى الحضارة ٠

وأَما (موسيقاه) فحافظتْ على الأوزان العريقةِ الجميلة وعلى القافية الشجية الرصينة ٠

وقد تم للشعر بلوغ هذه المكانة الرفيعة السامية على سَنَنِ التدرج ، (فأول العصر وفجره) كان قريبَ الشبهِ بالعصر السابق (العثمانى) ، و(وسطه) احتل أفضل المراتب ـ ومعظم دراستنا عنه ـ وآخره([1]) سنرجئ الحديث عنه لختام هذه الدراسة إن شاء الله .

ب - أعلامُهُ وطبقاتُهم الزمنيّة :

قدمنا أن العصر الحديث أنجب من الشعراء المجيدين ، والبلابلِ المغردةِ فى روضة الشعر عددا وفيرا ، وجماغفيرا ، يكاد يُعجِزُ الحَصْر ، ولوْ حُصِرَ لاحتاج التعريف بهم ، وبفنونهم الشعرية وعرضِ الأنماذج من آثارهم ، إلى مجلدات كثيرة .

ولهذا نكتفى بذكر (أعلام الشعر) فى هذا العصر بعد تقسيمهم إلى (أجيال) من الناحية الزمنية وإلى (طبقات) من النواحى الإبداعية ، وإلى (مدارس) من الجوانب النقدية والفنية.

أ - فأما من (الناحية الزمنية) فينقسمون إلى أجيال أربعة :

١- (جيلُ البداية فى فجر العصر) ، ويدخل فيه (المخضرمون) الذين أدركوا أواخر (العصر العثمانى) وأوائل (العصر الحديث) ومدته ـ فى رأينا) ـ من ١٢٢٠ ـ ١٢٧٠ هـ ١٨٠٥ ـ ١٨٥٥ م أى نصف قرن من الزمان .

٢- (جيل الوثبة والنهضة الكبرى) وهو جيل (العمالقة) من شعراء العصر الحديث من ١٢٧٥ هـ إلى ١٣٥٠ هـ ١٨٥٨م ـ ١٩٣٣ م أى ثلاثة أرباع قرن تقريبا .

([1]) المراد بالآخر هنا : الحقبة التى تلت عهد الأزدهار حتى وقتنا الحاضر .

٣- (جيل المتوسطين) المتممين للجيل السابق من ١٣٥٠ هـ ١٣٨٣ هـ ١٩٣١م ـ ١٩٦٣م ومدته ثلث قرن تقريبا ٠

٤- (جيل المتأخرين) من ١٣٨٣هـ إلى عامنا الحاضر ١٤١٨ هـ ١٩٦٣ م إلى ١٩٩٨ م ٠

أى ثلث قرن تقريبا ٠

مع ملاحظة أن هذه الحدود الزمنية بين الأجيال ليست بالفواصل المحكمة ، وإنما هى حدود تقريبية كما نبهنا ٠

• – فأما جيل البداية أو فجر العصر الحديث :

فأشهر شعرائه : السيد (إسماعيل الخشاب)([1]) والشيخ (حسن العطار) ([2]) والسيد (على الدرويش) ([3]) والشيخ (شهاب الدين محمد) ([4]) والسيد (على أبو النصر) ([5]) و(محمود صفوت الساعاتى) ([6]) و(عبدالله فكرى) ([7]) والشيخ (على الليثى) ([8]) والسيد(عبدالله النديم) ([9]) ٠

• – وأماجيل الوثبة والنهضة الكبرى : فأبرز شعرائه : (محمود سامى البارودى) و (إسماعيل صبرى) و(أحمد شوقى) و(حافظ ابراهيم) و(السيد توفيق البكرى) و(ولى الدين

([1]) المتوفى عام ١٢٣٠ أ هـ ـ ١٨١٥ م ٠

([2]) المتوفى عام ١٢٥٠ هـ ـ ١٨٣٤ م

([3]) المتوفى عام ١٢٧٠ هـ ـ ١٨٥٣ م

([4]) المتوفى عام ١٢٧٥ هـ ـ ١٨٥٨ م

([5]) المتوفى عام ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م ٠

([6]) المتوفى عام ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م ٠

([7]) المتوفىعام ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م

([8]) المتوفى عام ١٣١٣هـ - ١٨٩٥ م ٠

([9]) المتوفى عام ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦م ٠

يكن) و(خليل مطران) و(الشيخ محمد عبدالمطلب) و(حفني ناصف) و(علي الجارم) و (أحمد محرم) و(عبدالرحمن شكري)و(عباس محمود العقاد) و(ابراهيم عبدالقادر المازني) (محمد الهراوي) ، و(شكيب أرسلان) و(مصطفى صادق الرافعي) و(أحمد نسيم) و(عبد الحليم المصري)

ومن الشاعرات (عائشة التيمورية) ([1]) و(ملك حفني ناصف) ([2]) الملقبة بـ (باحثة البادية) .

• – وأما جيل المتوسطين :

وهم قريبون في رتبتهم الأدبية من الجيل السابق إذ نبغ في هذا الجيل كثيرون من فرسان الشعر نذكر منهم : (أحد زكي ابو شادي) و(إبراهيم ناجي) وعلي محمود طه و(محمود حسن إسماعيل) و(عبدالله عفيفي) و(علي الغاياتي) و(محمود غنيم) و(صالح جودت) و(محمد الأسمر) و(محمود جبر) و(عبدالجواد رمضان) و(أحمد شفيع) و(محمود أبو الوفا) و(حسين شفيق المصري) و(رمزي نظيم) و(عارف الوديني) و (محمد الههياوي) و(محمد مصطفى الماحي) و(محمد عبدالمعطي الهمشري) و(عزيز فهمي) و(أحمد رامي) و(أحمد الزين) و(الصاوي شعلان) .

• – وأما جيل المتأخرين :

فأعدادهم وفيرة كذلك ، ونذكر منهم : (محمد رجب البيومي) و(عبدالرحمن الشرقاوي) و(صلاح عبدالصبور) و(حسن جاد) ومحمد عبدالمنعم خفاجي)وعزيز أباظة) و(علي الجندي) و(محمد السنهوتي) و(عبدالعليم القباني) و(فاروق جويدة)

([1]) المتوفى عام ١٣٢٠ هـ ــ ١٩٢٠ م .

([2]) المولودة عام ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م ، والمتوفاة عام ١٣٣٧ هـ الموافق لعام ١٩١٨م .

و(محمدٌ التهامى) و(علىٌّ السيد جعفر) و(البديوى) و(كيلانىٌّ سند) و(حسن طنطاوى) و(سعدردعبيس) و(كاتب هذه الدراسة) و(عبدالرحمن الميدانى) و(يوسف القرضاوى) و(محمود أبو هاشم) و(الحسينى أبو هاشم) و(أحمدُ عمر هاشم) و(وسعدٌ ظلام) و(ياسينُ الفيل) و(صابر عبد الدائم) و(حسن عبد الرازق)

ومن الشاعرات :(عليّة الجعّار) .

(ويلاحظ) أننا ركزنا فى ذكر شعراء الأجيال الأربعة على شعراء (مصر) ، أما شعراء شبه الجزيرة العربية ، والشام والعراق ، والمغرب العربى والسودان فلهم حديث طويل فى جزء آخر من دراستنا لأدب العصر الحديث نرجو أن ننجزه قريبا إن شاء الله تعالى .

وشعراءُ (جيلِ المتأخرين) منهم(المُكثِر) فى شعره ومنهم (المُقِلّ)، ومنهم(المشهور) ومنهم(المغمور) – ولا سِيّما فى شعراء الأقاليم) ومنهم من فارقوا الدنيا ، ومنهم الأحياء الذين ما زالوا يواصلون عطاءهم الشعرىّ حتى اليوم .

الفصل الرابع
جماعات الشعر ومدارسه في العصر الحديث

أولا : جماعة التقليديين :

وهم شعراء (فجر العصر الحديث) الذين سبق ذكرهم ، ويجمعهم : أَن خصائصَ شعْرِهمْ أشبهُ بخصائصِ الشعر في (العصر العثمانى) من حيث الضعف الغالب [1] وضيق الأغراض والولوع بالمحسنات ولو جنتْ على المعنى ، وترديد معانى القدماء فى الغزل والأمداح والأهاجي والأوصاف، ومحاكاة صورهم الخيالية وقلة الابتكار فى المعانى والصور ، بل ندرتها ، وعدم العناية بقوة العارضة وشدة الأسر وتجويد القصائد ، بل وجهوا براعتهم إلى إتقان اللعب بالبديع واتقان (التاريخ الشعرى) [2] ٠

وصرف كثير منهم عنايته (لأغراض تافهة) كالدعابة والمجون وفنون المسامرة والمنادمة [3] ٠ على أن منهم من أجاد فى بعض الفنون الشعرية ، أو فى بعض القصائد ، أو فى بعض الأبيات ، فيأتى بالمعنى الجميل أو الصورة المبتكرة أو الأسلوب الجزل أو الرقيق ، فشعراء هذه الحقبة لبعضهم حسنات لا ينبغى أن نغفلها أو نغض الطرف عنها ، مع كونها حسنات فردية قليلة إحقاقا للحق ، وعملا بمبدأ الإنصاف ٠

---

[1] فهناك نقاط قوة عند شعراء العصر العثمانى ونظرائهم من شعراء فجر العصر الحديث وإن كانت قليلة ٠

[2] ويقصد به تسجيل بعض الأحداث بذكر تواريخها برموز حرفية هجائية وهو المسمى (بحساب الجمل) فقد رمزوا لكل حرف هجائى بعدد حسابى ، فيأتى الشاعر فى آخر قصيدته ببيت أو شطر إذا جمعت حروفه وافقت التاريخ المطلوب ٠

[3] راجع : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى للعقاد ط نهضة مصر ١٩٦٣ م ٠

وإليك أنموذجين من شعر علم من أعلامهم وهو :

الشيخ حسن العطار (١)

بِالأَزْبَكِيَّةِ طابَتْ لِى مَسَــرَّاتُ
وَلَذَّ لِى فِى بَدِيعِ الأُنْــسِ أَوْقَاتُ

حيثُ المياهُ بها والفلكُ سابحَـــةٌ
كأنها الزُّهْرُ تحْويها السـموات (٢)

وقد أُديرَ بها دُورٌ مشيــــدةٌ
كأنها لِبُدُورِ الحُسْنِ هـــالاتُ (٣)

والماءُ حين سَرَى رَطْبُ النسيمِ بهِ
وَكلٌّ فيه من الأَدْواحِ زَهْــرات: (٤)

كسابغاتِ دروعٍ فوقها نُقَـــطٌ
مِنْ فِضةٍ واحْمرارُ الوَرْدِ طَعْنات (٥)

٢ - وقال يمدح إبراهيم باشا عند عودته من الشام :

سَمْهَرِىٌّ يَنْثَنِى أَمْ غُصْنُ بَانْ
أَمْ قوامٌ دونَهُ صَبْرِىَ بــــانْ (٦)

---

(١) هو حسن بن محمد العطار كان من علماء الأزهر ، رحل الى كثير من الممالك الاسلامية ، وانتهت به الحال الى أن صار محررا للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخـــا للازهر ، وكان على جلالة محله فى العلم شاعرا كاتبا بليغا توفى سنة ١٢٥٠ هـ

(٢) الفلك : بضم الفاء وسكون اللام . السفينة : ولفظ جمعه كلفظ مفــرده . ويريـد (بالزهر) بضم الزاى النجوم المشرقة .

(٣) الهالات : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر ، كالطفــارة بضــم الطــاء للشمس .

(٤) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال وهى الشجرة العظيمة .

(٥) سابغات : طويلة ضافية . يشبه البركة وما يعلوها من الزهور الورود بالدرع الضافى رصع بالفضة ، وخيال الورد فيها بالدم من أثار الطعنات ،وهو تشبيه جيد .

(٦) السمهرى : الرمح يشبه به القد . وبان : ذهب تشبيه جيد .

صَانَ بِالْعسَالِ معْسُولَ اللَّمَـــى
وتهادَى هَـادِمًا ما أنا بـــانْ (١)

ياملِيكَ الحُسْنِ رِفقًا بِشَـجٍ
كلما حَاولَ كَتْمَ الشَّجْــوِبَانْ(٢)

مَرَجَ البحريْن فيضًا دَمْعُـهُ
إذْ رأى جَفْنَـيْه لا يلتقيــان (٣)

جَاءَ لما جَارَ سلطانُ الهـوى
طالبا مِن عادِلِ القدِّ الأَمَــان (٤)

رُبَّ ساقٍ ، وهو قَاسٍ قلبـُـهُ
عِطفُهُ منذُ أدارَ الــكأسَ لَانْ (٥)

أَهْيَفٍ ، إنْ ماسَ تِيهًا ورنَـا
رُحْتَ منه بين سيفٍ وسِنــان!(٦)

كَسَرَ القلبَ ، وما كان(التقـى
فيه مِنْ حينِ هوَاهُ ساكنـــان)(٧)

يانديمِي قُمْ وباكِرْهَا وَطِـبْ
هذِهِ الجنَّة وَالحُورُ الحِسَـــانْ (١)

---

(١) العسال : الرمح يهتز لينا . واللمى هنا : الثغر . وبان : أى ما يتيه .

(٢) الشجى : الحزين والمتيم عشقا . وبان : ظهر .

(٣) مرج : خلط .

(٤) عادل القد : معتدله يقصد المحبوب .

(٥) العطف بكسر العين : الجانب . ولان عطفه : مال .

(٦) الأهيف : الرقيق الخصر ، ماس : تجنتز . رنا : أدام النظر بسكون الطرف . السنان . نصل الرمح ويطلق على الرمح ، يقصد به القد ، والسيف يقصد به الطرف .

(٧) يورى الى الكسرة فى النحو بدليل (التقى ساكنان) .

وَأَدِرْلِى بنتَ كَرْمٍ عُتِّقَتْ
نُورُها الباهرُ يحكى البَهْرَمَان (٢)

بالنُّهَى قد فَعَلَتْ كاساتُها
فِعْلَ (إبراهيمَ) سلطانِ الزمان (٣)

أَسَدِ الهيجاءِ ضِرْغامِ الوَغَى
قاصمِ الأعداءِ من قاصٍ ودان (٤)

فهو كالشمس سمتْ آفاقُها
وسناها كان فى كل مكان (٥)

فَرْعُ أصلٍ قد تسامى فى العلا
وعلا شأْناً على رَغْمِ لِشَان (٦)

كم له فى السِّلم من مرحمةٍ
وكأيِّنْ مِنْ حُنُوٍّ وحَنان

يَمِّمِ الْيَمَّ وردْ ما تشتهى
وعلى المُورِد ياصاحِ الضَّمان (٧)

لمْ يكنْ فى كلِّ بحرٍ لؤلؤٌ
إنما اللُّؤْلؤُ فى بَحْرِ (عُمَان) (٨)

---

(١) النديم : المنادم على الشراب . والحور : النساء جميلات العيون .

(٢) بنت كرم : خمر . البهرمان : فارسى نوع من الياقوت الأحمر .

(٣) النهى : جمع نهيه بضم النون : العقل .

(٤) الوغى والهيجاء : الحرب . الضرغام : الأسد . الوغى : الحرب .

(٥) السنى : الضوء .

(٦) على رغم لشان : أى على رغم الشانئ : العدو المبغض .

(٧) يمم : اقصد . اليم : البحر يشبه به الكريم .

حِلمُهُ الروضُ جناهُ يُجْتنَى
وَيُرَجِّى العَفْوَ فـيه كُلُّ جـانْ !

هِممٌ فوقَ السمواتِ سمـتْ
ومعالٍ دونهنَّ الصعْبُ هـان
وحُلًى حَلَّتْ وَجَلَّتْ غايةً
أيُجارَى مَنْ له سَبْقُ الرِّهان؟
ياعزيزًا لا يُضَاهَى أبدًا
عِزُّهُ يكسو العِدَا ثوبَ الـهوان !
كم حروبٍ كشفتْ عن ساقها
خاضها طِرْفُكَ مِطواع العِنَان(٢)
بجيوش شمرتْ عن ساعـد
ما له يوم نِزالٍ من تـوان
هَاكَ مِنّى بِنْتَ فِكْرٍ تَنْجلـى
فى حُلىٍّ من (بديعٍ وبيـان) (٣)
قد أُعيذتْ بشهابٍ ثاقـبٍ
صانها عن كلِّ شيطانٍ وجَان(٤)
وبدتْ من خدرها قائلـةً
إنَّ وصْلِى للحـبيبِ الآنَ آن
وبودِّى لوْ أُلا قِى حُظْـوةً
منه تكسونى جلابيبَ امتـنان
فدنوِّى منه غاياتُ المُـنَى
وقبولِى منتهى كُلِّ الأمَـانْ

---

(١) يقصر الخير على الممدوح ويمثله ببحر عمان

(٢) جان : الجانى الآثم .

(٣) كشفت عن ساقها : جميت والطرف بكسر الطاء : الفرس .

(٤) هاك : خذ بنت فكر : قصيدة .

الشهاب . ما يرى كأنه كوكب انقض

(تعليق على النصين) :-

١ - يصف الشاعر (بِرْكَة الأزْبَكِيَّةِ) * التى كانتْ مُتنزَّهَ أهلِ القاهرة فى عصره ، وما كان يسبح فيها من سُفُنٍ تضئ بالليل فى منظرٍ بهيج :

أ - فالبِرْكةُ عظيمة الاتساع ، ومياهها زرقاء صافية فهى بهذه العناصر الثلاث كالسموات ، وَمَا يَسْبَحُ فيها من السفن المضيئة بأنوارها فى الليل يشبه الكواكب الدرية اللامعة تحويها تلك السموات .

ب - والقصورُ البيضاء المبنية حول البركة ، والعامرة بالحسناوات من النساء البيض كأنها الهالات حول البدور .

ج - والماءُ حين داعبه النسيمِ فاكتسب صورة (متموِّجه) ، وقدألقتْ عليه الأشجارُ العظيمةُ التى تحيط بالبركةِ من جميع جوانبها ، أنواعًا من الزهْر ، بين أبيضَ وأحمرَ ، كَـدُرُوعٍ صافيات رُصِّعتْ بالفضةِ البيضاءَ ، ويجانبها لوْنٌ أحمرُ هُوَ لوْنُ الدم من أثرِ الطَّعْناتِ القويةِ النافذة .

- أما الصورة الأولى وهى تشبيه الماء بالسماءِ والسفن بالكواكب فقديمة ومعهودة ، ولكنْ فى صياغتها جمالٌ وقوةُ مع الإيجاز .

- أما الصورة الثانية فهى وإن كانت مبنية على تشبيهٍ قديمٍ معروف - وهو : إحاطة الهالة بالقمر - إلا أنها حوتْ عناصرَ وإيحاءاتٍ طريفه بجمْع (دور) ، (بُدور) ، و(هالات) مما يوحى بالكثرة ، كما يوحى اللفظان الأخيران باللون الأبيض وفى لفظ (أدِير) إشارةٌ للشكل المستدير لمجموعةِ القصورِ حول البِركة ذات الشكل المستدير أيضا .

---

* بحيرة كانت فى وسط القاهرة وكانت تستمد مياهها من النيل ، ومكانه جزء منها الآن ميدان وحديقة صغيرة قريبا من ميدان (العتبة) ومحطة (باب الحديد)

• - وأما الصورةُ الثالثةُ فمبنيةٌ أيضا على عنصرٍ تصويـــريٍّ قديم (وهو تشبيه الماء المتموج بالدرع) لكنّ الشاعر هنــــا جَدَّدَ بتصوير ما يعلو ماءَ البركة من الزهر الأبيضِ والــورد الأحمرِ في صورة(الدّروع)المُرَصَّعَةِ بالفضة البيضاء ، وإلـــى جانبها لوْنُ الدمِ الأحْمَرِ مَن الطعنات المناسبة للدرع ، لكــن مما يعيب هذا العنصرَ الأخير أنه يلزم من وجودَ الــدم نفــاذ الطعنات فى هذه الدروع مما يشعر بضعفها ولو قَرَنَ الفضةَ البيضاءَ (بالعقيقِ الأحمرِ) مثلا بدل الدماء لسلمتْ صورتُـــهُ من العيْب ولكانَ أنسبَ لِلمقام وأرْوَع •

ومما يحمد للشاعر أَمْرانِ هما : (الإيجاز) كما نوهتُ وهو يشمل كلا من الصور الثلاث • وأنّ صُوَرَهُ الثلاث (مركبة) والتركيب فى الصورة يكسبها لونا من الجمال أَسْنَى من جمـــال الصـــورة المفردة •

والخلاصة : أنّ فى النصّ لمحاتٍ من الإحسان والإجادة وجوانبَ للقوةِ ، وأُخَرى من الضعفِ من السهل إدراكُ مَنْشَئِها ، ومن أَيْنَ جاءَتْ ! •

٢ - وفى النص الثانى يمدح الشاعر قائداً كبيرا هو (إبراهيـــمُ) ابنُ (محمدٍ على) بعد عودته منتصرا من (الشام) •

التحليل :

بدأ النصُّ المُؤَلفُ من (ثمانيةٍ وعشرين) بيتـــًا بمقدمـــة غزلِّيَّة خمرية (فى عشرة أبيات) على عــــادة شعـــراء العـــرب الأقدمين ، لكون الغزل أقرب إلى القلـــوب ، وأجـــذب للنفـــوس فالشاعر يبدأ به ليستوليَ على انتباه السامع واهتمامه ، ثم يتخلص من الغزل إلى الغرض الأساسي للقصيدة وهو هنا(المدح)•

وفى البيتين الأولين وصَّفُ المحبوب باعتدالِ القَوامِ ولينه، وبالصيانةِ والحفاظِ ، وفى الأبيات الثلاثة التالية يناجى الشاعر المحبوبَ

فيصفُهُ بأنه مليكُ الحسن ، ويطلب منه الرفْق به فهو متيم دامعُ العينين مظلومٌ يَنشُدُ الأمان ، وفى الأبيات الثلاثة التالية (من السادس إلى الثامن) نقلنا الشاعر إلى (مجلسِ خمرٍ) فيتغزل بالساقى ، ويصف لينَ عِطفه بَعْدَ قساوة قلبه ، كما يصفه برقة الخَصْرِ وبالتِّيهِ والخُيَلاءِ ، وبالنظراتِ الساحرة ٠

ثم التفت الشاعر فى البيتين (التاسع والعاشر) إلى نَدِيمِهِ وصاحبِهِ فى مجلس الشراب داعيا له إلى التبكير فى الشرب ، فالمكانَ جميل ، وفيه الحِسان كأنهن(الحورُ العِينُ)، ثم يصف الخمرَ بالعِتق(١) وهى صفة ممدوحة فيها ، وبأنها تضيىء فى كئوسها كالياقوت ٠

وفى البيت الحادى عشر وما بعده تَخَلَّصَ الشاعر أولا من مقدمته الغزلية الخمرية الى (المدح) فصرح باسم الممدوح ثم أخذ فى وصفه بالعظمة التى تحيّر الإلباب ، وبالشجاعة فى الحرب وبكسر الأعداء ، ومع قوة بأسه فى الحرب فهو رحيم فى السلم ، حانٍ على الضعفاء وهو كالشمس فى علو المكانة وأنتشار الضياء ، وهو فى الكرم كالبحر وكالروض ، وأشاد بكثرة الحروب التى خاضها والجيوش التى قادها إلى طريق الغلبة والنصر ٠

وفى الأبيات من (الرابع والعشرين) إلى نهاية النص قَدَّم الشاعر قصيدته إلى ممدوحه فى صورة عروسٍ مجلوّةٍ بأغلى حلى ، وأبهى زينة ، مشتاقةٍ للقاء محبوبها ، وغايةُ مناها أنْ تحظى لديه بالقبول ٠

التعليق :

---

(١) القِدَم

أول ما يلفت النظر إلى هذه القصيدة غلبة (المحسنات البديعية) على أسلوبها من (جناس ، وطباق) و(تورية) و(اقتباس) وكثرة الصور البيانية أيضا من تشبيه واستعارة وكناية .

فلم يخل بيت من محسن بديعى أو أكثر ، وقد يكون مع ذلك صورة بيانية غالبا .

وقد اعترف الشاعر بذلك فى أواخر القصيدة حين قال مخاطبا ممدوحه :

هاك منى (بنتَ فكرٍ) تنْجلى

فى حللٍ من (بديع) و(بيان) !

تأمل على سبيل المثال الأبيات الثلاثة الأولى ، فقد تعمد الشاعر إيراد (الجناس التام بها فى لفظ(بان) أربع مرات فهى فى الأولى بمعنى (شجر) وفى الثانية بمعنى الفعل الماضى (ذهب) وفى الثالثة هى اسم فاعل من بنى يبنى ، وفى الرابعة فعل ماض بمعنى ظهر ، وإلى جانب هذا فى البيت الثانى (جناس ناقص) بين (العسال) و(معسول) و(الطباق) بين الهدم والبناء .

وفى البيت الثالث (طباق) كذلك بين الكتمان والظهور وفى الأبيات الثلاثة أيضا أربع صور بيانيه هى تشبيه قد المحبوب بالرمح ، وبغصن البان .

٣ - وتصوير حفاظه على عفته وجماله بالمحارب المدافع عن نفسه بسلاحه .

٤ - وبالهادم لبناء خصمه .

وهكذا لو تتبعت القصيدة بيتا بيتا ، لوجدتها مثقلة بالبديع يتلاعب الشاعر به لإظهار البراعة فى النظم وهى براعة (لفظية) لاغير ، جنت على المعنى ، وأدت به إلى(الغموض)تارة ، وإلى (السطحية)تارة أخرى ، والشاعر بهذا قد عكس القضية فجعل (اللفظ) فى المقام الأول من الاهتمام ، بينما الطبيعى والمنطقى أن

يكون فى خدمة (المعنى) • فالمحسنات بالغـة الكـثرة لدرجـة الحشد، وهى متعمدة متكلفة مبهظة للقصيـدة ــ ولا يحمـد مـن المحسنات إلا ما جاء عفو الخاطر عن غير قصد ــ وليـس مـا ههنا كذلك فالبديع بزخارفه الشكلية يشغلنا عن تتبـع المعـانى ، ويغطى بطلائه الظاهرى على وضوحها ورونقها وروعتها •

وإذا رجعنا إلى (المقدمة الغزلية) للقصيدة وجدنـا غزلـها (صناعيا) واضح التكلف ، يفتقد حرارة العاطفة وصدقها •

أما (الصور البيانية) فتقليدية قديمة كتصوير قدّ المحبوب بالرمح ، وتشبيه الخمر بالجوهر اللامع ، والممدوح بالأسد فـى الشجاعة وبالشمس فى الضياء وبالبحر فى الكرم الخ فلا جديـ فى شئ من ذلك وهذه القصيدة (مثال واضح) يبين أسباب ضعـ الشعر فى هذا العهد ، وعند شعراء هذه الجماعة •

ثانيا : مدرسة المحافظين :

إمام هذه المدرسة (محمودُ سَامِى البارودىّ) رائدُ نهضةِ الشعر فى العصر الحديث بعامة بصَقْلِهِ موهبتَه الفَذّةَ ، وتخطّيـه عصر الضعف ، واتجاهه لعصور القوّةِ والازْدهار يَحْيَـا معـها وينْهل من ينابيعِها الثّرّة ويتمثلُ روائعَها لاسيما أنماذج العصـر العباسى ، مع احتفاظه بشخصيته يعبِّر عنها بصدق ، وعن هموم أمته •

ولقد أعجب بالبارودى وسار على نهجـه مَـنْ سـميناهم (بجيل الوثبة والنهضة الكبرى فى العصر الحديث) وذكرنا لـك أسماء مشاهيرهم ، وإذا أردنا التركيز الشديد فإننا نحصر زعماء هذه المدرسة بعد (البارودىّ) القائدِ والرائد فى ستة شعراء هم : (صبرى) و(شوقى) و(حافظ) و(الرافعى) و(مطران) و(أحمد محرم) • وقد يصلون إلى ضعف ذلك أو أضعافه*

* راجع ص ١٠٦ ، ١٠٧ من هذه الدراسة .

ولهذه المدرسة اسم آخر عند النقاد هو(البعث والإحياء) ولتعليل هذا الاسم ندعوك إلى مراجعة ما ذكرناه فى أول الفصل الثالث من وصف حال الشعر فى العصر الحديث وظواهر نهضته[١]

لماذا وصفوا بالمحافظين؟

وأما وصف رجال هذه المدرسة (بالمحافظين) فلأنهم على الجملة -(حافظوا على صورة الشعر العربى القديم فى عصوره الزاهرة)، من جمال الموسيقا المتمثلة فى التمسك بنغمه العذب فى(وحدة الوزن)والبحر العروضى فى داخل القصيدة (ووحدة القافية)، وعلى(الجزالة والقوة ، وشدة الأسر وإشراق الديباجة)، مع التخفف من أثقال البديع ، وبعدهم عن تكلف الصور البيانية وحرصهم على الاستجابة لداعى الطبع والسجية ، فنرى فى (البارودى) شبها كبيرا (بأبى فراس الحمدانى) الفارس النبيل والشاعر العباسىّ الفحْل فى روعة شعره وجودة تصويره ،.وكلاهما من رجال السيف والحرْب وأرباب الشجاعة والأقدام إلى جانب الأدب والشعر . كما نرى فيه ملامح من (المتنبى) فى الحكمة ومتانة النسج ، ونرى فى (صبرى) رقة شعر (العباس بن الأحنف) ، وحلاوةَ شعر (البحترىّ) وفى (شوقى) سلاسة شعر (أبى نواس) وحكمة (المتنبى) وفى (حافظ) قوةَ أسْر (جرير) وروعة أسلوب (أبى العتاهية) وفى (الرافعى) (عُمْق ابنِ الرُّومى) وفى(مطرانَ) إبداعَ (أبى تمام) وتمكنه من ناصية القريض ومن جوانب (محافظتهم) افتتاح كثير من شعرائهم بعض قصائده (بالغزل والنسيب) لاسيما فى (المدح) جرْيا على عادة شعراء العرب الأقدمين — على أن هذا الفريق لم يلتزم بتلك المقدمة الغزلية التزاما كاملا هذا من (الناحية الفنية) .

اتجاهاتُ شعراء هذه المدرسة :

← ←

---

[١] ص ١٠٤ من هذا الكتاب .

١- (التعبيرُ عن النفسِ والحياةِ والمجْتمـــع) نتيجـةَ شعورهم بالعزة والكرامة الفردية والقوميـــة ومشاركتيــهم أمتهم في آلامها وآمالها •

٢- (الاتجاهُ الإسلامي) : ويَعْني الاعتزازَ بالإســـلام وقيمِه ومبادئه السمحة ، وشريعتِه الخالدة ، والدعوةَ إلى إحياءِ مجدَ الإسلام السالف والحفاظَ على تراثه الحضاريِّ العظيــم ، والدفاع عنه ضدَّ مهاجميه من المســتشرقين والملْحدين ، وكذلــك الدعوةَ إلى إنهاضِ الأمة الإسلامية وأنتشالها مـــن وهْـدةِ الضعف والتخلف، وإنقاذها من مخالب الاستعمار الــذى عـدا عليها في شتى ديارها والدعوةَ إلى توحيد كلمتها ولمِّ شمْلِـــها ، وردّ استقلالها إليها ، ومن هنا جاء دفاعهمْ عـــن (الخلافــةِ) باعتبارها رمزًا لقوة المسلمين ،ووحدة كلمتهم •

وقد استفاد شعراءُ مدرسة المحافظين هذا الاتجاه من تلمــذة أكثرهم على (جمال الدين الأفغاني) و(الشيــخ محمــد عبــده) وتأثرهم بآرائهما الإصلاحية) على ما أشرنا إليه فيمـــا ســبق ، ونرى ذلك بوضوح عنــد (حــافظ) و(شوقــى) و(الرافعــى) و(محرم) •

٣ - (الاتجاهُ الوطنيّ) لتحريرِ (مصـــر) مـــن الطغيـــان والاستبداد والتدخل الأجنبي الذى استشرى في عصر (إسماعيل) وتحريرها من الاحتلال الأنجليزي الذى حاق بالبلاد فـــى عـــهد (ابنه توفيق) وما تبعه مِنْ مَآسٍ في عهود خلفائه الخانعين ممـــا أورثهم كراهية الشعب وسخَطَه ، وقد عبر الشاعر (مصطفـــى لطفي المنفلوطى) عن هذه المشاعر عندما عاد الخُدَيْوُ(عبـــاس الثاني) من إحدى رحلاته خارج البلاد ــ بقوله :

قدومٌ ولكنْ لا أقولُ ســَـــعيدُ
وَعُمْرٌ وَإنْ طَالَ المَدَى سَيَبيدُ
تذكـــرُنا رُؤْياكَ أَيَّامَ أنْزِلتْ
علينا خُطُوبٌ مِنْ جُدودِكَ سُودُ

كَأَنَّيّ بهذا القَصْرِ أَصْبَحَ بائِداً
مِنَ الظُّلْمِ والظُّلْمُ المبينُ مُبيدُ ...!

وقد ساق الشعراءَ إلى ذلك ما لمسوه وعايشوه من آثار تلك المصائب الفادحة ،ومَا غَذَّى مشاعِرَهُمْ من الحركات الوطنية المضادّة للاستبداد والاحتلال ومشاركة بعضِهم فيها كهبَّةِ الجيش المِصْرِيّ العارمَة بزَعَامةِ (عُرابى) وإخوانِه ، ضد الحكّام الظالمين ،وحركة (مصطفى كامل) الباسلة ، ورفاقه الكرام البررَة ضد الاحتلال البريطانى وما بعد ذلك من ثوراتٍ وانتفاضاتٍ أبيّةٍ كثورة ١٩١٩م وثورة ١٩٥٢ م وما زامنها من ثوراتٍ مماثلة فى الأوطان العربية الشقيقة ، كثورة (عبدالكريم الخطّابِيّ) بطلِ الرِّيف المغْربى فى (مراكش) ضد الاستعمار الفرنسى ، وثورة الأميرِ البطلِ المجاهد (عبدِالقادر الجزائرىّ) فى وجهِ الغزوِ الفرنسىّ الأثيم (للجزائر) وثورة البطلِ الشهيدِ (عمرَ المختار) فى(ليبيا)ضد الغزو الإيطالى الوحشى البَربرى اللئيم ٠

وثورة ١٩٣٥م التى قَامَ بها طلابُ الأزهرِ والجامعةِ والمدارس ثورات مماثلة فى الأوطان العربية كثورةِ (رشيد عالى الكيلانى) فى(العراق)ضد الإنجليز ، والثورات الوطنية فى (سوريا ولبنان) ضد الفرنسيين وفى (فلسطين) ضد اليهود والإنجليز ٠

٤ – (الاتجاه الاجتماعى) :

ويعنى انفعال الشاعر وتأثره بما يحدث فى مجتمعه من أحداث وتعبيره عنه بصور متعددة كالتهنئةِ والتشجيع إن كانت سارّة ،والمشاركةِ والمواساةِ إن كانت مؤلمة ، وأظهر ما كان هذا الاتجاه عند (حافظ) ففى ديوانه نجد قصائد رائعة عن : حريق (ميت غمر) عام ١٣٢٠هـ الموافق لسنة ١٩٢٠ م الذى أتى على هذه المدينة المنكوبة ، بعد أن رعت النار فيها ثمانية أيام يقول فى مطلعها: (١)

---

(١) ديوان حافظ : ط دار الكتب المصرية ص ٢٥٠

سَائِلُوا اللّيْلَ عنهمو والنّهارا
كيْفَ بَاتَتْ نِسَاؤُهُمْ والعذارى ؟!

وعن ظاهرةِ (ضعفِ اللغةِ العربية) يقول قصيدة بديعة مطلعها ([1]) :

رَجَعْتُ لِنفْسِى فاتّهمت حصاتِى
ونادَيْتُ قَوْمِى فاحْتسبت حياتِى !

وعن حفلِ التكريمِ لنوابغ مدرسةِ(مصطفى كامل) عام ١٩٠٦ م يقول ([2])

سَمِعْنا حديثاً كقطرِ النّدى
فجَدّدَ فى النفْس ما جَدّدا ...الخ

وله قصيدة فى الحث على (تعضيدِ مشروع إنشاءِ الجامعةِ المصريةِ) نشرت عام ١٩٠٧ يقول فى أولها : ([3])

إنْ كُنْتُمُو تَبْذُلُونَ المالَ عنْ رَهَبٍ
فنحنُ ندعُوكُمُ للبذلِ عنْ رَغَبٍ ..

ومن أجل (رعاية الأطفال) أنشد هذه القصيدة عام ١٩١٠م والتى بدأها بهذا البيت : ([4])

شَبَحًا أَرَى أمْ ذاكَ طَيْفُ خيالِ
لابَلْ فتاةٌ بالعَراءِ حِيالِى

وَعَنْ تعليمِ (البِنْتِ) وَحُسْنِ تَرْبيتها وإعدادِها لتكونَ أُمّاً صالِحَةً أَنْشَأَ قصيدَتَهُ القافِيّةَ الطويلة الرائعة التى مَطْلَعُهَا: ([5])

([1]) السابق ص ٢٥٣ .

([2]) السابق ص ٢٦١

([3]) السابق ص ٢٦٥

([4]) السابق ص ٢٧٥

([5]) السابق ص ٢٧٩ .

كَمْ ذا يُكابِدُ عاشقٌ ويُلاقى .. فِى حُبِّ(مِصْرَ)كثيرةِ العُشّاقِ

وفيها جاء بيته المشهور :

الأُمُّ مدرسةٌ إذا أعددتَها .. أعددتَ شعباً طيِّبَ الأعراقِ

وله قصائد عن مآثر (الجمعية الخيرية الإسلامية) التى كان رئيسها الأستاذ الإمام (محمد عبده) وعن (جمعيةِ رعاية العميان) وعن (ملجأ الأيتام) وعن (غلاءِ الأسعار) و(أضرحة الأولياء) (١).

وبهذه العنايةِ الفائقةِ والاتّجاهِ القويِّ إلى ذلك اللوْنِ من الشعر، استحق شاعر النيل (حافظ ابراهيم) لقباً آخر هو : (الشاعرُ الاجْتماعيّ) .

٥ – (الاتجاهات التجديدية) (المحافظون والتجديد):

ولا يَعنى وصفُ رجالِ هذه المدرسة (بالمحافظين) أنهم أعادوا فى شعرهم بهجة الشعر القديم ، وحافظوا على عماده الرفيع ، وصورته الجميلة ثم وقفوا عند هذا الحد فلم يجدّدوا ولم يبتكروا ، فالواقع يشهد أنهم كانوا مع محافظتهم مُجَدِّدينَ بلْ على جانب كبير من التجديد نُجْمِلُهُ فى النواحى الآتية :

- أ – <u>فى المضامين الشعرية (المعانى والأفكار) :</u>

أشرنا فيما سبق إلى أن المحافظين جمعوا من حيث(اللفظ والأسلوب) بين سلامةِ العبارةِ ومتانتها وبين الرِّقةِ والجزالةِ أما من حيث (المضمون والمعنى) فقد جمعوا بين السهولة والعمق ،وتجافَوْا عن التعقيدِ حتى ظفروا بجودةِ المعنى ووضوح الفكرة ، وقد أعانهم على ذلك ما استفادوه من معانى الأقدمين وما أغزرها. إلى جانب ما استفادوه مما اطلعوا عليه من معانى(الشعر الأوربىّ) مِمّا اطَّلع بعضُهم عليه فى لُغتِهِ الأصْلية ، أوْ مِمّا تُرْجِمَ إلى اللغة العربية من هذه الأشعار .

---

(١)راجع ديوان حافظ من ص ٣٠٢ إلى ص ٣١٨ .

ب – سعة الأفق والنزعة الانسانية :

فنرى (حافظا) يأسى لزلزال (مَسِّينا) في إيطاليا ، ويتوجعُ لما أصاب أهل هذه البلدة من هلاك ودمار ، وليسوا عربا ولا مسلمين ،ولكنها الآصرة البشرية ، ويُصَوِّرُ ذلك في قصيدة مؤثرة مطلعها :

نَبِّئانِي إِنْ كُنْتُمَا تَعْلَمَانِ .. مَادَهَى الْكَوْنَ أَيُّهَا الفَرْقَدَانِ ؟!

وفيها يقول مصورا بعض المشاهد :

رُبَّ طفلٍ قد سَاخَ فى باطِنِ الأَرْ
ضِ يُنَادِى : أُمِّى أَبِى أَدْرِكَانِى!!

وهو معجبٌ بالمرأةِ (اليابانيّة) لنهضتِها وتمسُّكِها بتقاليدها مع كونها ليست بعربية ولا مسلمة ، إلا أنها (شَرْقِيَّة) فيجعل منها قدوة للمرأة المصرية ، وَمِثالاً يُحْتَذَى فى قوة العزيمة والكفاح لرفعة شأن الوطن .

أنا (يابانيةٌ) لا أَنْثَنِى .. عَنْ مُرَادِى أَوْ أَذُوقَ الْعَطَبَا !

بل يشارك (حافظ) فى إحياءِ ذكرِ (شكسبير) شاعرِ الأنجليز العظيم فى مناسبةِ مرور ثلاثمائةِ عام على وفاتِه بقصيدةٍ عصماء أولها :

يَجِيئُكَ مِنْ أَرْضِ الكِنَانَةِ شَاعِرٌ
شَغُوفٌ بقولِ العبقريِّين مُغْرَمُ !

ويخاطب الإنجليز فى آخرها قائلا :

إِنْ كانَ فى ضخمِ الأساطيلِ فَخْرُكُمْ
لَفَخْرُكُمُو بالشاعِرِ الفَرْدِ أَعْظَمُ

و(شوقى) يُشِيدُ (بغاندى) زعيم الهندِ ، وقائدِها فى حربِهِ السِّلْمية ضد الاستعمار البريطانى بمناسبة مروره بمصر :

سلامُ اللهِ يا(غاندى) .. وهذا الزَّهْرُ مِنْ عِندى ... الخ

وحين يمر شوقى(بروما) المدينة التاريخية العريقة يقف واصفا ملتمسا العبرة :

قِفْ (بِرُوما) وشاهِدِ الأمرَ واشهدْ
أَنَّ للملكِ مَالِكاً سُبْحَانَهْ !

دَوْلَةٌ فِى الثَّرى وَأَنْقَاضُ مُلْكٍ
هَدَمَ الدهرُ فى العُلا بُنْيانَهُ ! ....

- ج – وصف المخترعات الحديثة :

كوصْفِ المذياع (الراديو) : فى قول بعضهم :

اِجْهرْ بِصَوتِكَ وَامْلأ الأَسْمَاعا
وانشرْ حديثَ الخافِقَيْنِ تِباعَـــا !

ووصْفِ (القِطار) ووصْفِ (الطائرة) ، والسفينةِ البخارية وغيرها ، يقول(شوقى)فى وَصْف الطائرة :

مَرْكَبٌ لوْ سَلَفَ الدهرُ بِه
كانَ إِحْدَى مُعْجِزاتِ القُدَمَاءْ ...
نِصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفٌ بَشَرٌ
يَالَهَا إِحْدَى أَعَاجِيبِ القَضَاءْ !
حَمَلَ الفُولاذَ رِيشًا وَجَرَى
فِى عِنانَيْنِ لَهُ : نارٍ وَمَـــاءْ
وَجَناحٍ غَيْرِ ذِى قَادِمَـــةٍ
كَجَناحِ النَّحْلِ مَصْقُولٍ سَوَاءْ
وَذُنَابَى كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَـــا
مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْـــرُبَاءْ !

وغير ذلك من مظاهر الحضارة الحديثة

وربما دَخَل ذِكْرُ بعضِ هذه الأشيـــاء فـــى غـــير قصـــائد (الوصْف) كما جاء فى قصيدة يمدحُ بها(حافظ) الأستاذَ الإمـــام الشيخَ (محمدًا عبده) معبّرا له عن حُبّه المكين وتعلق قلبه الدائم به :

كَأَنَّ فُؤادِى إِبْرَةٌ قد تَمَغْطَسَتْ
بِحُبِّكَ أَنَّى حرفتْ عَنْكَ تَعْطِـــفُ !!

- د-الاتجاه التاريخي والقصصي :

← وَمِمَّنْ عنى به كثيرًا أميرُ الشعراءِ (أَحْمَدُ شَوْقِى) فلقد تغنى بتاريخ قدماء المصريين وأشاد بآثارهم الخالدة وتغنى بالتـــاريخ العربى الإسلامي أَيَّمَا تَغَنٍّ ، ولا أدل على ذلك من(ديوانٍ كــامل) تناول فيه السيرةَ النبويةَ الشريفةَ وَسِيَرَ الخلفـــاءِ وأســماه (دولَ العربِ وعظماءَ الإسلام) ونرى لِشَاعِرِ النيل (حافظٍ إبراهيـــم) قصيدتَه التاريخيةَ القصصية الطويلة عَن (عُمَرَ بن الخَطَّـــاب) المسماة (بالعُمَرِيَّة) وللشاعر البَـدَوِيّ (محمــدٍ عبدالمطلـب) قصيدة شبيهة بها عن (عَلِيّ بن أبى طالب) أسْمَاها (العَلَوِيَّة) ، وهناك شاعر أخر هو (خالدُ الجَزْنُوسِيّ) له جهد مشكور فى هذا الجانب فقد نظم من التاريخ الإسلامى فى شَتَّى عصـــوره عـــدةَ قصص فى كل منها العِبْرة والحكمة والموعظـــة الحســنة مـــع التصوير الجميل والأسلوب العذب الرقيق ، وَطَبَعَها فى كتـــابٍ تحت عنوان (قصص إسلامِيَّة)

أما صاحب القِدْحُ المُعَلَّى فى هذا الأتجاه ، فـــهو الشـــاعر الكبير (أحمدُ مُحَرَّم)(١) فى عمله الشِّعْرِيِّ العظيم (ديوان مَجْـــدِ الإسلام) الذى سَجَّل فيه أمجاد العروبة ومفاخر الإسلام ممثلـــة فى السيرةِ العَطِرَةِ لخاتم الأنبياءِ ، والمرسلين (محمدٍ) عليه الصلاة والسلام مُصَوِّرًا إياها فى لوحاتٍ فَنِّيةٍ رائعةٍ من الشعر الرَّصِين، بلغت (مائةً وثمانينَ) قصيدةً ومقطوعة (٢) تقع فى مجلد ضَخْم (زهاء ستمائة صفحة من القطع الكبير) لتكون أنمـــاذجَ للشبـــاب المسلم تُحْيِى القلوبَ ، وتثير الهمم ، وتملأ النفوس عزة وكرامة وتقديرًا البطولةِ الرسول الأعظم ، وصحابته الأكرمين وقد سَمَّى بعضُ النقاد هذا الديوان : (الإلياذة الإسلامية) فى إشارة منـــهم (لإلياذة هو ميروس) (الشاعر الإغريقى القديم) المشهورة التـــى

---

(١) المولود فى المحرم من عام ١٢٩٤ هـ الموافق لشهر يناير عام ١٨٧٧ م والمتوفى فى عـــام ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩٤٥ م .

(٢) راجع ديوان مجد الإسلام طبع دار النفائس فى بيروت عام ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م

سَجَّلَ فيها بطولاتِ الإغريق الأقدمين، ولكـــنْ هَيْـهاتَ ـــ فإلياذةُ (هومر) مبنيةٌ على الأساطيرِ والخيالاتِ ، أمّا ما صَاغَـــهُ شاعِرُنا (مُحَرَّمُ) فمبنيٌّ على البُطُولاتِ الحَقّة ، والتاريخِ الناصعِ الصَّحيح ..

• ـــ ويدخل ضمن الاتجاه القصصي في الشعر الحديث مـــا يخصُّ (الحيوان). وقد عُنِيَ به (شوقى) فأنشأ قصصـــا على ألسنة الحيوان قصد بها تهذيبَ الناشئة وسوْقَ العظةِ والعبرةِ فى صورةٍ جذابة محببةٍ ، وقـــد جمعتـــها وزارة المعارف فى بعض العهود فى كتيِّبٍ عنوانه (شعرُ شوقى فى الحيوان) .

• وكذلك ما صنعه الأديبُ الشاعرُ (أحمدُ بك العَرَب) فـــى كتابه الذى سماه (آداب العـــرب) وســـاق فيـــه (تسعا وتسعين) قصة قصيرة أغلبها على ألسنة الحيوان والطير سماها (عِظات) ، فى شعرٍ سهلٍ لطيف بقصد التـــهذيب والعبرة وختم كل قصة فى البيت الأخير بمثل مـــأثور أو طريف من صنعه ، وقد طبعت (نظارة المعارف) هـــذا الكتاب فى المطبعة الأميريـــة عـــام ١٩١١ م وقـــررت تدريسه فى مدارسها الابتدائية ومدارس المعلمين ونرجـــح أنه سَابِقٌ لشوقى فى هذا الباب من الشعر .

• – الاتجاه إلى الشعر التمثيلي (المسرحي) :

لم يكنْ فنُّ (المسرحية) معروفا فـــى الأدب العربـــى قبـــل العصر الحديث لظروف معيَّنة ،لا مجال لبيانها الآن [1] ، فلمـــا حدث الاحتكاك الكبير بين الشرقِ والغرب ، ودعـــت الظـــروف لدخول هذا الفن إلى الأدب العربى ، كان دخوله سهْلا ميسورا ، وتم ذلك على أيدى رُوَّادٍ كان لهم فضل السبق فى هذا المضمار

---

[1] انظر فى تعليل ذلك كتابنا (من قضايا النقد الأدبى فى القديم والحديـــث) ص ٨٥ ـــ ٨٨ ط مطبعة الأمانة ١٤٠٨هـــ ١٩٩٧م وانظر أيضا (المسرحية الإسلامية فى مصر..) رسالة دكتوراه للمؤلف (مخطوطة) ١٩٧٨م.

، منهم الشيخ (خليل اليازجيّ) البيروتي المتوفى عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م .
بمسرحيته (المروءة والوفاءُ) التى ألّفها عام ١٨٧٦ م ومُثّلت في مدينة (بيروت) .

١ - ومنهم شاعر النيل (حافظ إبراهيم) بمسرحيته (جريح بيروت) وهى مسرحية قصيرة فى فصل واحد كتبها عام ١٩١٢م صور فيها العدوان الإيطالى على ثغر (بيروت) الشاميّ التابع (للدولة العثمانية) عندما تصدت لحزب إيطاليا عندما هجمت هذه على (ليبيا) عام ١٩١١ م وَسَبَّبَ هجومُ الطليان بأسطولهم على بيروت جرحى وقتلى كثيرين من أهل بيروت فعمّ الاستياءُ البلادَ العربيةَ ونظم (حافظ) هذه المسرحيةَ تعبيرا عن الشعور المصرى الفياض ضد العدوان الغادر .

٢ - ومنهم الشاعر المصرى المجدد (أحْمَدُ زكى أبو شادى) الذى ألف عددا من المسرحيات الشعرية التاريخية والأسطورية من اللون الغنائى (الأوبرا) منها (إحسان) و(أردشير) و(الزّبّاء) أو (زنوبيا) وذلك فى عام ١٣٤٥ هـ الموافق لعام ١٩٢٠م .

٣-ومنهم أمير الشعراء (أحمد شوقى) وهو وأن كان قد سُبِق (باليازجى وحافظ) وواكبتْ مسرحياتُ (أبى شادى) نشاطَهُ المسرحيّ إلا أنه أى (شوقى) قد استحق أن يكون زعيم الشعر المسرحى والعربى فى العصر الحديث بما ألّفَ من مسرحيات كبيرة وكثيرة بلغت(ستّ مسرحيات شعرية) وسابعة نثرية نالتْ كلها الشهرةَ والقبولَ ومُثلت على المسارح فحازت التقديرَ والرّواجَ والنجاح . وعلى منواله نسج اللاحقون★ وقد بدأ (شوقى) تاليف مسرحياته فى المدة ما بين عام ١٩٢٧ م إلى عام ١٩٣٢ م وهو عام وفاته أما مسرحياته الشعرية فهى : (مصرع كليوباترا) ـ (مجنون ليلى) ـ (عنترة) ـ (على بك الكبير) ـ (قمبيز) ـ (الست هدى) أما

★ كـ (عزيز أباظة) ومؤلف هذا الكتاب وغيرهما .

مسرحيته النثرية الوحيدة فهى (أميرة الأندلس) وممن واكـب
شوقى فى تأليف المسرحية الشعرية ـ ولكن فى قلة ٠ الأديب
المؤرخ (محمد فريد أبو حديد) بمسرحيته (ميسون العجرية)
عام ١٩٢٨ م التى تقع أحداثها فى عصر المماليك ومن أشهر
مَنْ جاء بعد (شوقى) ونسج علـى منوالـه فـى المسـرحية
الشعرية الشاعرُ (محمدٌ الهرّاوِىُّ) الـذى أخـرج للأطفـال
مسرحيات قصيرة عام ١٩٢٩ م منها مسرحية (الذئب والغنم)
ومنهم الأديب الإسلامى(عبدالرحمن السـاعاتى) بمسـرحيته
(جميل بثينة) وهو (جميل بن مَعْمَر العُذْرِىّ) وقصته مع ابنـة
عمه (بُثْينة) فى العصر الأموى ٠ ومنهم الأديـب الشـاعر
(علىٌّ أحمدُ بَاكثير) بمسرحيته (هَمَّـام) أوْ (فـى عاصمـة
الأحقاف ـ ثم ألف مسرحيةً أخرى شعريـة هـى (قَصْـر
الهودج) عام ١٩٤٤م ومنهم الشاعر المصرى (محمودٌ غُنَيْم)
فى مسرحيته (المروءةُ المُقَنَّعَة) عام ١٩٤٠ م صور فيها قصةً
وَاقِعِيَّةً من التاريخ العربى أيام الأمويين تتجلى فيها القيـم الإسـلامية
الرفيعة من كرم وإيثارٍ ونكرانِ ذاتٍ ثم جاء أَنْبغُ تلاميذ شوقى
فى المسرحية الشعرية وهو الشـاعر (عزيـز أباظـة) فـى
مسرحياته العشر الشعرية بدأها بمسرحية (قَيْس وَلُبْنَى) عـام
١٩٤٣ م ومن مسرحياته الشعرية كذلك (العباسة) أخت الخليفة
هارون الرشيد ـ و(الناصر) عن عبدالرحمن الناصر الخليفة
الأندلسى وله مسرحية (شجرة الدر) عام ١٩٥١ م و(غروب
الأندلس) ومنهم كاتب هذه السطور " الشاعر (محمد عبدالمنعم
العربى) الذى ألفَ وهوطالب فى مطلـع المرحلـة الثانويـة
بالأزهر مسرحيته الشعرية (إسْلامَ هِرَقْل) عام ١٩٤٦م فـى
خمسة فصول تصور موقف (هرقل) عظيم الروم من الإسلام
عندما أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام
عام ستة من الهجرة ٦٢٨ من الميلاد وكيف بَحَثَ (هرقل) فى
أمر النبى ودقّق فى البحث حتى اقتنع بأنه نبىٌّ صادق وَدَعَـا
قومه إلى الإسلام فثاروا ضده وكادوا يفتكون به لولا أنه كتَـمَ

إسلامه(١) وقد مثلث هذه المسرحية فى(القاهرة) مِرَارًا وفى (بنى سويف) وفى (الزقازيق) على مسرح قصر الثقافة مثلها طلاب كلية اللغة العربية عام ١٩٨٣ م " •

ومنهم الشاعر (محمدٌ رجبُ البيومىّ) بمسرحيته (مَلِكِ غسّان) عام ١٩٥٨ م عن قصة (جَبَلَةَ بنِ الأَيْهَم) الملكِ الغسّانىّ مع الأعرابى الذى وَطِئَ إزاره فى أيام (عمرَ بن الخطاب) رضى الله عنه • ثم جاء الشاعرُ (محمدٌ يوسفُ المحْجوبِ) من رجال التعليم الذى أصدر ما بين عام ١٩٤٠ م وعام ١٩٦٠ م (عشرَ مسرحياتٍ شعريةٍ قصيرة) للمسرح المدرسى كلها من التاريخ الإسلامى المجيد منها (مَوْلِدُ الرسولِ) ـ (أَصْحابُ الفيلِ) ، (بلالٌ) (هجرةُ الرسولِ) ـ (ذاتُ النِّطاقَيْن) هذه أهم معالم المسرحية الشعرية فى العصر الحديث •

---

(١) راجع (صحيح البخارى) باب بدء الوحى (الحديث السادس)

أنموذج للشعر المسرحي:

[مشهد من الفصل الثاني من رواية (على بك الكبير) لأحمد شوقى (*)]

مقدمة المشهد :

(الزمان) حوالى عام ١١٨٥ هـ ــ ١٧٧٠ م

(المكان) قلعة (عكا) وهى إحدى المدن الفلسطينية المهمة والتاريخية المشهورة ساحلية تقع على البحر الأبيض المتوسط(*) ولها قلعة حصينة .

الشخصيات :

١.- (**على بك الكبير**) حاكم مصر الذى استقل بها عن الحكم التركى العثمانى والمتحالف مع حاكم عكا ، وهو الآن فى ضيافة حليفه .

٢.- (ضاهرُ العمر) حاكم عكا المناصر لعلى بك الكبير فى استعادة مصر من الخائن (محمد أبى الدهب) الذى غدر بسيده (على بك) وأعاد مصر للعثمانيين .

٣.ــ قائد الأسطول الروسى الذى أرسلته روسيا (عَدُوَّةَ الدولة العثمانية) لعله يتحالف مع (على بك وضاهر) فيتمكن من ضَرْب الأتراك فى مكان بعيد عن روسيا فيضعف من شوكتهم

بداية المشهد (يدخل ضاهر على ضيفه على بك)

ضاهر (لعلى بك) : ....

يوَدُّ لِقاءَكَ ضَيْفٌ حضَــــرْ

على بك : وَمَنْ ؟

ضاهــر : قائدُ الرُّوسِ فى جَوْلةٍ .: أتأذَنُ ؟ أَمْ أنهُ ينتظرْ؟

(*) مطبعة مصر عام ١٩٣٢ من ص ٨٠ ــ ٨٥ بتصرف يسير .

(*) وهى الآن ضمن الجزء المغتصب من فلسطين كأختيْها (يافا) و(حَيْفاَ) ــ حررهن الله

على بك : أميرٌ من الروسِ ماذا يقودُ ؟
ضاهــر : بوارجَ فى البحرِ مثلَ الجُــزُرْ
على بك : وماذا ترى فى لقائى بِهِ ؟
ضاهــر : تلاقيه ، فهو جليلُ الخطرْ
وما فى الكلام ولا فى اللقاء .. إذا ما سمحْتَ بِهِ مِنْ ضَرَرْ
(يومىء (على بك) موافقا ، ويخرج ضــاهر ويدخــل القــائد الروسى)
القائد : التحياتُ للأميرِ
على بك : تحياتٌ ... وأهلاً بالقائدِ الرُّبانِ
القائد : نحن جاران يا أميرُ ولكن
نحن فى منزلين ــ يخــتلفانِ
أنت كالليثِ رابضٌ فى الصَّحارَى
وأنا الحُوتُ فى العُبابِ مكانى
على بك : غير أنى مُقيَّدٌ بخطوبٍ
حَبسَتْ هِمَّتِى ، وَرَدَّتْ عِنَانِى !
القائد : لا تَضِق يا أميرُ ذلك أسْطو
لِى جلالُ البحارِ نورُ الموانــى
سُفُنُ (القيْصَرِ) العظيمِ قصورٌ
لكَ إنْ شئتَ زُيِّنتْ ومَــغانِ
على بك : أشكرُ القائدَ النبيلَ وإنْ لمْ
يخْفَ ما فى خِطابِهِ من مَــعانِ
أنا فى دار (ضَاهِرٍ) وهى دارى
مع أعوانِهِ وهــم أعوانــى
أنا فى دارِ مُسْلِمٍ عَرَبِــىٍّ
مانِعِ الجارِ مُــكْرِمِ الضِّيفَــانِ
القائد : سيدى نَحِّ (ضَاهِرا) وتقلَّدْ
نجدةَ (القيْصَرِ) الــعظيمِ الشَّانِ

لا تَرُمْ مَنَّ بالعَصا مُلْكَ مِصْرٍ
واطلبِ المُلكَ بالحُسـامِ اليمانـي !

علي بك : (ضاهرٌ)صاحبي شُجاعٌ أبيٌّ
عبقريُّ الوفـاءِ والإحْسـانِ
فَزِنِ القولَ يانبيلُ وأمْسِكْ
لا تنلْ ذِكر صاحبي بهـوانِ

القائد : ما أهَنْتُ الصَّديقَ مَوْلايَ لكنْ
قلتُ : أحْسِنْ تَخَيُّرَ الأعْـوانِ

علي بك : ما النَّجْدَةُ الحقُّ إلاَّ صاحبٌ دَمُهُ
عندَ البلاءِ دَمي أوْ مَالُهُ مَـالي

القائد : والمُلْكُ مولايَ مُلْكُ الصَّفْقَتَيْنِ ؟

علي بك : أجَلْ : المُلْكُ ياقائدَ الأسطولِ آمالي

القائد : إذنْ فتلكَ سَفينُ القيصَرِ اضْطجعتْ
على فراسَخَ مِن (عكا) وأمْـيالِ
فاركبْ أميريَ فيها وأتِ (مِصرَ) غَدًا
في الدَّارِ عين وفي الفولاذِ والمالِ
لعلَّنا ندخلُ الوادي مَعًا وعَسَى
على لوائك يَغْزو التُّرْكَ أبْطـالي

علي بك : (في لحظة تردد)
تَمْضي فتَفْتَحُ(مصرَ) ثم تدخُلُها
أمْنيّةَ الدهرِ تأتي لي وتَسْـعَى لِي!
(ثم في لَحْظة تَنَبُّه)
رَبَّاه ماذا يقول المسلمونَ غدًا
إنْ خنتُ قَوْمي وأعْمامِي وَأخْوالِي ؟
يُقالُ في مَشْرِقِ الدينا وَمغْرِبِها
فعلتَ فِعْلَةَ نَـذْلٍ وَابْنِ أنْـذالِ

(ثم للقائد فى حزم)

لا أستعينُ على الأهلِ الغريبَ ولا
أرْمى الذئابَ على غابى وأشبالى

القائد : مولاىَ تلكَ معانٍ تحْتها كرمٌ
ليْسَتْ لِمنْ طلبَ الدنيا بأشغالِ

على بك : بُعداً وسُحقاً لِعلْياءِ الأمورِ إذا
لم ألتمسْها بخُلقٍ فاضلٍ عالِ

القائد : إذنْ أميرىَ فالأسْطولُ منتظرى
والبحرُ يسأل عن شأنِ (الأميرال)

على بك : إذْ هَبْ فما أنتَ دارٍ ما غدٌ فعسَى
يُغيِّرُ اللهُ منْ حالٍ إلى حالِ

النواحى الفنية فى هذا المشهد :

أ _ الموقف :

ويتمثل فى تمسك (على بك الكبير) بمبادئه وقيمه السامية الدينية والوطنية ،وتغليبه المصلحة العليا لأمته على مصلحته الشخصية ولو أدّى ذلك إلى ضَياع مُلْكِه •

وقد وفق (أحمد شوقى) فى إبراز هذا الموقف وتجليته على خير وجه •

ب _ الحوار :

جاء سهلا واضحا ، مركزا مؤديا للمطلوب منه ،وهو هنا بين(على بك) وكل من (الشيخ ضاهر العمر) و(القائد الروسى)

ج - الشخصيات :

واضحة السمات منطقية السلوك :

١.- (فعلى بك الكبير) إنسان عظيم لم تُضعْضعْ المحنةُ من نفسه ولم تغيِّر من مواقفه فهو شجاع يؤدِّى واجبه ويحارب

لآخر لحظة من أجل الحق الذى اعتقده ، ويرفض الوصــــول إليه عن طريق لايتفق مع الدين والخلق الكريم ويمضى فــــى طريقه لا ييأس حتى يستشهد مناضلا حرًّا أبيًّا مقداما ٠

٢.- (ضاهر العمر) يمثل الوفاء والكرم والصـــدق والإســـزاع لنجدة الحق على الرغم من إمكاناته المحـــدودة ، كمـــا يمثــل التعاون التاريخى المعهود بين(مصر والشام)فى الشدائد كمـــا وقفا معًا ضد(الصليبيـــن)وضـــد(التتـــار)وضـــد(الاســـتعمار والصهيونية) ٠

٣.ــ القائد الروسى ، ويمثل المكر ، والأطماع الأوربية ومحاولة التفريق بين العرب وبعضهم البعــض ــ مســـتعملا معســـول الكلام ، ملوحا بالمغريات ــ كما يمثل استغلال الفرص لوضع قدم بلاده فى ديار المسلمين ٠

د : الأسلوب والحبكة المسرحية :

فيهما بعض الضعف بالنسبة للمسرحية ككل وســـبب ذلـــك أن شوقيا ألف هذه المسرحية فى شبابه عام ١٨٩٣م عندما كان طالبا فى باريس فكانت(باكورة تأليفه المسرحىّ وجاءت باكورة ضعيفة فنا واسلوبا ٠

ثم عاد إليها فى أخريات حياته عام ١٩٣٢م بعد أن ألـــف مسرحياته الناضجة فأصلح فيها وعدّل ، ولكن بقيتْ فيـــها أثـــار الضعف الأولى ٠

وبيان التفاصيل فى ذلك يحتاج لدراسة أوسع إن شـــاء الله تعالى :

تَعْرِيفٌ بِمُؤَلِّفِ المَسْرَحِيَّة ١٣٦

ترجمة موجزة للشاعر أحمد شوقى

مولده ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م

وفاته ١٣٥١ هـ ١٩٣٢م

هو(أحمدُ شَوْقِيٌّ بنُ عليِّ بنِ أَحْمَدَ شَوْقِيٍّ) وفَدَ والده على مصر أيام محمد على والتحق بحاشيته وتقلد بعض المناصب ، ويرجع أصله إلى(الأكراد) وفيه دماء(عربية وتركية) ، وقد وُلِدَ شاعرنا فى مصر فى أسرة ميسورة الحال ذات نعمة وثروة وصلة بقصر الخديو إسماعيل ،وفى(حَيِّ الحَنَفِيِّ)[1] حيث وُلِدَ دخل كتاب(الشيخ صالح) حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ بعض اجزاء القرآن الكريم ، ثم خرج من المكتب للمدرسة الابتدائية فالثانوية بتفوق ظاهر مع صغر سنه ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج فيها بعد أربع سنوات ليخدم فى مَعِيَّةِ الخُدَيْوِ (توفيق) الذى أرسله بعد قليل إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب الفرنسية وهناك مكث أربع سنوات ونصفا وعاد إلى مصر ليلِيَ منصبا فى ديوان الخديو — ومازال يتدرجُ فى المناصب حتى تولى رئاسة القلم الافرنجى بالديوان ، ولما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ـ ١٩١٨) وقام الإنجليز بعَزْلِ الخديو (عباس حلمى الثانى) بسبب ميله للأتراك ، أَبْعَدوا كلَّ أنصاره فَنُفِيَ شوقى إلى خارج البلاد فاختار (إسبانيا) منفىً له حيث يتنسَّمُ هناك عبيرَ أمجاد الأندلسِ الإسلاميةِ الغابرة — وبعد أنتهاء الحرْب عاد شوقى إلى مصر وظلَّ على ولائهِ لأسرة(محمد على)، حتى تُوُفِّيَ فى عهدِ (الملكِ فؤادٍ) لأنهم كانوا أولياءَ نعمتِهِ ونعمةِ أبيه وكان لشوقى ولاءٌ للدولة العثمانية باعتبارها دولةَ الخِلافةِ الإسلامية فكان يتردَّدُعلى عاصمتها (الآستانة) أوْ (إسْلام بُول) حيث يَنالُ الرعايةَ فى الأوساط السِّياسية — كما كان ينالها فى الأوساط الأدبية لمكانته من الشعر والبيان .

---

(١) هو حيٌّ قريب من حيِّ (السَّيِّدةِ زَيْنَبَ بمدينة القاهرة)

وَلمَّا أَلْغَى الخائنُ(كمالُ اتاتورك) الخلافةَ بالتّآمُرِ مع دول الحلفاءِ الأوربية رثاها شوقى بقصيدة خالدة عصماء وبكاها أَحَرَّ بكاء* ــ كما كان لشوقى ولاء لوطنه مصر وبخاصة بعد نفيه خارج الوطن لأنها البلد الغربى الذى ولد به وعاش فى نعمائه ورخائه وحسن تقدير أهله فله فى الوطنية شعر صادق رائع شارك به فى آلامها وآمالها وولاء للعروبة والإسلام لانه كان مؤمنا يعتز بدينه ويمجد الإسلام ومفاخره وحضارته وكان له فيهما قصائد تدل على اعتزازه بهما كما يدل على ذلك دفاعه عنهما فى شتى المناسبات •

شـــاعريته:-

وقد وهب الله(أحمد شوقى) شاعرية خِصْبة وقد غَـذّى موهبته بالقراءة فى أمهات كتب الأدب والحفظ من دواوين مبدعى شعراء العرب فى شتى العصور وتأثر بالبارودى وقلده وأتاح الله له من الحياة الهانئة والإمكانات الطيبة ما أعانه على الإجادة والبراعة فى الشعر والنثر والتفرغ لحياة الأدب والعلم ، هذا الى جانب اطلاعه على الآداب الأوربية ونفائسها وتأثره بها مما أتاح له إدخال(فنّ المسرحية) فى الشعر العربى فكان بذلك من المجدّدين ومن الرُّوَّاد العظام وكان أحمد شوقى واسع الاطلاع كريم النفس رضى الخلق ذكيّ العقل مُرْهَفَ الإحساس جَيَّاشَ العاطفةِ وقد أبدع فى الشعر الغنائى والقصصى والتمثيلى، وله فى النثر باع إلى جانب الشعر •

مكانتــــة :

ومن أجل هذا كله أَجْمَعَ شعراءُ مصر والبلاد العربية على تكريمه وتقديمه فبايعوه(بإمارة الشعر) فى حفل مشهود فاستحق عن جدارة لقبَ (أميرِ الشعراء) فى عصره ــ وإلى الآن لم ينبغ فى مجال الشعر فى العصر الحديث مِثْلُهُ ويمتازُ شعره بإحكام الصياغة وقوةِ المعنى وجمالِ التصوير وشيوعِ الحكمة فيه

* راجع الصفحات ١٨ -٣٢ من هذا الكتاب حيث النص الكامل لهذه القصيدة.

ـ وقد قال فى كل أغراض الشعر قديمها وحديثها فأحسن أيما إحسان ـ وبارى الأقدمين من كبار شعراء العربية فلم يقصر عنهم.

نتاجه الأدبى :

وديوان شعره يقع فى أربعة أجزاء تحت اسم (الشوقيات) وله ديوان (دول العرب وعظماء الإسلام) وله فى النثر كتاب (أسواق الذهب) وقصتا (لادياس) و(ورقة الآس) وله فى الأدب التمثيلى المسرحيات السبع التى حدثناك عنها فى الأدب المسرحى . مما يدل على قريحة وقادة وموهبة سمحة ثرة أصيلة.

فى التراجم

أولاً: محمودُ سامى البارودىُّ رائدِ الشعرِ فى العصر الحديث

١- مراحل حياتِه :

<u>أولا : مع أبويه :</u>

وتبدأ من ولادتِهِ فى شهر رجب عام ١٢٥٠هـ الموافق لعام ١٨٣٩ م إلى فى عام ١٢٦٢هـ الموافق لعام ١٨٤٦ م ، أى إلى العام السابع من عمره .

ثانيا : التعليمُ فى البيت : حتى الثانية عشرة من عمره

ثالثا : مرحلةُ المدرسةِ الحربية : من الثانية عشرة إلى سن السادسة عشرة فى عهد الوالى(عباس الأول)انتهت فى عام ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ م

رابعا : الخلوُّ من العمل والتكوينُ الشخصِىُّ علميا وأدبيا : من تخرجه حتى سن العشرين .

خامسا : مرحلةُ إتمامِ التكوينِ العلمىِّ والأدبى . وبدْءِ التكوين السياسىِّ والاجتماعىِّ وتشمل :

١- السفر للأستانة والعمل هناك بوزارة الخارجية : وانتهز هذه الفرصة وتَعَلَّمَ اللغةَ(الفارسيّة والتركية) . وكانت هذه المرحلة من سن الـ٢٠ إلى ٢٥ .

<u>المرحلة السادسة</u> : العودة إلى مصر فى ولاية (إسماعيل) وترقّيه فى الجيش وفرسانِ الحرس إلى رتبة (القائمقام) . والقائدِ لبعض فرقِ الفرسان ، وفى هذه المدة أيضا . هُيِّئتْ له رحلةً عسكرية علمية إلى كل من(فرنسا وانجلترا)وهذه الرحلة أتاحتْ له فرصة الاشتراكِ فى حروب (الدولةِ العثمانية) التى كان يشترك فيها (الخديوُ إسماعيل)، باعتباره تابعا للدولة العثمانية .

المرحلة السابعة : خوضه الحروب

١- حرب (جزيرة كريت) ومدتها • ثلاث سنوات ، من ١٨٦٥م وكانت ضد اليونانيين الخارجين على الدولة العثمانية

٢- (حرب البلقان) عام ١٨٧٧ م • وكانت الدولة العثمانية في هذه الحرب ضدّ كلٍّ من (روسيا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، والجبل الأسود) وهو كما نرى تكتل ضخم ضد الدولة العثماينة بخلاف المددِ الذي كان يأتي إليه من بعض الدول في (أوربا الغربية) ، وانتهت بمعاهدةٍ مع الدولة العثمانية ، وهذه الدول • تعرف بمعاهدة (سان ستفانس) في مارس ١٨٧٨م •

وقد أبلى البارودي في هذه الحرب بلاءً حسنا وحقّق ذاته العملية كضابط وفارس وذاتَهُ الأدبية كشاعر • وترقّى في مناصب الضباط وجادتْ عليه الدولة العثمانية • بالأوسمة والنياشين ، ووصل إلى رتبة (أمير آلاى)•

(المرحلة الثامنة) :العودةُ إلى مصر • بعد الحرب وتوليه أعمالا إدارية •

بدأت الدولة المصرية تستفيد منه كضابط كبير في الناحية الإدارية ، فقد اختير (مُدِيرًا للشرقية) وهذا أولُ عملٍ إداريٍّ له في جهاز الدولة في ابريل عام ١٨٧٨ م (فمحافظا للقاهرة) بعد ذلك • وهذا دليل على كفاءته ، وأهليته للنهوض بقمةِ العمل الاداريّ كمحافظ للعاصمة •

المرحلة التاسعة) في المناصب العليا :

وذروةُ مجدِهِ السياسيّ والاجتماعى والوطنيّ ، وهذه المرحلة قسمان :-

أ – ما قبل (الثورة العرابية)

ب – فى أتون (الثورة العرابية) : فقد اختير (وزيرا للأوقاف) للخديو(توفيق) ، فى وزارة(رياض باشا)٠ وهذا يدل على تقدير الدولة له ٠ لكفاءته من ناحية ــ ومن ناحيـــة أخــرى لثقافتــه الدينية، ثم ضُمَّت إليه وزراة أخرى ٠

وفى أثناء توليه وزارة الأقاف ، قامتْ حركةُ تَذَمرٍ فى الجيش بسببَ اضطهاد الضباط المصريين وثار الجيش بقيادة (عرابى) وطالب بعزل (عثمان رفقى) الوزير الجركسي المتعصب ضد المصريين فاضطر الخديو لتعيينِ البارودى وزيرًا للحربية مع أن ميول الخديو مع الأتراك والشراكـــة ضــد الشعــب المصـــرى والبارودىُّ رغم أنَّ أصلهُ(شركسي) لكنه وُلِدَ وتربى فـــى مصـــر ولديْه ثقافة دينية فشعر بالانتماء إلى وطنه ، وكان يميل بـــالطبع إلى المصريين وحينما يتطلب الموقف البحث عن شخــصٍ فيــه العنصرُ الشركسيُّ ٠ إرْضاءً للخديو مع انتمائه للمصريين وبهذا يرضيهُم أيضًا اختير البارودى وهو وزير للأوقاف وزيرا للحربيـــة ، وهذه بداية احتكاكه بالثورة العرابية ، وهو وطنى ومصرى وهذا شعورٌ كامنٌ فيه ٠ والخديو إسماعيل هو صاحب بعض الفضــل عليه لاكتشافه إياه ، فكانَ فيه وَلاءٌ (لإسماعيل)ثم اتجه الولاء إلى ابنه(توفيق)وبعد اختياره لوزارة الحربية ٠ أصبح فى منطقةِ الشد والجذْب إلى أيهما يميل ؟ أينحاز إلى (عُرَابى) فهذا تيارٌ يدعوه إليه انتماؤُهُ إلى(مصر) وَحُبُّه للمصريين والعرب ، أمْ يتجه إلـــى تيار الذين عطفوا عليه وقدّروه، وهو الخديو اسماعيل ثم ابنـــه توفيق ؟٠

ظهور الأفغانى وأثره :–

وفى الوقت نفسه تعرَّضتْ مصر لِحَرَكَةِ تَنْوير قادها المفكــر الإسلاميُّ (جَمَالُ الدينِ الأَفْغَانِيُّ) الشريفُ النسب ، والوافدُ مـــن مَشْرِقِ العالَمِ الإسْلاميِّ (إيرانَ وأفغانستان) ٠

وهذه التيارات أنشأت فى نفسه صراعًا ، وقد حسم هذا الصراع بالانحياز (للثورة العرابية) . والدليل على أنه كان فى حَيْرَةٍ وفى شدٍّ وجذبٍ وصراعٍ نفسىّ . أن تيار الخديو أوشك أن يجذبه ؛ أنه كان عضوا بمجلس الوزراء ، حينما اتخذ قرارًا بإبعاد (الأفغانى)

والبارودىّ تلميذه : ولم يعترض وأبعد الأفغانىّ بطريقة مهينة وضيعة حتى إن (جمال الدين الأفغانى) قد انتقد البارودىّ وقال " لم يبق فى المسلمين أخلاق هذا البارودىّ عاهدنى ثم غدر بى " وقد عاهده البارودىّ على الإصلاح ونصرة الحق .

والتعليل أن البارودى كان وقتها فى حيرة وصراع نفسىّ ، وهذا يدل على أنه كان فيه ولاءٌ لتوفيق ، يلعمه ويزكيه أن توفيق نفسه كان مصاحبا للأفغانىّ أيام كان أميرًا ، وحينما استسلم الخديو للأشرار وقناصل الدول الأوربية أوعز إلى الحكومة (*) بإبعاد الأفغانى . وكان المنتظر من البارودى أن يعترض أو يستقيل . ولكنه تردد ولم يفعل لوجود الصراع ، ولما استبصر عاد ... وانضم إلى (العرابيين) .

ورجال الأفغانى مثل (محمد عبده) و(عبدالله النديم) وقد أداه ذلك إلى معارضة (رياض) رئيس الوزراء ، فلما رأى هذا انحيازه للوطن عزله من الوزارة ، ولكن وزارة رياض لم تلبث أن أقيلت وأتى (بمحمد شريف باشا) وكان على العكس من رياض الذى كانت وزارته استبداديه خديوية ، أما (شريف) فكان وزارته وطنية ، وذات : ميول قومية فأتى بالبارودىّ فى وزارته وزيرا للحربية ، ولكن (شريفا) اختلف مع الثورة العرابية فى بعض الأمور التطبيقية ، ولو استمر شريف باشا " لما حدث انتكاس للثورة العرابية ، إذ كان يرى أن يبقى الجيش كما هو وتصرف كرئيس للوزراء ، ورفض العرابيون ، فاستقال فلم يجد الخديو بدا من إسناد الوزارة إلى (البارودىّ) فوصل بذلك إلى قمة مجده السياسىّ والثورىّ وهذه المرحلة هى مرحلة قمة المناصب

(*) نتيجة لدسائسهم .

العليا والمكانة السامية . . . لأنه كان مرشحا لأن يكون (خديوا) في حالة عزل (توفيق) ولكن شاءت الأقدار وإرادة الله أن يدس أعداء مصر الدسائس ويحموا النظام القائم الذى كان على هواهم • وأى بادرة للتغيير كانوا يحاربونها •

لقد بدأ البارودى سلم المجد قبل الثورة العرابية وبلغ القمة أثنائها وهو مجد شخصى وسياسى ومجد وطنى أيضا ، ثم حدثت من أسف الدسائس السياسية والتحرش بمصر للقضاء على هذا النظام الوطنى ، الذى يحكمها لأول مرة • وبذلك تصبح مصر دولة قوية تحارب الاستعمار وتحد من نفوذه أى أن مصر سوف تنهض وتكون دولة عظيمة •

المرحلة العاشرة : المحنة :

بعد المناصب العليا والذروة انتقل إلى مرحلة الانحدار (المحنة) بدأت المحنة بالحبس والمحاكمة الغاشمة ، ومصادرة المال والأملاك وكان البارودى ذا ثروة كبيرة مما ورث ومما أفاء الله عليه • وحوكم محاكمة صورية فحكم عليه بالموت ثم خفف بالنفى إلى جزيرة (سرنديب) التى تسمى :(سيلان) وتسمى الآن "سريلانكا" •

المعاناة الطويلة :

التى استمرت (سبعة عشر عاما) وأصيب خلالها بنكبات شخصية عائلية منها (وفاة أحدي بناته) و(وفاة زوجته) وفى نهاية الأمرومن شدة الحزن (كف بصره) وكانت هناك آلام معنوية كالوحدة والبعد عن الوطن وكانت النكبات شديدة عليه ومتنوعة نكبة بضياع الوطن نفسه وهى (نكبة عامة) ثم نكبة بضياع المجد الشخصى ، فبعد أن كان رئيسا للوزراء وذا مكانة يصبح أسيرا مجردًا من كل شىء ، وكانت هناك (نكبة نفسية) نتجت عن خلاف (العرابيين) بعضهم مع البعض ، فعانوا مرارة الكراهية لبعضهم البعض فكل منهم يرجع الكارثة إلى الآخر ،

ولو أنهم رَضُوا بقضاءِ اللهِ وإرادته وكانوا يَدًا واحدةً لكانت المحنةُ محتملةً بعض الشيء ووُجد من إخوانه من كان محبًّا له ، فزوجه ابنته ثم تفرقوا بعد ذلك في البلاد ، فقد ترك البارودى أصحابه فى (كولومبو) ورحل عنها إلى بلدة أخرى. ثم فتحوا مدارسَ لتعليم أهل البلاد الإسلام واللغةَ العربية وهذه الحقبة هى أصعب المراحل في حياة البارودى .

والمحنة هى التى صهرتْ نفسَهُ وأنضجتْ شعورَهُ وَأذْكَتْ جذوةَ شعرِه وقال فيها روائعَ شعره عن المِحنة والغُربة ووصفِ الأخلاق ، والحنين إلى الوطن ، وفى هذه المدةِ الطويلةِ بلغ البارودى قمة(مَجْدِهِ الشِّعْرِىّ)وهى تقريبا مِنْ سن الخامسة والأربعين إلى ما بعد الستين بقليل .

المرحلة الحادية عشرة : العودة من المنفى عام ١٣١٨هـ ١٩٠٠م ، والنّهاية المحتومة عام١٩٠٤م

وكانت عودةُ البارودىّ لمصرَ من منفاه عيدًا للأدباء والشعراء استمرت حياتُهُ بعدها أربعَ سنوات من سن ٦٢ إلى٦٦ وعاد مكفوفَ البصرِ واهنَ القُوَى إلا أنَّ حفاوةَ المصريين به ومعرفةَ الأدباءِ فضلَهُ خففتْ عنه الآلامَ فَجَمَعَ شِعْرَهُ ونقَّحه ودوَّن فى هذه المدة(مختاراتِهِ)، ومعظمها من الشعر العباسى وأخيرا توفى فى شوال عام ١٣٢٢هـ الموافق ديسمبر ١٩٠٤ م وهكذا انتهت حياة هذا الشاعر العظيم والشخصية العظيمة المؤثرة فى تاريخ مصر السياسىّ والأدبىّ/إنها شخصيةٌ خالدةٌ لا تُنْسَى جديرةٌ بالدراسة ، لِمَا خلَّفتْهُ منْ آثارٍ عظيمةٍ باقيةٍ ،وإن شِعرَهُ لمدرسةٌ فى الأخلاقِ ومدرسةٌ فى المبادئ والالتزام ،ومدرسةٌ فى رُقِيِّ الصِّياغةِ وجمالِ المعانى ، وجلالِ الموسيقا وروْعةِ التّصويرِ وسُمُوِّ الخيال.

أهم الأغراض الشعرية للبارودى :

تناول البارودى في شعره الأغراض التالية :-

١- **الغَزَل** والغزل هو التحبُّب إلى النساء وذكرُ محاسنهن سواءً أكانت المحاسنُ حسيةً أم معنوية ، ومن أسمائه أيضا التَّشْبِيبُ والنَّسِيب، والغزلُ قاله البارودى عن عاطفة حقيقية فى مرحلة الشباب وقد كانت عنده الفرص للتزاور ورؤية الأوانس من شتى الطبقات ، وقال الغزلَ الصِّناعِي فى افتتاحيات القصائد على عادةِ الشعراء الأقدمين وهو تقليد يدل على رقة العرب ، وغَزَلُهُ عفيفٌ لا فحش فيه •

٢- **الوَصْفُ** : وقد أبدع فيه • ولدواعي الوصف عنده أمْرانِ:

أ - البيئة المدنية القاهرية التى نشأ وترنى فيها .

ب - وَصْفُ الحَرْبِ وقد أبدع فيه لِما عاينه وعاناه فيها •

٣ - **الرثاء** : وهو البكاء وإظهار الحزن والتفجع على الميت وفيه ذكر مناقب وفضائل الميت ثم وصف الحُرْقَةِ على رفاقه الذين رحلوا ويدخل فى الرثاء سَوْق العظةِ والعبرة من الموت ويدخل فيه الدُّعاء للميت • والرثاءُ من أصدق أغراضِ الشعرِ العربيِّ ، لأنه تعبير صادق عن نفس الشاعر ، وفيه فضيلة الوفاء وهى عاطفة نبيلة والبارودىُّ كان من صفاته الوفاء وسرعة التأثر ، وقد أُصيبَ بنكبات أشعلتْ فيه حُرْقَة الرثاء فرثى زوجته وابنته وإخوانَهُ فللرثاء فى شعر البارودى نصيب كبير وعظيم •

٤- **المدح** : ويلاحظ أنَّ مدائحَهُ قليلةٌ لأنه ذُو مالٍ ومَنْصِب فليس فى حاجة إلى المدح والنفاق ، ولقد مَدَحَ النبى صلى الله عليه وسلم فله(نَهْجُ البردة)أسْمَاهُ (كَشْفَ الغُمَّةِ فى مدح سَيِّدِ الأُمَّةِ) وهى قصيدة طويلة فى قرابة ٥٠٠ -خمسمائة بيت ، على غرار (بُرْدَةِ المديح للبوصيرى) سابقا بذلك (شوقى) فى نهجه المشهور للبردة البوصيرية .

٥- الهجاء : وهو قليل وكان لأعداء الأمة ولخصومه المتحاملين عليه ، فهو بمثابة الردّ عليهم

٦- الحكمة : والأخلاق : وقد أبدع البارودى فى هذا أيضـــا لأن الحوادث والمحن أنضجته فعبر عن تجاربه وخرج منها بِحِكَمٍ رائعة وأما الأخلاق فقد انسجمتْ مع ما كان يتصف بـــه مـــن صدق ووفاء وأمانة وعزة وإباء •

٧- السياسة والوطنية : فكان يفصح عن سياسته الواضحة وحبه لوطنه ودفاعه عنه ويندّد بخصومه السياسيين وخصوم وطنه•

٨- الفخر : وهذا ليس غريبا على البارودىّ فقد كان عنده شعورٌ قوى بأنه أهلٌ لكل مجد ، فضلا عن مكارم أخلاقه وشجاعتـــه وكرم أصله •

٩- الحنين إلى الوطن : وكان معظمه بعد أنْ نُفِىَ وكان النفى لمدة طويلة قاربت العشرين عاما ، ولم يخْل قبل النفى من ابتعـــاد عن الوطن فى الحروب وغيرها •

١٠- الحماسة : فهو ربُّ السيف ورجل الحرب والضابط والقـــائد المظفر والخائض لتلك الحروب الكثيرة والمُبْلِى فيـــها بـــلاء حسنا •

١١- الزُّهْدُ : وهو غَرَضٌ دفعه إليه مالاقاه فىحياته من أهـــوال ، عَرَّفته حقيقةالدنيا فضْلا عن تديُّنِه •

١٢- الإخوانيات : مِنْ تَهْنئة وتَعْزية وتقريظٍ دواوين بعض الشعراء الشبان وتشجيعهم •

١٣- **الخمريات** : وهنا لنا وقفة • حيث نجد فى شعره وصفاً للخمر ، فكيف يتفق ذلك مع ما عرفناه من أنه رجل جادٌ ومتديّن وذو عقلٍ حصيفٍ ومنهجٍ شريف •

هذا الغرضُ قال فيه الشعراء الأقدمون ، وأتى به البارودىُّ مُجَاراةً للأقدمين ومسايرةً لمنهجم ، وكذلك كان بحكم قُرْبِه من الخديو • يَحْضُرُ بعضَ الحفلات الخديوية ولكنه لم يشرَب بل شاهدَ فقط فلهذا وصفها • فهو وصْف نظرىٌّ لكى يثبتَ المقدرةَ على تناولِ هذا الغرض •

ريادة البارودى للشعر الحديث :-

الريادة تشتمل على الأغراض وما تشمله الأغراض من موضوعات كما تشتمل على الأساليب والأخيلة •

معنى الريادة وعواملها :

الريادة مأخوذة من ارتياد الطريق أىْ سلوكِهِ لمعرفةِ صلاحِهِ أو وُعُورَتِهِ ، وإذا كان سفرٌ لجيشٍ أوْقافلة فإن الرائد يعرِّفها الطريق • قال صلى الله عليه وسلم " إن الرائد لا يكذب أهله " وكان الحال قبل البارودىّ ليس بالواضح فبابُ الشعرِ شِبْهُ مُغْلَقٍ، والطريقُ مظلمٌ ليس فيه تجديدٌ ولا أضواءُ فجدَّدَ فى الأغراض والأساليب ، واكتشف الطريقَ الصحيحَ لِلشعر الذى ينبغى أن يسلكه الشعراءُ حتى يكونوا شعراء بحق ثم ساعدتْه موهبته الخلاَّقة فى سلوك الطريق القويم فضلا عما غذَّاها به من قِراءات وثقافات ومحفوظات من دواوين الشعراء العظماء ، كالبحترى وأبى تمام وابى فراس الحمدانى ، ومما ساعده أيضا على الريادة هِمَّتُهُ العالية وأخلاقه الرفيعة ، ثم أحداث عصره التى كانت فريدة وباعثة على التغيير إذْ يُعْتَبَرُ (عصرُ إسماعيل)ثورة على ما سَبَقَهُ من عصرىْ (سعيد وعباس الأول) اللذيْن تميزا بالجمود ، ثم كانت الثورة العرابية ثورةً على مساوئ عصر اسماعيل وخليفته (توفيق)ثم كانت المِحنة، فهذه الوقائع قد هزَّت نفسيةَ البارودىّ

فكان لابد أن تنفعل ويشاركَ في الأحداثِ بحكمِ موقفه وظروفه ، وفجّرت هذه الأحداث " الشاعرية ثم كانت مدةُ النفي وهي مـدة طويلة،وهذه انضجتْ شعره وعملتْ علـى إنضـاج شخصيته وهيأت له وقتا واسعا للتفرّغ للشعر والاستزادة مـن مُراجعةِ التراثِ الشعرى ، وهيأت له فرصة التأملِ العميق فريادتُهُ ذات عناصر . بعضها شخصيٌّ وبعضها عامٌّ . وبعضها سياسيٌّ وبعضها اجتماعيٌّ ، ومجموعُ هذه العناصر هو الذى أهّلَ البارودىَّ لريادةِ الشعرِ العربيِّ الحديث .

~~(جوانب ريادة البارودى للشعر الحديث) :-~~

١ - في أغراض الشعر :

تناول الأغراضَ القديمةَ بمنهجٍ جديدٍ ثم جدّدَ في الموضوعاتِ كوصف بعض المخترعات،والموضوعاتُ تدخلُ تحت الأغراض ..

٢ - في الأسلوب والصياغة :

وهما من أهم مظاهر ريادة البارودى فأسلوبه مُشْرِقٌ متماسك ،وصياغته قويّةٌ جيّدة ، وألفاظُهُ مختارةٌ،فجاءَ مُختلفًا عمّنْ سَبَقَهُ من الشعراءِ في العصرِ العثمانيِّ ومطلعِ العصرِ الحديث .

٣ - في المعاني والأفكار :

فالوضوحُ والاعتدالُ في إستعمالُ المحسنات وعَدَمُ التهالكِ عليها وعدمُ التكلفِ في جَلْب الحِلية اللفظية ومجيءُ المحسنات في شعرِه عفْوَ الخاطرِ جعلت المعانيَ والأفكار عنده قريبةً واضحةً غيرَ بعيدةٍ ولا مُعقّدة ، فضلاً عن شَرَفِها وامتيازها بالجِدّةِ والابتكار.

٤- في التصوير والخيال :
امتاز شعره بجمالِ التصويــرِ وسُـمُوِّ الخيــالِ ورَوْعَتِــه فتشبيهاته جيدة رائعة ، واستعاراته دقيقة مبتكرة وكناياته بديعــة أخّاذة .

٥ - والموسيقا :
عنده قويّة مع جمالها وقد التزم بالمحافظةِ علــى الأوزان (الخليلية)، وعلى وحْدَة(القافية) مع ذوقِهِ الرفيع في اختيار القافية والوزن الملائمين لموضوع القصيدة .

أمّا الموسيقا الخفية عنده فتنْبُعُ مــن الكلمــات المختــارة الموحية ذات الجرْس الخاصّ فهناك كلمات موســيقية رنانــة ، تُشْعر بنغمةٍ موسيقية معيَّنة كالحزن والسرور . وأنسجام الكلمات بعضها مع بعض في داخل الجملة بحيث لا يوجد بينها تنــافر . أو شذوذ يعطى أيضا(موسيقا داخلية)، فهناك كلمات جافّة وخشنة تجنّبها البارودى وهناك كلمات رقيقة تنبع منــها موســيقا آثــر البارودى اختيارها .

وكان البارودىُّ فى كل ناحية من هذه النواحى رائدًا لكــلِّ مَنْ أتَى بعدَهُ فنسجَ على منواله (شوقىّ) و(حافظ) وغيرُهُم مــن الشعراء . إذْ وجدوا فى شِعره نموذجا بديعا يحتذونه . كانوا قد افتقدوه قبله . وكان هو المَثَلَ الجميلَ والقــدوةَ الصالحــةَ فــى موضوعاته وألفاظه ، وتصويره ، وخيالِــه مــع أُفُــقٍ واسِــعٍ وعارضةٍ قويةٍ وعاطفةٍ جيَّاشَةٍ .

والصُّورَةُ الأدبيةُّ . تشتملُ على كلِّ ما سبق فكانتْ عنده مشرِقةً مكتملةً لِعناصِرِ الحُسْنِ وَالبَهَاءِ .

والخلاصة إذن :

أن الباروديّ كان (رائدا) وأنّ هناك عوامل وأسبابا أهلته لهذه المنزلة وكانت لهذه الريادة نواح وجد فيها الشعراء الذين جاءوا بعده ضالتهم ، كما لفت أنظارهم إلى كبار الشعراء القدامى بل وجدوا فيه صورة لهؤلاء الشعراء العباقرة ، فى عمقه ، وحكمته ، فهو صورة (للبحترى) فى حلاوته وطلاوته ونقاء طبعه ، وصورة (لأبى فراس) فى اعتداده بنفسه وفخره وسط المعارك، كما وجدوا فيه أنموذجا اكتملت فيه جميع الصفات الجيدة التى التمسوها عند الشعراء القدامى ، وقد قلّد (الباروديّ) الأقدمين تقليدا حسنا فى بعض الأغراض ولكنه احتفظ بشخصيته وجدّد فى الأغراض والموضوعات والمعانى والإفكار والخيال كما أشرنا فيما سبق ٠

وهذا أُنموذجٌ مِنْ شِعْرِهِ في الشَّوْقِ والحماسةِ والحَرْبِ: ★

[من ديوانه بشرح (علي الجارم) و (محمد شفيق معروف) طبع دار المعارف بمصر]

قال وهو في حرب الروس* سنة أربع وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٢٩٤ هـ – ١٨٧٧ م) يذكر شوقه إلى الوطن، ويصف هذه الحرب:

هَنِيئاً لِرَيَّا ما تَضُمُّ الجَوَانِحُ ... وإنْ طَوَّحَتْ بِي فِي هَوَاهَا الطَّوَائِحُ(١)

فَتَاةٌ لَهَا فِي مَنْصِبِ الحُسْنِ سُورَةٌ ... تُقَصِّرُ عَنها الغِيدُ وَهْيَ رَوَاجِحُ(٢)

٣ أَحَاطَ عَلَى مِثْلِ الكَثِيبِ إِزَارُهَا ... ودَارَتْ عَلَى مِثْلِ القَنَاةِ الوَشَائِحُ(٣)

---

* يريد الحرب التي كانت بين تركيا وروسيا وحلفائها، أعلنتها روسيا في إبريل سنة ١٨٧٧ م (شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٤ هـ) وتبعتها رومانيا ثم الصرب والجبل الأسود. وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة تركيا، وعقد معاهدة «سان استفانو» في مارس سنة ١٨٧٨ م، وبهذه المعاهدة نالت رومانيا والصرب والجبل الأسود استقلالها، ومنحت البوسنة والهرسك وبلغاريا استقلالاً إدارياً، وأخذت الروسيا باطوم وأرزن وقارص.

(١) ريا: اسم محبوبته. والجوانح: أضلاع الصدر، واحدتها جانحة. وطوّحته الطوائح: قذفته القواذف، وطوح به: ألقاه في الهواء، أو حمله على ركوب مفازة مهلكة.
يهنئ محبوبته بما يكنّه لها من حب على الرغم من أن حبها قد حمله على ركوب الأهوال، وجلب إليه المتاعب والآلام.

(٢) المنصب (بفتح فسكون فكسر): الأصل. والسورة (بضم السين): المنزلة. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية ليناً. ورواجح: جمع راجحة، اسم فاعل من رجحت إحدى كفتي الميزان على الأخرى أي مالت.
يقول: إن لهذه الفتاة في أصل الحسن منزلة عالية رفيعة تقصر عن بلوغها الغيد الحسان على الرغم من عظم حسنهن.

(٣) الكثيب: المجتمع من الرمل يشبه به كفل المرأة (بفتح الكاف والفاء): أي عجزها (بفتح العين وضم الجيم). والإزار: الملحفة، والمراد به: ما يغطي أسفل الجسم من الثياب. والقناة: الرمح، يشبه قد المرأة وقامتها بالقناة في الاعتدال، والاستواء، والدانة، والمرونة. والوشائح: جمع وشاح (بوزن كتاب)، وهو نسيج عريض يرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها. ومعنى البيت: أنها حسنة القوام، ممتلئة الجسم.

فَفِي الْغُصْنِ منها إنْ تَثَنَّتْ مَشابِهٌ ... وفى الْبَدْرِ منها إنْ تَجَلَّتْ مَلامِحُ(٤)

مَحاسِنُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ كَثِيرَةٌ ... ولَكِنَّها إنْ وازَنَتْها مَقابِحُ(٥)

كأنَّ اهْتِزازَ الْقُرْطِ فى صَفْحِ جِيدِها ... سَنَا كَوْكَبٍ فى مَطْلَعِ الْفَجْرِ لائِحُ(٦)

لها ذُكْرَةٌ عِنْدِى وَطَيْفٌ ، كِلاهُمَا ... بِتِمْثَالِهـا غادٍ عَلَىَّ ورائِحُ(٧)

عَجِبْتُ لِعَيْنِى كَيْفَ تَظْمَأُ دُونَها ... وإنْسانُها فى لُجَّةِ الْماءِ سابِحُ(٨)

أحِنُّ لَها شَوْقاً ، ودُونَ مَزارِهَا ... مَسَالِكُ يَأْوِيهَا الرَّدَى ومَنَادِحُ(٩)

فَيافٍ يَضِلُّ النَّجْمُ فى قُذُفاتِها ... وتَظْلَعُ فيها النَّائِجاتُ الْبَوَارِحُ(١٠)

---

(٤) المشابه : جمع على غير قياس لشبه (بالتحريك). وتجلّت : تكشفت . والملامح : المشابه ، جمع على غير قياس لمحة ، يقال : فى فلان لمحة من أبيه أى شبه .

(٥) الحجال : جمع حجلة (بفتح الحاء والجيم) وهى بيت يزيّن للعروس بالثياب والأسرة والستور . وربّات الحجال : المخدرات المحجّبات من النساء .

(٦) القرط : ما يعلّق فى شحمة الأذن من الحلى . وصفح الجيد : جانب العنق . والسنا : الضوء . ولائح : متلألئ لامع .

يشبّه بريق القرط المهتز فى جانب عنقها الأبيض بضوء كوكب يلوح فى مطلع الفجر .

(٧) الذكرة (بضم فسكون) : الحفظ للشىء ، والشىء يجرى على اللسان . والطيف : الخيال الطائف فى المنام . والتمثال : الصورة . وغاد : اسم فاعل من غدا غدواً (من باب سما) أى ذهب غدوة (بضم فسكون) ، وهى ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . ورائح : اسم فاعل من راح يروح رواحاً : أى رجع بالعشى ، ومعنى غاد علىّ ورائح : مقبل علىّ فى أول النهار وآخره .

يقول : إن ذكر هذه المحبوبة وطيف خيالها يمثّلان له صورتها فى كل وقت .

(٨) إنسان العين : حدقتها وسوادها . ولجّة الماء : معظمه . يعجب من ظمأ عينه لرؤية محبوبته ، مع أن حدقتها سابحة فى لجة من الدمع الغزير .

(٩) الحنين : الشوق . والمزار : موضع الزيارة . ومسالك : جمع مسلك ، اسم مكان من سلكت الطريق (من باب دخل) أى ذهبت فيه . ويأويها : يقيم بها . والردى : الهلاك . والمنادح : الأراضى الواسعة .

(١٠) الفيافى : الصحارى : جمع فيفاء ، وهى المفازة لا ماء فيها . والقذفات : جمع قذفة (بضم فسكون) وهى الجانب والناحية . وظلع البعير والرجل (من باب منع) : أى غمز فى مشيه ، وهو شبيه بالعرج . والنائجات : الرياح السريعة ، يقال : الريح نئيج أى مرّ سريع بصوت . والبوارح : جمع بارح ، وهى الريح الحارة =

وَلُجَّةُ بَحْرٍ كُلَّما هَبَّ عاصِفٌ ... مِنَ الرِّيحِ ؛ دَوَّى مَوْجُهَا المُتَنَاطِحُ(١١)

فَقَلْبِىَ تَحْتَ السَّرْدِ كالنَّارِ لافِحٌ ... ودَمْعِىَ فَوْقَ الْخَدِّ كالماء سافِحُ(١٢)

ولَوْ كُنْتُ مَطْلُوقَ الْعِنانِ لمَا ثَنَتْ ... هَوايَ الْفَيَافِى والْبِحَارُ الطَّوَافِحُ(١٣)

ولَكِنَّنِى فى جَحْفَلٍ لَيْسَ دُونَهُ ... بَراحٌ لِذِى عُذْرٍ، وَلَا عَنْهُ بَارِحُ(١٤)

يُكافِحُنِى شَوْقِى إذا اللَّيْلُ جَنَّنِى ... وأَغْدُو عَلَى جَمْعِ الْعِدَا فَأُكافِحُ(١٥)

١٦ .. خَصِيمانِ : هذا بِالْفُؤادِ مُخَيِّمٌ ... وذلكَ عَنْ مَرْمَى الْقَذِيفَةِ نازِحُ(١٦)

= فى الصيف ، أو الريح البارح : الشديدة .

ومعنى هذا البيت والذى قبله : أنه يحنّ إلى محبوبته حنيناً ؛ وبينه وبين ديارها طرق مهلكة ، وأراض واسعة ، ومفاوز يضلّ فى نواحيها ما يهتدى به ، ويكلّ من المشى فيها ما لا يتصوّر منه كلال ؛ حتى إنّ الرياح السريعة الشديدة تضعف عن السير فى هذه الفيافى ، وتصاب بما يشبه العرج .

(١١) لجة البحر (بوزن القبّة) : معظمه . وعصفت الريح : اشتدّت (وبابه ضرب وجلس) . ودوّى : صوّت . والمتناطح : المضطرب الذى ينطح بعضه بعضاً .

(١٢) السرد (بفتح فسكون) : اسم جامع للدروع . ولافح : حارّ محرق . وسافح : منصبّ . والمعنى : أن قلبه تحت ما يلبسه من الدروع يعانى من لواعج الشوق ما يشبه النار الموقدة ، ودمعه فوق خده غزير منصبّ كالماء الجارى.

(١٣) العنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وثنيته عن مراده : صرفته عنه . والهوى : الحب . والفيافى : جمع فيفاء : وهى الصحراء الواسعة المستوية . والطوافح : جمع طافح ، وهو الممتلئ .

والمعنى : أنه مقيّد بقيود الحرب ، ولو كان حرّاً طليقاً ما حالت بينه وبين محبوبته المفاوز الشاسعة ، ولا البحار الزاخرة .

(١٤) الجحفل : الجيش الكثير . والبراح : المتسع من الأرض لا زرع به ولا شجر . وبارح : زائل . ولا بارح عنه : أى لا مفرّ منه ، ولا محيص عنه .

والمعنى : أنه فى جيش كثير لا مفرّ منه ، ولا يستطيع إنسان أن يزايله لأىّ عذر من الأعذار .

(١٥) يكافحنى : يلاقينى ، مضارع كافحه أى لاقاه مواجهة عن مفاجأة ، والكفاح فى الحرب : المضاربة تلقاء الوجوه . وجنّه الليل : ستره . والغدوّ : الذهاب والانطلاق وقت الغدوة (بضم فسكون) ، وهى ما بين الفجر وطلوع الشمس . والعدا (بكسر العين وضمها) : اسم جمع لعدوّ .

(١٦) الخصيم : المخاصم . ومخيّم : مقيم . والقذيفة : كل ما يرمى به . ونازح : بعيد . يقول : إنه يكافح خصيمين : شوقاً إلى محبوبته مقيماً بقلبه ، وعدواً بعيداً عن مرمى القذيفة .

وَمَا بِيَ مَا أَخْشَاهُ مِنْ صَوْلَةِ الْعِدَا   لَوَ انَّ الْهَوَى يُولِي يَدًا أَوْ يُسَامِحُ[١٧]

فَيَا «رَوْضَةَ الْمِقْيَاسِ» حَيَّاكِ عَارِضٌ   مِنَ الْمُزْنِ خَفَّاقُ الْجَنَاحَيْنِ دَالِحُ[١٨]

ضَحُوكُ ثَنَايَا الْبَرْقِ، تَجْرِى عُيُونُهُ   بِوَدْقٍ بِهِ تَحْيَا الرُّبَا وَالصَّحَاصِحُ[١٩]

تَحُوكُ بِخَيْطِ الْمُزْنِ مِنْهُ يَدُ الصَّبَا   لَهَا حُلَّةً تَخْتَالُ فِيهَا الْأَبَاطِحُ[٢٠]

مَنَازِلُ حَلَّ الدَّهْرُ فِيهَا تَمَائِمِى   وَصَافَحَنِى فِيهَا الْقَنَا وَالصَّفَائِحُ[٢١]

وَإِنَّ أَحَقَّ الْأَرْضِ بِالشُّكْرِ مَنْزِلٌ   يَكُونُ بِهِ لِلْمَرْءِ خِلٌّ مُنَاصِحُ[٢٢]

فَهَلْ تَرْجِعُ الْأَيَّامُ فِيهِ بِمَا مَضَتْ   وَيَجْرِى بِوَصْلٍ مِنْ «أُمَيْمَةَ» سَانِحُ؟[٢٣]

---

(١٧) الصولة : السطوة والوثوب . والهوى : الحبّ . ويولى : يدفى ويعطى . واليد : النعمة والإحسان.
والمعنى : أنه لا يخاف سطوة أعدائه فى الحربّ لو أنّ الحب يحسن إليه ، ويلطف به ، ويساهله وياسره .

(١٨) الروضة (فى الأصل) : الموضع المعجب بالمياه والعشب والزهر ، وروضة المقياس : جزيرة فى النيل شرق الجيزة ، وقد أكثر البارودى من التغنى بها . والعارض : السحاب المعترض فى الأفق . والمزن : السحاب . وخفّاق الجناحين : مضطرب متحرك ، تسوقه الرياح . وسحاب دالح : كثير المطر .

(١٩) الثنايا : الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم ، واحدتها ثنية (بثاء مفتوحة ، فنون مكسورة ، فياء مشددة مفتوحة) . والودق (بوزن الوعد) : المطر . والربا : جمع ربوة (بتثليث الراء وسكون الباء) : وهى ما ارتفع من الأرض . والصحاصح : جمع صحصح (كجعفر) : وهو ما استوى من الأرض .

(٢٠) تحوك : تنسج . والمزن : السحاب ، وخيط المزن : المطر . والصبا (بفتح الصاد) : ريح تهبّ من مطلع الشمس ، والضمير فى لها إمّا أن يعود على الربا والصحاصح ، وإمّا أن يعود على روضة المقياس . والحلة (بوزن القلّة) : إزار ورداء ، ولا تكون إلا ثوبين من جنس واحد ، والمراد بها (هنا) : ما يكسو الأرض من العشب والنبات . والاختيال : الزهو ، والتبختر ، والإعجاب بالنفس . والأباطح : جمع الأبطح ، وهو المكان المتسع .

(٢١) التمائم : جمع تميمة وهى عوذة (بضم العين) أو خرزة تعلّق على الصبىّ لتدفع العين عنه . ومعنى حلّ الدهر فيها تمائمى : أنه ترعرع وشبّ وجاوز الصبا فى هذه المنازل . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . والصفائح : السيوف العراض . ومعنى هذا الشطر : أنى بلغت فى هذه المنازل مبلغ الرجال .

(٢٢) الخلّ : الصديق . ومناصح : اسم فاعل من ناصحته مناصحة أى بادلته النصيحة .

(٢٣) مرّ به الطائر سانحاً : أى عن يمينه ، وهو مما يتفاءل به .
يتمنى أن تعود الأيام فى منزل الحب بمثل ما مضت ، وأن يسعده القدر بوصال محبوبته .

لَعَمْرِى لَقَدْ طَالَ النَّوَى، وتَقَاذَفَتْ مَهَامِهُ دُونَ الْمُلْتَقَى وَمَطَاوِحُ(٢٤)

وأَصْبَحْتُ فى أَرْضٍ يَحَارُ بها الْقَطا وَتَرْهَبُها الْجِنَّانُ وَهْىَ سَوارِحُ(٢٥)

بَعِيدَةُ أَقْطَارِ الدَّيَامِيمِ، لَوْ عَدَا «سُلَيْكٌ» بها شَأْوًا قَضَى وَهْوَ رَازِحُ(٢٦)

تَصِيحُ بها الأَصْداءُ فى غَسَقِ الدُّجى صِيَاحَ الثَّكَالَى هَيَّجَتْها النَّوائِحُ(٢٧)

تَرَدَّتْ بِسَمُّورِ الْغَمامِ جِبالُها وَمَاجَتْ بِتَيَّارِ السُّيُولِ الْبَطَائِحُ(٢٨)

---

(٢٤) النوى : البعد ؛ وهى مؤنثة . وتقاذفت : تباعدت وترامت . والمهامه : جمع مهمه (وزان جعفر) أو مهمهة ، وهى المفازة البعيدة والبلد المقفر . والمطاوح : المقاذف والمهالك .

(٢٥) يحار : يضلّ ويتحيّر . والقطا : ضرب من الحمام يضرب بالمثل بهدايته . ورهب (من باب تعب) : خاف . والجنان : جمع جان (بتشديد النون) والجانّ والجنّ والجنّة : خلاف الأنس ، والبشَر ، والناس ، وربّما كانت هذه التسمية بسبب استتارهم عن حواسّ البَشَر . يقال : جَنّ الشىء : أى استتر . وسوارح : جمع سارحة ، اسم فاعل من سرحت الإبل سرحاً (من باب نفع) وسروحاً أيضاً أى رعت بنفسها ، ويراد بالسوارح (هنا) السائرة المطلقة .

ومعنى البيت : أنه صار فى أرض متوهّمة مخوفة ، يضلّ فيها ما يضرب به المثل فى الهداية ، ويخافها ما يخوّف غيره .

(٢٦) الأقطار : جمع قطر ، وهو الناحية . والديامِيم : جمع ديموم أو ديمومة (بفتح فسكون) وهى الأرض القفر ، أو الصحراء الواسعة . وعدا : جرى . وسليك بن يثربى بن سنان بن سلكة (بضم ففتح) وهى أمّه : لص جاهلى فتّاك عدّاء ، يضرب به المثل فى العدو ، قيل كان يطلب الخيل فيدركها ، وتطلبه هى فلا تدركه . وكانت له دراية واسعة بالأرض ومجاهلها وفجاجها . وجرى شأواً : جرى طلقاً وشوطاً ، والشأو (فى الأصل) : الغاية والأمد . وقضى : مات . ورزح (كمنع) رزوحاً : سقط إعياء ، أو هزالا .

(٢٧) الأصداء : جمع صدى : وهو طائر يصرّ بالليل ، يقفز قفزاناً . والصدى أيضاً : الصوت يعود على من يصيح فى الخلاء . والغسق : ظلمة أول الليل . والدجى : جمع دجية (بضم فسكون) وهى الظلمة ، والمراد بغسق الدجى : ظلام الليل . والثكالى : جمع ثكلى (بوزن سكرى) ، وهى المرأة التى فقدت ولدها . والنوائح : جمع نائحة : وهى المرأة تبكى على الميت ، وتستبكى غيرها .

(٢٨) تردت لبست الرداء . والسّمور : حيوان برىّ ثدييّ من آكلات اللحوم ، يتّخذ من جلده فراء ثمينة ، وهو يشبه النمس ويكثر ببلاد الروس . والغمام : السحاب ، وأحدته غمامة . وماجت : اضطربت . والبطائح : جمع بطيحة : وهى مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

والمعنى : أنّ هذه الأرضَ قد لبست جبالها من السحاب ما يشبه فروة السمور ، واضطربت مسايلها بتيّار المياه الطاغية المجتمعة من الأمطار الجارية فى الأودية .

فأنْجادُها لِلْكاسِراتِ مَعاقِلٌ وأغوارُها لِلْعاسِلاتِ مَسارِحُ[٢٩]

مَهالِكُ يَنْسَى الْمَرْءُ فيها خَليلَهُ ويَنْدُرُ عَنْ سَوْمِ الْعُلا مَنْ يُنافِحُ[٣٠]

فَلا جَوَّ إلَّا سَمْهَرِيٌّ وقاضِبٌ ولا أرْضَ إلَّا شَمَّرِيٌّ وسابِحُ[٣١]

تَرانا بِها كالأُسْدِ نَرْصُدُ غارَةً يَطِيرُ بِها فَتْقٌ مِنَ الصُّبْحِ لامِحُ[٣٢]

مَداوِمُنا نُصْبُ الْعِدَا ومُشاتُنا قِيامٌ تَلِيها الصَّافِناتُ الْقَوارِحُ[٣٣]

---

(٢٩) الأنجاد: جمع نجد ؛ وهو ما أشرف وارتفع من الأرض . والكاسرات : الطيور تكسر أجنحتها : أى تضمها للوقوع . والمعاقل : جمع معقل (بوزن مسجد) وهو الملجأ . والأغوار : جمع غور وهو المطمئن من الأرض . والعاسلات : الذئاب ؛ عسل الذئب يعسل (بالكسر) عسلا وعسلانا (بفتح العين والسين فيهما) : أى اضطرب فى عدوه وهز رأسه . والمسارح : جمع مسرح (بفتح فسكون ففتح) : وهو المرعى .

(٣٠) الخليل : الصديق . ويندر : يسقط ، أو يهلك ، أو يقل . وسام البائع السلعة (من باب قال) : إذا عرضها للبيع وذكر ثمنها ، وسامها المشترى طلب بيعها ، والمراد بسوم العلا : طلب الرفعة ، ومعالجة الوصول إليها . وينافح : يكافح ويدافع .

والمعنى : أن الإنسان فى هذه الأرض مشغول بتخليص نفسه من مهالكها ؛ ولذا ينسى فيها صديقه ، ويهلك فيها البطل الذى يكافح لنيل العلا لشدة ما فيها من أهوال .

(٣١) السمهرى : الرمح الصلب ، وقيل : منسوب إلى سمهر : اسم رجل كان يثقف الرماح ويقومها . والقاضب : السيف القطاع . والشمرى : الشجاع المجرب الماضى فى الأمور . والسابح : الفرس يسبح بيديه فى سيره .

والمعنى : أنك لا ترى هنالك فى ساحة الحرب إلا جواً من الرماح الصلبة والسيوف القاطعة ، وأرضاً من الشجعان وسوابح الخيل .

(٣٢) الأسد (بضم فسكون) : جمع أسد (بفتحتين) . ونرصد : نرقب وننتظر . والغارة : اسم من أغارت الخيل ، أى أسرعت فى عدوها ، وأغار القوم على أعدائهم : أى هجموا عليهم ، وأوقعوا بهم . وفتق الصبح : انشقاق الفجر . ولامح : لامع .

والمعنى : أنك ترانا بهذه الأرض كالآساد تنتظر الهجوم على العدو فى مطلع الفجر .

(٣٣) نصب العدا (بضم النون وسكون الصاد) : أمامهم ، يقال هذا الشىء نصب عينى : إذا كان قائما ظاهراً أمامى ، لا يخفى على ، والنصب أيضاً : الداء والشر والعذاب . والعدا : اسم جمع لعدو . والمشاة : جمع ماش . والصافنات : جمع الصافن : وهو من الخيل ما يقف على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر ، اسم فاعل من صفن الفرس يصفن (من باب جلس) صفونا ، وهو من الصفات المحمودة فى =

ثَلاثَةُ أَصْنافٍ تَقِيهِنَّ ساقَةٌ ... صِيَالَ الْعِدَا إنْ صاحَ بِالشَّرِّ صائِحُ[٣٤]

فَلَسْتَ تَرَى إلَّا كُماةً بَوَاسِلًا ... وجُرْدًا تَخُوضُ الْمَوْتَ وَهْيَ ضَوابِحُ[٣٥]

نُغِيرُ على الأَبْطالِ والصُّبْحُ باسِمٌ ... ونَأْوِى إلَى الأَدْغَالِ واللَّيْلُ جانِحُ[٣٦]

بَكَى صاحِبِى لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ أَقْبَلَتْ ... بِأَبْنائِها : والْيَوْمُ أَغْبَرُ كالِحُ[٣٧]

ولَمْ يَكُ مَبْكاهُ لِخَوْفٍ ، وإنَّما ... تَوَهَّمَ أَنِّى فى الْكَرِيهَةِ طَائِحُ[٣٨]

فقَالَ اتَّئِدْ قَبْلَ الصِّيَالِ ، ولا تَكُنْ ... لِنَفْسِكَ حَرْباً ، إنَّنِى لَكَ ناصِحُ[٣٩]

أَلَمْ تَرَ مَعْقُودَ الدُّخَانِ ، كَأَنَّمَا ... عَلَى عَاتِقِ الْجَوْزاءِ مِنْهُ سَرائِحُ[٤٠]؟

(٤١) وقَدْ نَشَأَتْ لِلْحَرْبِ مُزْنَةُ قَسْطَلٍ ... لَهَا مُسْتَهِلٌّ بِالْمَنِيَّةِ راشِحُ[٤١]

= الخيل . والقوارح : جمع قارح : وهو من الخيل ونحوها : ما بلغ الخامسة من عمره .

والمعنى : أنّ مدافعنا فى مقدّمة جيشنا أمام العدوّ : أما مشاتنا فقيام خلف المدافع ، تليهم فرق الفوارس على خيول جيدة كريمة قد بلغت أشدّها .

(٣٤) ساقة الجيش : مؤخره. وصال على قرنه صولا (بفتح فسكون) وصيالا (بكسر الصاد) : سطا عليه ، وبطش به .

(٣٥) الكماة : جمع كمىّ (كغنى): وهو الشجاع ، أو لابس السلاح. وبواسل : جمع غير قياسىّ لباسل : وهو البطل الشجاع . والجرد : جمع أجرد: وهو الفرس السبّاق . وتخوض : تقتحم وتدخل . وضوابح : جمع ضابح . وضبح الخيل (بفتح فسكون) : صوت أنفاسها عند العدو والجرى .

(٣٦) نغير على الأبطال : نهجم عليهم ونوقع بهم. والأبطال : الشجعان . والأدغال : جمع دغل (بفتحتين) : وهو الشجر الكثير الملتفّ . وجانح : مقبل .

(٣٧) كالح : عبوس هائل .

(٣٨) توهّم : ظنّ . والكريهة : الحرب . وطائح : هالك .

(٣٩) اتئد : تأنّ وتمهّل . والصيال : السّطو والبطش .

(٤٠) العاتق : ما بين المنكب والعنق ، (والمنكب كمجلس : مجمع عظم العضد والكتف) . والجوزاء : كوكب . والسرائح : جمع سريحة ، وهى القطعة من الثوب ، والمراد قطع الدخان .

والمعنى : أنّ دخان الحرب معقود فى الجوّ مرتفع ، كأنما الجوزاء قد حملت على عاتقها قطعاً منه .

(٤١) المزنة : السحابة . والقسطل : الغبار . واستهلّ المطر : اشتدّ انصبابه ، فالمطر مستهل أى=

فَلا رَأْىَ إلَّا أنْ تَكُونَ بِنَجْوَةٍ — فإنّكَ مَقْصُودُ المَكانَةِ واضِحُ(٤٢)

فَتَلْتُ تَعلَّمْ أنّما هِىَ خُطَّةٌ — يَطُولُ بِها مَجْدٌ ، وتُخْشَى فَضائِحُ(٤٣)

فَما كُلُّ ما تَرْجُو مِنَ الأَمْرِ ناجِعٌ — ولا كُلُّ ما تَخْشَى مِنَ الخَطْبِ فادِحُ(٤٤)

فَقَدْ يَهْلِكُ الرِّعْدِيدُ فى عُقْرِ دارِهِ — ويَنْجُو مِنَ الحَتْفِ الكَمِىُّ المُشايِحُ(٤٥)

وكُلُّ امْرِئٍ يَوْماً مُلاقٍ حِمامَهُ — وإنْ عارَ فى أرْسانِهِ وَهْوَ جامِحُ(٤٦)

فَما بارِحٌ إلّا مَعَ الخَيْرِ سانِحٌ — ولا سانِحٌ إلّا مَعَ الشَّرِّ بارِحُ(٤٧)

فإنْ عِشْتُ ما لاحت الثريا وإنْ أمُتْ — فإنّ غريبًا من نضيد الصفائح(٤٨)

= شديد الانصباب ، أو هى مسيل (بفتح الخاء) : مصدر ميمى بمعنى الاسبلال والانصباب . والمنية : الموت . ورشح الماء (وبابه قطع) : خرج من مسام إناء أو غيره .

والمعنى : أنه قد نشأ فى سماء ساحة الحرب من غبارها ما يشبه السحابة التى تصب الموت والفناء .

(٤٢) النجوة : ما ارتفع من الأرض ، والمراد المكان البعيد عن الخطر . والمكانة : المكان ، ومقصود المكانة : معروف مكانك من اجتذ العدو قدرك فيه .

يشير صاحبه عليه بأن يكون بعيداً من الخطر ؛ لأنه مشهور معروف لأعدائه ، مقصود بالأذى لعظم منزلته فى الجيش .

(٤٣) تعلّم : اعلم . والخطّة (بضم الخاء) : الشأن والحالة . والمجد : العزّ والشرف والكرم .

يقول لصاحبه : اعلم أنّ الإقدام فى الحرب يعلو به مجد الشجاع ، ويتّقى به كشف المساوئ والنقائص التى تنجم عن الجبن والخور .

(٤٤) ناجع : نافع ذو أثر ظاهر . والخطب : الشأن والأمر والنازلة . وفادح : صعب شاقّ باهظ .

(٤٥) الرعديد (بكسر الراء) : الجبان . وعقر الدار (بضم العين) : وسطها . والحتف : الموت . والكمىّ : الشجاع . والمشايح : المقاتل : اسم فاعل من شايح مشايحة وشياحاً .

(٤٦) الحمام (بكسر الحاء) : قضاء الموت وقدره . وعار الفرس يعير (من باب باع) : ذهب كأنه منفلت من صاحبه . والأرسان : جمع رسن (بفتح الراء والسين) : وهو الحبل . وجامح : مستعص ، اسم فاعل من جمح الفرس براكبه يجمح (من باب خضع) جماحاً (بالكسر) وجموحاً (بالضم) أى استعصى عليه حتى غلبه .

ومعنى البيت : أنّ الإنسان يلاقى حتماً ما قدّر عليه من الموت ، وإن فرّ من أسبابه فرار الفرس الجموح .

(٤٧) البارح : الطائر الأشأم . وسنح الطائر : جرى على يمينك إلى يسارك ، والعرب تتيامن بذلك . بالسانح

ومعنى البيت : أنّ كل ما يتشاءم منه يعود يمناً إذا قدّر للإنسان الخير ، وكل ما يتيامن به يعود شؤماً إذا قدّر للإنسان الشرّ . (٤٨) الثريا : نجم معروف ، يضرب به المثل فى الرفعة والعلاء ، والصفائح : حجارة عراض رقاق ، والمراد القبر .

ثانياً: أحمد محرم

١٢٨٨هـ - ١٣٦٤هـ
١٨٧١ - ١٩٤٥م



شاعر ملهم، من شعراء الوطنية والأخلاق، كان أدباء الجيل يضعونه في صف شوقي وحافظ ومطران، وكان شيخ الشعراء إسماعيل صبرى يتغنى بشعر هؤلاء الأربعة ويطيب له التحدث عنهم، وامتاز محرم إلى جانب مكانته الشعرية بحرارة العاطفة، وتذوقه للفن والجمال، وقوة إيمانه، وتأملاته العميقة الفلسفية، واستمساكه طول حياته بمبادئه الوطنية، فكان شعره كله وقفاً على المبادىء، لم ينحرف عنها يوماً فى قصيدة أو فى أى بيت من الشعر، ظل مقيماً عليها وفيّاً لها فى السراء والضراء، فكان حقّاً مثلا أعلى فى الشعر والوطنية، وكان مصطفى كامل يعجب به وبشعره، ويشيد به على صفحات (اللواء)، ويسميه (نابغة البحيرة)، وبقى أحمد محرم على صلته به ووفائه له ولذكراه، كما ظل وفيّاً لمبادىء الوطنية إلى أن توفاه الله فى ١٣ يونيه سنة ١٩٤٥.

كان شاعراً بفطرته وسليقته، قال الشعر وهو فى سن مبكرة، ومعلّقته التى يقول فى مطلعها:

منازل سلمى لا عدتك الغمائم وإن درست بالجزع منك المعالم

قد نظمها وهو فى السادسة عشرة من عمره.

وطنيته فى شعره

تتجلى روحه الوطنية التى ألهمته الشعر أكثر ما تتجلى حين أصدر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨، فقد أهداه إلى (النيل)، وكتب كلمة الإهداء فى عنوان الكتاب (هدية النيل)، وأعقبها بهذا البيت الذى يترجم عن وطنيته الأصيلة مخاطباً النيل قال:

وَهَبْتُكَ مُلْكَ القريضِ العتيدِ وذلك أفضلُ ما يُوهَبُ

---

(١) راجع (شعراء الوطنية فى مصر) لعبد الرحمن الرافعى ط دار المعارف بمصر ١٩٥٤م ومنه نقلنا هذه الصفحة.

وهذا أنموذج من شعره القصصي الإسلامي في ديوانه مجد الإسلام

أبو بكر يؤدي ثمن الحائط الذي أُدخل في المسجد ★

أراد النبي ﷺ أن يضمّ إلى المسجد حائطاً ليتيمين من الأنصار كانا في كفالة أسعد بن زرارة - وقيل معاذ بن عفراء - وهما سهل وسهيل ، وقد عرض أبو أيوب الأنصاري أن يؤدي الثمن إليهما فأبى النبي ، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أُدّيَتْ من مال أبي بكر الصديق .

وقال الغلامان : نَهَبُهُ لك يا رسول الله فأبى ، وأراد رجال من الأنصار أن يعوّضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن .

وجاء أنه ﷺ وضع اللبنة الأولى في المسجد ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنته ، وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان ، وقيل إن المراد بذلك ترتيب الخلافة .

إيـهِ أبا بكـرٍ ظَفِـرتَ بصفقـةٍ ... شَتّى مَغـانِمُهـا لمن يَتـأمّـلُ
القـومُ عنـد إبـائهم وسَخـائِهم ... لـو يبذلـون نفـوسَهُم لم يَحفِلوا
لا يقبلون لحـائِطٍ ثمنـاً . ولا ... يَـبـغـونَها دُنـيـا تُـذَمُّ وتُـرذَلُ
الـلّهُ يَـطلُبُهُ لِـنُـصـرَةِ ديـنِـهِ ... والـدّينُ هُم أنصارُه ، ما بذَلوا
قـالوا : أمِنّـا يـا محمـدُ يُبتَغى ... ما ليس يَخلِقُ بالأُبـاةِ ويجمـلُ ؟
إنّـا لعمـرِ اللّهِ نَعـرِفُ حَقّـهُ ... ونُعِـزُّ مِلّتـه الـتي نتـمـلّلُ[1]
نُعطِي اليتيمين الكِفَاءَ ، وإن هما ... أبيـا ، ونَتّبِـعُ التي هي أنبـلُ[2]
خُذْ ما أردتَ ، فلن نبيعَكَ مسجداً ... يَـدعـوهُ فيـهِ مُكَبّرٌ ومهـلّلُ
هـو رَبُّنا إن نـالنا رِضـوانُـه ... فلنـا المثـوبـةُ والجـزاءُ الأكمـلُ

* * *

★ راجع (ديوان مجد الإسلام) ص ٦٦، ٦٧، ٦٨ - مكتبة الفلاح بالكويت ط ١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م -

(١) تملّل الملة دخل فيها .

(٢) كفاء الشيء ما يساويه .

إيـهِ أبـا بكـرٍ خليلُكَ مُـطرِقٌ ... بـأبي، وأنتَ بما يُـريدُ مُـوَكَّـلُ
لا بـدَّ مـن ثمنٍ يَكـونُ أداؤهُ ... حَكَماً يُطاعُ، وشِرعةً ما تُهمَلُ
لـولا الرسـولُ وما يُعلِّمُ قـومَه ... جَهِل المحجّةَ ظـالمٌ لا يَعدِلُ[1]
وإذا قَضَى أمـراً ، فـما لقضـائِهِ ... رَدٌّ ، ولا في غـيـرِهِ مُـتـعـلَّلُ
الحقُّ مـا شَـرَعَ النبيُّ ، وبـاطلٌ ... مـا يـدَّعِي المـرتـابُ والمتـأوِّلُ
لا بدَّ من ثمنٍ ، ولستَ بـواجِدٍ ... في القومِ من يَضِحُ الصّوابُ فَيَغفلُ[2]
أمرُ الرسـولُ بـه ، فـدونَك أدِّهِ ... ولأنت صَاحِبُهُ الكـريمُ المفضَلُ
يـا بـاذلَ الأمـوالِ ، نِلتَ ببذلِها ... مـا لم يَنَلْ في المسلمين مُمَوِّلُ
أتبعتَ نفسَكَ ما ملكتَ، فمهجةٌ ... تَنهـالُ طيِّعـةً ، وكَفٌّ تَهطلُ

بلالٌ يُؤَذِّنُ لِلصَّلاة

أذِّنْ بِلالُ لكَ الوَلايةُ ، لم تُتَحْ ... لِسوَاكَ إذْ تدعُو الجموعَ فَتُقبِلُ
اللّهُ ألبسَكَ الكرامَةَ ، وَاصْطَفَى ... لـكَ مـا يُحِبُّ المؤمنُ المتـوكِّـلُ
يـا طولَ مـا عُذِّبتَ فيه فلم تَمِلْ ... تَبغِي الّتي اتّبـعَ الغُـواةُ المُيَّـلُ[3]
أحَدٌ إلهُكَ ، ما كَذبتَ ، ومـا لمن ... يـرجـو النّجاةَ على سواهُ مُعَوَّلُ
أرِني يَـدَيْـكَ : أفِيـهـا لأميّـةٍ ... وِردٌ من الموتِ الذُّعافِ مُثمَّلُ ؟[4]

---

(١) المحجّة جادّة الطريق أو وسطه .
(٢) مضارع وضح .
(٣) كان أميّة بن خلف يُخرج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد أن يُجيعَهُ ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره في الرمضاء ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيأبى . وكانوا يدفعونه الى الصبيان فيربطونه بحبل ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول(أحَد أحد) وقد رقّ له أبو بكر فاشتراه من أمية بن خلف ثم أعتقه ،وكذلك فعل رضي الله عنه بكثيرين كانوا يُعذّبون في الله .
(٤) الموت الذعاف السريع، والمثّل المنقع .

لَلسَّيفُ سَيفُ اللهِ أَهْوَلُ موقعاً ... من صَخرةٍ تُلقَى ، وحبلٍ يُفتَلُ
لك في غدٍ دَمُه إذا التقتِ الظُّبى ... تحتَ العَجاجةِ ، والرِّماحُ الذُّبَّلُ[1]
أَذِّنْ فإنَّ الدِّينَ قامَ عَمودُه ... وَرَستْ جَوانبُهُ ، فما يَتَقلقَلُ
هَبَطَ الجزيرةَ ، فاحتوى أطرافَها ... وانْسابَ في أحشائِها يَتَغَلْغَلُ
فكأنَّما طَرَدَ السَّوائِمَ ضَيغَمٌ ... وكأنَّما ذُعَرَ الحمائِمَ أَجدَلُ[2]

* * *

خَفَّ الرجالُ إلى الصَّلاةِ وإنَّما ... لأجلُّ ما تَصِفُ الصُّفوفُ المُثَّلُ
عَنَتِ الوجوهُ ، فراكِعٌ مُتخشِّعٌ ... يخشى الإلٰهَ ، وساجِدٌ مُتَبَتِّلُ[3]
صَلُّوا بني الإسلامِ خَلفَ نبيِّكم ... وخُذوا بما شَرَعَ الكتابُ المنزَلُ
اللهُ أيَّدكم به ، وأمدَّكم ... منه بنورٍ ساطعٍ ما يأفُلُ
آثرتُمُ السَّنَنَ السويَّ ، فجدُّكم ... يَعلو . وجَدُّ ذوي العَمايةِ يَسفُلُ[4]
هل يَستوي الجمعانِ : هذا صاعدٌ ... يبني ، وهذا ساقطٌ يتهيَّلُ ؟[5]
يَتألَّفون على الهوى ، وقلوبُهم ... شَتَّى ، يَظلُّ شَعاعُها يتزيَّلُ[6]
نَصرٌ على نصرٍ ، وفتحٌ بعده ... فتحٌ يَغيظُ المشركينَ مُحَجَّلُ[7]
إنَّ امرأً جَحَدَتْ به أهواؤُه ... من بعدِ ما وَضَحَ الهُدى لمُضلَّلُ
الحقُّ بابُ اللهِ : هل من داخلٍ ؟ ... طُوبَى لمن يَبغي الفلاحَ فيدخلُ[8]

---

(١) قَتَلَ بلالٌ رضي الله عنه أميةَ بنَ خلفٍ يوم (بدر) فهنَّأه الصِّدِّيقُ بقوله :

هنيئاً ، زادكَ الرحمنُ خيراً ... لقد أدركتَ ثارَكَ يا بلالُ

والظُّبى السيوف ، والعجاجة كدرة الجو وغبار المعركة والذُّبَّل الرماح الطويلة .

(٢) السوائم جمع سائمة ، الماشية تذهب في المراعي . والضيغم الأسد . والأجدل الصقر .

(٣) عنت خضعت . (٤) الجد الحظ . (٥) يتهيَّل : يتصبَّب .

(٦) الشعاع القطع المتفرقة ، ويتزيَّل يتفرق . (٧) محجل : مضيء ، مشرق .

(٨) الطوبى الغبطة والسعادة والعيش الطيِّب .

ثالثًا : مدرسة الديوان :

قامت بجهود ثلاثة من الشعراء هم (عباسٌ محمود العقـــاد) و(عبدالرحمن شكرى) و(ابراهيم عبدالقادر المازنى) وكــلٌّ مــن هؤلاء الثلاثة أتيحت له الفرصه للإطلاع على الشعر (الأوربـــىّ) ولاسيما (الإنجليزىّ) فافتتنوا به وتأثروا بالاتجاهــات الجديــدة ولا سيما الاتجاه الرومانسى فلاءَمُوا بين ما قــرءوه وبيــن ميولـِهِمْ ونفوسهم وحاولوا تطبيق نظرياتِ الأدب الغربـــى علـــى أدبنـا الحديث فرفضوا ما كان مخالفاً ودَعَوْا إلى ما رَأَوْهُ جميلاً نافعاً ٠

ويتلخَّصُ فى الآتى :

١ - أنَّ شخصيةَ الشاعرِ ومِزَاجَهُ وذوقَهُ ومشاعِرَهُ ينبغى أنْ يكون لها المقامُ الأولُ فى ما يصدر عنه من شعر ٠

٢ - أنْ يدْخُلَ الشعر فى مجرَى الحياةِ الإنسانية الواســعةِ ومــا يسودها من تشاؤمٍ وقلقٍ بحيث يكونُ تصويرًا صادقا لها وتعبيرا أمينا عنها ٠

٠ - تكوين هذه المدرسة :

وبداية اللقاء بين زعماء مدرسةِ الديوان كان على صفحـــاتِ (مجلة البيان) التى كـــان يصدرهـــا المرحـــوم (عبدالرحمـــن البرقوقى) فى مطلع القرن العشرين فتعــــرف (العقـــادُ) علـــى صاحبيْهِ(شكرى)و(المازنى)حوالى عام ١٩١٢ م وتجاوبت أفكارهم مما كان يقرأ بعضهم لبعض وباللقاءات التى كانت تجمعهم فـــى دار المجلة ثم بَدَءُوايتعاونون فى مجال الأدب فكتب العقاد مقدمة الجزء الأول من (ديوان المـــازنى) عـــام ١٩١٤ م وفـــى عـــام ١٩١٥م جمع الاشتغال بالتدريس بين (العقاد والمـــازنى) فـــى المدارس الحُرَّة (فى مدرسة وادى النيل الثانوية بالقاهرة) وكانت الأفكار قد انصهرتْ بين (العقاد والمازنى) والأهدافُ قد تحددتْ فأصدرَا كتاب (الديوان) فى(النقد الأدبى)المعاصر ولاسيما نقـــد

(شوقى) و(المنفلوطى) وصدر عام ١٩٢١ م ، ومن اسم هذا الكتاب أُخِذَ اسمُ هذه المدرسةِ الشعرية النقدية .

• - أهم اتجاهات هذه المدرسة :

١- هاجموا الشعر التقليدى بقوة وعنف وسموه (شعرَ المناسبات) وعدوه إحتذاءا للأقدمين كشعر المدْح والتهنئة.

٢- دَعَوْا كما سبق إلى أن يكون الشعر تعبيرا صادقا عن الشاعر ونوازعه الشخصية فى صِدْق وعن حقائق الكونِ والطبيعة فى عُمْق يهتم بجوهر الأشياء لا بمظهرها ويبتعد عن السطحية والتقليد .

٣- دعوْا إلى(الوِحدة الموضوعية والعضوية)فى القصيدة التى تجعل منها كائنا واحدا مستقلا متكاملا تتلائم أجزاؤه وتتكامل كالكائنِ الحىّ .

٤- دعوْا إلى أن يكون الشعر تعبيرا حـرًّا جميلا – فالحرية والجمال عندهم عنصران أصيلان فمن الحرية يأتى الصدقُ لدى الشاعر ومن الجمال يأتى التلاؤم والانسجام .

٥- وهم متمردون على القديم وعلى الحاضِرِ المتعارف لخلوهما فيما يعتقدون مما سبق وقد جعل شعراء مدرسة الديوان من أشعارهم تطبيقا على المبادئ التى دعوا إليها بالإضافه لمقدمات دواوينهم وإن كانت بعض الدواوين ظهرتْ قبل مناداتهم بهذه الأراء فظهر الجزءُ الأولُ من ديوان شكرى المسمى (ضوءَ الفجْر) عام ١٩٠٩ م وفى مقدمته ثورةٌ على الشعر القديم شكلا ومضمونا وتركيزٌ على الذات وانْحيازٌ إلى القلق والتشاؤم وعنايةٌ بالوجدانيات والتأمل فى الكون وفى عام ١٩١٣ م ظهر الجزء الثاني من ديوان (شكرى) بمقدمة ضافية (للعقاد) أدانَ فيها القديمَ ومجّد الجديد وكذلك فعل العقاد فى تقديمه للجزء الأول من (ديوان المازنى) ثم ظهر الجزءُ الأول من(ديوان العقاد)عام ١٩١٦ م والجزء الثانى من ديوان المازنى ١٩١٧ م ثم دواوين عبدالرحمن شكرى حتى وصل نتاجهم عام ١٩١٩ م إلى (ستة دواوين) وحين نصل إلى عام

١٩٢١ م يظهر للعقاد والمازني(كتابُ الدِّيوان) فـــى النقـد الأدبى الذى هاجما فيه (شوقيًّا والمنفلوطى) ، فأما (شوقـــى) فعابا(شعره الغنائى) بتفكك القصيدة وتقليدِه الأقدميــن وعــدَم الصدقِ فى التعبير عن النفس ، وعابا(شعرِه المسرحى) بسوء اختيارِ الموضوع وبالخَطابية والغِنَائية ٠

وأما (المنفلوطى) فعابا نثره بالسَّـــطحيةِ والمبالغــةِ فـى تصوير العاطفةِ ولا سيما الحزينة وكان المفروض أن يُتْبِعَا كتابَ الديوان بأجزاءَ أخرى لنقدِ سائر الشعراء ولكـــن انفـرط عقـد (جماعة الديوان) بعد صدور هذا الجزء واختلف بعضـــهم علـى بعض واتجه المازنيُّ إلى (النثر) وصَمَتَ (شكرى)عـــن النقـد وتابع رحلته الشعرية منفردا عن صاحبيْه ، أما(العقاد) فاستمر فى رحلته الأدبية النقدية ٠ ونشاطِه الإبداعى حتى وفاته ٠

تفصيل فى بعض اتجاهاتها :

١- من ناحية الشكل هاجموا نظام القصيدة الطويلة ذات النســق الموحد فى الوزن والقافية ودعوا إلى التغيير فى القافية فى داخل القصيدة بعد عدد قليل من الأبيات وبالغ شكرى فدعا إلى التحرر كليةً من القافية ليكون الشعر مُرْسَلًا كغالبِ الشعرِ الإفرنجى ٠

٢ – ثاروا على ما أسموه ضِيق الأفق عند الشعـــراء الأقدميـن والتقليديين ودعوا إلى رَحابة الأفق بحيث يشمل الشعر الوجـــود كله فى موضوعاته وثاروا على تعريفات الشعر القديمة وقـــالوا إنها تحد من طموح الشاعر ونَعَوْا على الشعراء التقليديين تناولَهم توافهَ الأمور مثل (التأريخ الشعرى) كمـــا نعـــوا علـــى شعـــر المناسبات كالتهانى والتعازى وعابوا الوصفَ السطحيَّ للأشيـــاء داعين إلى النفوذ إلى جواهرها وشددوا على التقليد ومعارضـــة شاعر لآخر ودعوا إلى التميزِ والذاتيةِ والخُصُوصِيَّة كما عـــابوا

الغموضَ ودَعَوْا إلى الوضوح مع العمْق كذلك عابوا المبالغـــات الشديدة التى تؤدى إلى الإحالة •

٣ – دَعَوْا إلى أن تكون(التَّجْرِبَةُ الشُّعوريـــة) مكونـا أساسـيا للقصيدة بكل عناصرها من مُعايشةٍ وواقعيةٍ لموضوعها وامتزاج هذه العناصر بالعاطفة والحسِّ والعقل والخيال والموسيقا بحيث توجَدُ فى نفس الشاعرِ أوّلاً ثم تبرز كعمـل فنـى ينتقـل أثـره للآخرين •

٤– دعوا إلى تحريرِ لغةِ الشعر من القوالب القديمة الجامدة فليس للشعر فى رأيهم لغةٌ خاصة ثابتة بل ينبغى أن تتسعَ لغةُ الشعـرِ لكل ما هو مأنوسٌ ومناسبٌ للحياةِ والعصرِ والتجاربِ النفسية •

(رابعا): جَمَاعَةُ (أَبُولُّو) وتعريفٌ بمؤسِّسِها الشاعرِ: (أَحمدَ زكـىّ أبى شَادِى) •

سمَّيناها (جَمَاعَةً) ولم نُسمِّها (مَدْرَسَةً) لأنها لمْ تقْتَصِـرْ على شعراءِ اتجاهٍ معيَّنٍ ، بـلْ ضَمَّـتْ شعـراءَ مِـنْ مُخْتَلِـفِ الاتجاهات وقد تألفتْ منْ مجموعةٍ من شعراءِ العصرِ الحديث فى نهايةِ (الثلث الأولِ من القرْن العشرين الميلادى) التفُّـوا حـوْل فكرةِ (حُبِّ الشعرِ وتقديرِهِ والرغبةِ فـى نهوضِـهِ وازْدِهَـارِهِ والعنايةِ بالشعراءِ وتشجيعهمْ على الإبداعِ والتّجْديد) •

وصاحب هذه الفكرة والداعى إليها الشاعر المصرى العالم الأديب الدكتور (أحمدُ زكى أبو شادى) المولود عام ١٣١٠ هـ ــ ١٨٩٢م والمتوفى عام ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٥ م ألف أبو شـادى هذه الجماعة من خيرة شعراء عصره أواخر عام ١٩٣٢ م (من شتى النزعـات والاتجاهـات) مـن المحـافظين والمجدديـن والكلاسيكيين والرومانسيين ، فهى لكل الشعراء وجعل رئاسـتها (لأحمدَ شوقى) الذى اعترف معظم الشعـراء بإمارتـه الأدبيـة وزعامته الشعرية ولكن (شوقيا) توفى فى هذا العام فـأرتضى

شعراء أبولو (خليل مطران)(شاعر القطرين)مصر والشام خلفا له ، وهى رئاسة شرقية كذلك لأن الرئاسة الحقة كانت لمؤسس الجماعة وأمين سرها (أحمد زكى أبو شادى) الذى لم يكن متعصبا لاتجاه معين بل كان يرحب بكل الاتجاهات شريطة أن يتحقق فى الشاعر الصدق والأصالة وجودة الموضوع وجمال الفكرة وسمو الخيال وسلامة الفطرة والبعد عن التكلف وكان عدوا للجمود والتقليد مطلعا على الآداب الأوربية ولذلك نجد له إلى جانب الشعر الغنائى (شعرا مسرحيا) أشرنا إليه فيما سبق ومن أجل أن يكون للجماعة علم تستظل به أنشأ رائدها (أبو شادى)(مجلة)تنطق باسمها وتنشر مبادئها ونتاج أعضائها فظهرت (مجلة أبولو) بالقاهرة عام ١٩٣٢ م وظلت تصدر حتى عام ١٩٣٥ م ومع أن عمرها قصير إلا أنها كانت ذات أثر كبير فى نهضة الشعر فى العصر الحديث بما كانت تنشره من بحوث فى نقد الشعر بقلم رائدها وأقلام غيره من الشعراء والنقاد وبما كانت تعرضه من نتاج الشعراء المعاصرين واختير لها هذا الاسم الطريف إشارة إلى(الأدب الإغريقى القديم)فقد كان الإغريق وثنيين معتقدين أن لكل شئ إلها وكان إله الشعر عندهم اسمه (أبولو) ٠

وفى هذا العنوان مجاملة للآداب الأوربية من جهة ورغبة فى مباراة الشعر العربى الحديث للشعر الأوربى من جهة أخرى ومع أن (أباشادى) كانت له اهتمامات علمية تتعلق بتخصصه فى الطب وعلم النحل وتقلده مناصب التدريس فى جامعة الإسكندرية إلا أن الاهتمامات الأدبية غلبت عليه واستأثرت بمعظم أنشطته ٠

فنشر لنفسه عدة دواوين شعريه منها (الشفق الباكى) و(الينبوع) و(الشعلة) و(أشعة وظلام) كما ألف (المسرحيات) الشعرية التاريخية والأسطورية فى نشاط عجيب ٠

وكان وطنيا غيورا يحب لوطنه الحكم الصالح والشورى ويكره الاستبداد والظلم ويضيق بإهمال المواهب وعدم تقدير العاملين المخلصين من أمثاله ، ويتألم لمهازل الحكم الملكى وتطاحن الأحزاب على السلطة فضاق ذرعا بكل ذلك وقرر الهجرة من مصر لعله يجد متنفسا لأفكاره وراحة من المعاناة النفسية ومن الاحباط ونفذ الهجرة فعلا (إلى الولايات المتحدة الأمريكية) فى عام ١٩٤٦ م وقد كان أبو شادى نابغة عبقريا مُتَعدّد الجوانب فهو شخصية قيادية فريدة فى أدبنا المعاصر وتاريخنا الحديث وصاحب نتاج غزير فى الشعر والنثر ومؤلفاته قيمة وأراؤه جريئة فى الإصلاح العام وإصلاح الحياة الأدبية والشعر بخاصة ولا ننسى أنه كان صاحب (اتجاه إسلامى) أصيل فله رسائل عدة فى دعم الإسلام منها (رسالة(محمد) صلى الله عليه وسلم) (ولماذا أنا مؤمن ؟) و(عظمة الإسلام) و(المال فى الإسلام) ٠

وله فى الترجمة عن الآداب الأجنبية بَاعٌ طويل وجهد مشكور ومن الأحداث التى كان لها أثر كبير فى حياته وفاة زوجه عام ١٩٤٦ م فحزن عليها حزنا عميقا وبكاها أحر بكاء فى مراثيه لها وكان هذا الحدث مما عجل بهجرته إلى خارج مصر ٠

وفى (أمريكا) رحبتْ به الجماعات الأدبية وأخذ يحرِّر فى الصحف ويحاضر فى الجامعات والندوات ومحطات الإذاعة٠

وأخيرا : أختير أُستاذا للأدب العربى فى بعض المعاهد العليا كما كان يراسل المجلات العلمية والأدبية فى عالمه العربى كمجلة (المقتطف) ونشر فى مهجره بعض الدواوين الشعرية الجديدة مثل ديوان (من السماء) ، (الإنسان الجديد) و(أناشيد الحياة) ومازال يعمل ويكافح فى سبيل العلم والأدب بلا كلل حتى وافاه الأجل فى غُرْبَتِهِ عام ١٩٥٥ م وشَعَرَ الأدباء

والمثقفون بالخسارة العظيمة لفقده وتألفت في البلاد العربية جماعات لتأبينه والإشادة بفضله على الحركة الأدبية فى العصر الحديث وألفت عنه الكتب والدراسات المتعددة ويمكن تلخيص أهدافه لنهضة الشعر الحديث كما حددها هو فى بعض مقالاته كما يلى :

١- الدعوة إلى الشعر الحر والترحيب به حسب قوالب محترمة جيدة •
٢- الاهتمام بتأليف (الشعر المسرحى) حتى يذيع وينتشر أضعاف ما هو عليه الأن •
٣- الدعوة للتعبير الفطرى والبعد عن التكلف والتصنع •
٤- الاتجاه الرمزى فى الشعر دون غموض أو إبهام •
٥- التحرر والانطلاق والابتكار فى كل مجالات الشعر مع التناول الفنى السليم •

وأشهر شعراء جماعة أبولو :

قدمنا ان هذه الجماعة ضمت كثيرا من الشعراء من مختلف الاتجاهات ومن أشهرهم الشاعر الطبيب (ابراهيم ناجى) والشاعر المهندس(على محمود طه) والشاعر الناقد(مصطفى السحرتى) والشاعر الإذاعى (محمود حسن اسماعيل) والشاعر الصحفى (صالح جودت) ومعظم هؤلاء يقلب عليهم الاتجاه الرومانسى) وإذا كان الاتجاه الرومانسى يعنى بالعاطفة الخاصة للشاعر ومشاعره الذاتية فلم ينس أصحاب هذا الاتجاه قضايا وطنهم العربى بعامة والمصرى بخاصة ولذلك نرى لعلى محمود طه رائعته عن فلسطين وحرب عام ١٩٤٨ م التى خاضها العرب لاستنقاذ فلسطين من المؤامرة الصهيونية والاستعمارية معبرا فيها عن شعور كل العرب والتى شدا بها (عبدالوهاب) ومطلعها •

أخى جاوزَ الظالمون المدَى
فحَقَّ الجهادُ وحَقَّ الفِدَا

أَنتركهُمْ يغْصِبونَ العرُوبــةَ
مجْد الأبُوَّةِ والســـــؤْدَدا؟!
وليسَ بغيْرِ صليلِ السيوفِ
يجيبونَ صوتًا لنا أَوْصـــدَى .

وقصيدة (محمود حسن اسماعيل)عن(القـــدس) عندمـــا وقعت كارثة ١٩٦٧ م واحتلها اليهود فأنشد الشاعر هذه القصيدة وعنوانها " أتيتُ أُصَلِّى " .

وقصيدة الشاعر (إبراهيم ناجى) صاحب قصيدة الأطلال المشهورة عن مصر وشبابها التى تغنت بها أم كلثوم .

أَجَلْ إِنَّ ذا يومٌ لمن يتبغى مِصْرَا
فمصرُ هى المحرابُ والجنة الكبرى
حلفْنا نولِّى وجهنا شطرَ حبهـــا
وننفد فيها الصبرَ والجهدَ والعمرا
نبثُّ بها روحَ الحياةِ قويـــةً
ونقتلُ فيها الضنكَ والذَّل والفقــرا
سلامًا شبابَ النيلِ فى كل موقفٍ
على الدهرِ يجنى المجدَ أو يجلبُ الفخرا ..الخ
وقصيدة (أحمد رامى) التى غنتها (أم كلثوم) أيضا :
مصر التى فى خاطرى وفى دمى ....الخ
وقصيدة (إبراهيم ناجى) عن الفلاح المصرى التى يناشد فيـــها المصريين جميعا العمل على إنصافِهِ وانقاذِهِ فهو عمادُ البلاد .

صُونُوا البلادَ وأدركوا فلاَّ حَكُمْ
كاد الحِمَى يغدو بغير عِمَـــادِ

حيرانَ من مرضٍ إلى بؤسٍ إلى
كُرَبٍ تمزِّقه بلا تعـــداد
ومن المصائب في زمانك أن ترى
بلداً كثيرَ مناهلِ الـــوُرَّادِ
والخيرُ مِدْرارٌ عليه ، وَرَبُّـــهُ
جَوْعَانُ محرومُ الرِّعايةِ صَادِ !!

مما يؤكِّد على أنَّ مَنْ عُرِفوا (بالاتجــاه الرُّومانســي) فــي مدرسة أبولو لم يعيشوا في أبراج عاجِيَّةٍ بعيدين عــن مشكــلات مجتماعتهم مكتفين بالتعبير عن عواطفهم الخاصَّة وذواتِ أنفسهم بل عبروا إلى جانبِ لك عن هموم أمَّتِــهم ووطنِــهم وصــوَّروا جوانبَ الكفاح السياسيِّ والوطنيِّ والاجتماعيِّ بها .

أَنمَاذجُ مِنْ شِعْرِ شُعَرَاءِ مَدْرَسَةِ الدِّيوَان

مقطوعات

لِعَبَّاسٍ مَحْمُودِ العَقَّاد

تحت عنوان

تَأَمُّلَاتٌ فِى الحَيَاة

١- النظرة الأولى والأخيرة

صَحَّ جسماً فشاقت الأرضُ عَيْنَيْهِ
بهِ جَمالاً وفتنةً وضياءَ

صحَّ نفسا فشاهتِ الناسُ حتى
كره الأرضَ حوله والسماءَ

عجبًا للحياة ما سَرَّ فيها
جانبٌ ترتضيه إلا أساءَ

الهداية

كم فى السماء نجوم ضلت سواء السبيلِ
وانت فى الأرض تبغِى هَدْياً بغير دليلِ ؟

سحر الدنيا

سحر دنياك يا أُخيَّ قديمٌ
سوف يبقى ، ويذهب الكُهَّانُ

---

(١) من ديوانه (وحى الأربعين) مطبعة مصر ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م

أفيمغى بسحرها كاهنٌ ما
تَ وفيها الشموسُ والأغصانُ ؟
أفيمغى بسحرها كاهن ما
ت وفيها الثغور والاجفانُ ؟
أفيمغى بسحرها كاهن ما
ت وفيها الألحانُ والألوانُ ؟
كاهنُ الأولين أولُ مسحو
رٍ ، وفى كل حِقْبَةٍ تَرْجُمانُ
سحر دنيـــاك دائمٌ حيثما دا
مَ عليهـــا الإنشادُ والتِّبيانُ
سحر دنيـــاك دائم حيثما دا
مَتْ عليها الحيــــاةُ والإنسانُ

مُسَوَّداتُ الحياة

تأملْ ترى الأحياءَ عُجْباً كأنها
« مُسَوَّدةٌ » للخَلقِ لمَّا تُنقَّحِ

ويا رُبَّ سِرٍّ في كلامٍ « مُسوَّدٍ »
يعودُ فيخْفَى في الكلام المصحح

أراها كإخوانٍ تفاوتَ حظُّهمْ
وميراثُهمْ مِنْ سابقين ورُزَّح

فمِنْ حائزٍ نُعمىَ أبيهِ وأُمِّهِ
إلى خاسرٍ رِفْدَيْهِما أوْ مُطرَّحِ

ومَنْ يلْقَهمْ يلْقَ الحياةَ كأنها
حَبتْ طِفْلةً مِنْ مَهْدِها المترجِّحِ

جلال الموت

أرى في جلال الموت أنْ كانَ صادقاً
جَلالةَ حقٍّ لا جَلالةَ باطلِ

فلا تجعلنَّ الموتَ حُجَّةَ كاذبٍ
لِمِدْحةِ مذمومٍ ورِفعةِ سافلِ

المعروف والمنكر

كلُّ ما تصنعُ الحياةُ يُرَجَّى
مِنْ بَنِيها قَبُولُهُ واغْتِفَارُهْ

فإذا أنكروا قبيحاً ففي القُبْحِ مِنَ الموتِ لَوْنُهُ أوْ شِعارُهْ

ذاكَ لُبُّ اللبابِ في كلِّ رأيٍ
شَطَّ بالفكرِ أوْ تدانَى مَزَارُهْ

رأي واحد

في وضعين مختلفين

زعمــوا الانسانَ قِرْداً
قَــدْ تَرَقَّى وتَحَلَّى

وأُناسٌ يزعمـــون الـ
ـقِرْدَ إنســاناً تَدَلَّى

هُوَ رأيٌ واحــدٌ نَقْـ
ـلِبُــهُ عُلْواً وسُــفْلاً !

تعريف موجز بزعيم (مدرسة الديوان):

عباس محمود العقاد

(١٣٠٧هـ - ١٣٨٤هـ)

(١٨٨٩م - ١٩٦٤م)

ولد في (أسوان) بأعلى صعيد مصر، ودخل (الكتاب) ثم المدرسة الابتدائية (القديمة)[1] فنال شهادتها، ولم يكمل دراسة رسمية بعد هذه المرحلة، واتجه إلى ميدان العمل فالتحق بإحدى الوظائف ولم يلبث أن هاجر إلى (القاهرة) بحثا عن مستقبل أفضل وكان حاد الذكاء شغوفا بالقراءة، وله ميل عظيم للعلم والأدب فأخذ ينهل من مناهل الثقافة في العاصمة، ويتعرف على رجالها ويتردد على مواطنها، من (دور كتب) و(صحافة) و(منتديات)، ويقرأ ويتزود حتى نضجت مواهبه، واكتملت شخصيته العلمية والأدبية، وهو يعمل لرزقه تارةً (بالتدريس)، وتارةً (بالتحرير) في الصحف، وأخذ ينشر شعره ومقالاته الأدبية في (المجلات) ويطبع (دواوينه) و(كتبه). فهو (عصامي)[2] علّم نفسه بنفسه، مثل كثير من نوابغ عصره، كالشاعر (أحمد محرم) والأديب (مصطفى صادق الرافعي)، وقد درس (اللغة الإنجليزية) وتضلّع في آدابها،

---

(١) توازي الآن المدرسة الإعدادية

وأوتي موهبتي (الشعر والكتابة)، وكادتا تتعادلان عنده، إلا أن (الكتابة) غلبت عليه آخر الأمر.

وله عدة دواوين شعرية، أما كتبه فبلغت العشرات في الأدب والفلسفة والتاريخ والفنون المختلفة والتراجم والسياسة وله سلسلة (العبقريات الإسلامية) وكتب أخرى في الدفاع عن الإسلام وفي نصرة قضايا اللغة العربية، وفي النقد الأدبي كما سبق أن نوهنا، وكان في شبابه عنيف الخصومة، وقد خاض معارك مع أدباء عصره، ومع خصومه السياسيين، وكان جريئاً في الحق، وفي مجابهة الظالمين من الملوك والحكام المستبدين، وقد أدت به آراؤه الحرة ومقالاته النارية ضد (الملكية) إلى السجن، فرحب به في سبيل مبادئه ووطنيته، وبعد خروجه من السجن استأنف نشاطه الأدبي في ثقة وتمكن وطارت شهرته في الآفاق وتأثر به جيل من الأدباء الشبان في (مصر) وخارجها، وكرمته الدولة في أخريات حياته فنال جائزتها التقديرية في الأدب كما نال عضوية (المجمع اللغوي) ورئاسة لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب، وكان شديد الوطأة على أصحاب حركة (الشعر الحر) شديد النكير على اتجاههم الذي اعتبره هدماً للشعر العربي، وعجزاً

عَنِ اسْتِيعَابِ (مُوسِيقَاهُ) الفَرِيدَةِ فِي الأَوْزَانِ وَالقَوَافِي (والعقادُ) بِكُلِّ مَا تَقَدَّمَ عَلَمٌ بارزٌ مِنْ أَعْلامِ الأَدَبِ فِي العَصْرِ الحَدِيث وشخصيةٌ فذَّةٌ، وأديبٌ أَسْهَمَ بِشِعْرِهِ ونثرِهِ وآرائِهِ النَّقْدِيَّةِ فِي نَهْضَةِ الأَدَبِ والثَّقَافَةِ والفِكْرِ فِي العالَمِ العربيِّ، وكانتْ دَارُهُ بالقَاهِرَةِ مَقَرًّا (لِصالُونٍ أَدَبِيٍّ) تُقَامُ فِيهِ النَّدَوَاتُ وَيَؤُمُّهُ تلاميذُهُ ومُرِيدُوه، للاستفادةِ والاغترافِ مِنْ عِلْمِهِ الغَزِيرِ، وَتَوْجِيهَاتِهِ القَيِّمَةِ.

وَمَدَّ اللهُ فِي أَجَلِهِ حَتَّى قَارَبَ الثَّمَانِينَ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى الوَفَاءِ لِمَبَادِئِهِ، مُشْتَعِلَ الذَّكَاءِ، مَوْفُورَ العَطَاءِ، حَتَّى انْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ مَوْلاهُ عَامَ أَرْبَعَةٍ وثمانينَ (١٣٨٤هـ) وثلاثمائةٍ وألفٍ مِنَ الهِجْرَةِ المُوَافِقِ لِعَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وتسعمائةٍ وألفٍ (١٩٦٤م) مِنَ المِيلادِ. رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

الفصل الخامس
النثر فى العصر الحديث

(تمهيد)

ذكرْنا فى (الفصل الثانى) من هذا الباب : عوامل نهضـــةِ الأدب شعرِهِ ونثرِهِ فى العصر الحديث ، وأتْبَعْنا ذلك بدراسة عن الشعرِ والشعراءِ فى هذا العصر .

والآنَ جاء دَوْرُ (النَّـثْرِ) لنتعـرَّفَ (أوَّلاً) علـى أحْوالِـهِ وأنواعِهِ ، وظواهرِ نهْضتِه ، ولنتعـرَّفَ (ثانيـا) علـى أشـهر المبْدعين فيهِ وأنماذجَ من آثارهم ، مُجْتَزِئينَ فى (هذا) بـالقليلِ الذى سمحَ به الوقت ، وأتاحتْه الظروف ، آملين وَرَاجينَ فى اللهِ عزَّوجَلَّ أن يَهَبَنا مِنْ فضلِهِ ونعمتِهِ مَا نُكْمِلُ به الحديثَ عن هـذا الجانب الزَّاخرِ بأساطينِ النثرِ فى هذا العصْرِ فى شتَّى مَنَاحيـهِ الحافلةِ ، وجوَانبِهِ المتعددة .

١- أنواع النثر :

للنثر نوعانِ رئيسان هما :- (★)

١- (الخَطابة) وتدخُلُ فيها (المُحَاضَرَة) .

٢- (الكتابة) ، ولكلٍّ منهما ألوان : فمِنْ ألْـوَانِ الخطابـةِ : الخطابةُ (الدينيةُ) ، والخطابـةُ (السياسـيةُ) ، والخطابـةُ (الاجتماعيةُ) .

ومن ألوان الكتابة :(المقالةُ الأدبيَّةُ) و(المَقَالةُ الصَّحافيَّةُ) و(القِصَّة) و(المسْرَحيَّة) .

٢ - أحوال النثر :

أ - كانَ النثرُ فى(فجْرِ العصْـرِ الحَديـثِ) مُتـأثِّرًا بِنَـثْرِ (العَصْرِ العُثْمَانِيِّ) مُشْبِهًا إيَّاهُ فى كَثِيرٍ مِنْ خَصَائِصِـهِ كـالْتِزَامِ (السَّجْعِ) وتحْلِيَتِهِ بأنواعِ البديعِ الأخرى ، وَقَصْرِهِ علـى أغـراضٍ مَحْدُودَةٍ من الإخوانياتِ والأوْصافِ وشِبْهِهَا ، هذا شأنُ نثرِ جِيلِ فجْرِ العصْرِ الحَدِيثِ .

(★) تتميّز (الخطابة) بالتدفّق وحدّة العاطفة وإثارة المشاعر. أما (المحاضرة) فتتّسم بالهدوء والتأنّي ومخاطبة العقل.

ب – وتلا هؤلاءِ (جيلٌ وسطٌ) كتبَ فِى أولِ أمْرِه كمَا كتبَ السّابقون المعنِيُّون(بالسَّجْع)والبَدِيع وتكلُّفِهمَا ، ثم تخلّص(بَعْدَ مُدّةٍ) من الأسْلوبِ (المسْجُوع) واختارَ(الأسلوبَ المُرْسَلَ) والمُتحَرِّرَ من المحسنات البديعيّة إلاّ مَا جَاءَ عَفْوَ الخَاطِردونَ تكلّفٍ ولا قصْد ولا تَصنُّع ٠

ج – ثم جاء (الجيلُ الثَّالثُ) الذى تحرّر فيه الكُتَّابُ تماماً من السجْع والمحسِّنات جُمْلةً، وكتبوا بأسلوبٍ جديدٍ سهلٍ ، يتوخَّى الوضوحَ والإفْهامَ ويجعلُ المعنَى فى المقَامِ الأوَّلِ ، ومع ذلك يحتفظُ بطلاوةِ الأسلوبِ وجمالِ الصياغةِ ونَصَاعةِ الفِكْرةِ وقوةِ الترابطِ بين أجْزاء الموضوعِ وعناصِرِه ٠

٣– أعلام النثر :

وأعلام النثر كثْرةٌ كاثِرةٌ ، نجْتزئُ هنا بذكر(أشهرهم) فى المراحل الثلاث ، مُتْبِعينَ ذلك بترجمةٍ لأفرادٍ منهم ، وعَرْضِ شىءٍ منْ نِتاجِ أفكارِهم، وروائعِ آثارِهم ٠

- فمِنْ أعْلام الجيلِ الأوَّلِ : (حَسَنٌ العطّار) و(رفاعةُ رافع الطهطاوى) و(الشيخ محمد شهاب) و(عبدالله فكرى باشا) و(عبدالله النديم) والشيخ (نصيف اليازجى) و(أحمد فارس الشدياق) ٠

- ومِنْ أعلام الجيلِ الثانى : الشيخُ (محمدٌ عبده) والشيخ(سيدٌ المرصفىّ) و(عبدُالعزيزِ جاويش) و(السيدُ مصطفى لطفى المنفلوطىّ) و(مصطفى صادق الرافعىّ) و(حفنى ناصف) والشيخ (علىٌّ يوسف) ٠

- ومن أعلام الجيل الثالث (عباسٌ محمود العقاد) و(ابراهيمُ المازنىّ) و(زكىٌّ مبارك) و(عبدُالعزيزِ البشرىّ) و(محمودٌ

محمد شاكر) و(سعيدٌ العريان) و(فكريٌّ أباظة) و(عبدُالحليم محمود) و(محمدٌ متولى الشعراويّ) .

وأما أشهر (الخطباء) فى العصر الحديث ويُلْحق بهم (المُحاضِرُون) فهم : السيد (جمالُ الدين الأفغانيّ) والإمام(محمدٌ عبده) والسيدُ (عبدالله النديمُ) والزعيمُ (مصطفى كامل) وخليفته فى الجهاد (محمدٌ بك فريد) وزميلهما (الشيخُ عبدالعزيز جاويش) والزعيمُ (سعدٌ زغلول) والشيخُ المصلح (حَسَنٌ البنا) والأستاذ الشيخ (أحمدُ حسنٌ الباقوريّ) ـ والصحافيّ الشهيرُ (فكريّ أباظة) والإمامُ الشيخ (محمدٌ مصطفى المراغيّ) والإمامُ (عبدالحليم محمود) والأستاذ الداعية (محمدٌ الغزاليّ) وإمام الدعاة الأستاذ الشيخ (محمدٌ متولى الشعراويّ) .

<u>من أعلام النثر :</u>

١- رفاعة بك رافع الطهطاوى(١)

من كلام له فى حب الوطن :

إنَّ حبَّ الوطنِ من الإيمانِ ؛ ومِنْ طَبْعِ الأَحْرَارِ إِحْرَازُ الحَنينِ إلى الأوطانِ . وَمَوْلِدُ الإنسانِ عَلَى الدوام محبوبٌ ، ومنشؤهُ مألوفٌ له ومَرْغوبٌ . وَلأَرْضِكَ حُرْمَةُ وَطَنِهَا ، كما لوالديكَ حَقُّ لبَنِهما . والكريمُ لا يَجْفُو أرضًا بها قَوابِلُهُ (٢) ، ولا يَنْسَى دارًا فيها قبائِلُه . فإنِّي وَإِنْ ألْبَسَتْنِي (المحروسةُ(*))نِعَمًا ، وَرَفَعَتْ لى بين أمثالي عَلَمًا(٣) . وكانتْ أُمَّ الوطنِ العامِّ ، ووليَّةَ الآلاءِ والإِنعام . وَأُحِبُّها حُبًّا جَمًّا ، لأنها وَليّةُ النَّعْمَاءِ .

---

(١) ولد الطهطاوى مدينةً بسوهاج وُرُبِّيَ بالأزهر وفرنسة وشغل مناصب تعليمية وسواها وألف عدة كتب وهو على الجملة من أول بناة النهضة الحديثة فى العلم والأدب . وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ .

(٢) القوابل : جمع قابلة وهى المرأة التى تتلقى الولد عند ولادته . ★ المحروسة : القاهرة .

(٣) العَلَم بفتحتين : الراية ـ يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

وقضيتُ فيها الأربعين مجاورا
كرامَ السجايا والبحورَ الطواميا (★)

فلا زلتُ أتشوّقُ إلى وطني الخصوصي وأتشوّفُ (١)، وأتطلعُ إلى أخبارِه السارةِ وأتعرّفُ . ولا أساوي (بطهطا) الخصبةِ سواها ، في القيامِ بالحقوقِ وإكرام مثواها .

منازلُ لستُ أهوى غيرَها سُقيتْ
حَيًا يَعُمُّ وخُصَّتْ بالتحياتِ (٢)

وأمنحُها زمنًا بعد زمنِ الزيارةَ وأجدّدُ فيها من هبات الحكومةِ العمارةَ، وأبذلُ في محبّتِها النفيسَ لتحصيلِ الأراضي للزرعِ والغرسِ، وافتخرُ بها كما افتخرَ (عصامٌ) بالنفس (٣) وأنشدُ قول (الحافظ كمالِ الدين الأدفوي) :

أحِنُّ إلى أرضِ (الصعيدِ) وأهلِه
ويزدادُ وجدي حين تبدو قبابُها
وتذكرُها في ظلمةِ الليلِ مهجتي
فتجري دموعًا إذ يزيدُ التهابُها

٢- الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده :

: هو الشيخ الجليل والعالم المصلح الأديب (محمد عبده بن حَسَن بن خَيْرِ الله) ولد في قرية (مَحَلةِ نَصْر) ، إحدى قرى محافظةِ (البُحَيْرة)، لأبوين صالحيْن ، وقد عُنِيَ والده بتربيته فأحضرَ له مَنْ عَلَّمَهُ القراءةَ والكتابةَ وحفّظَهُ القرآنَ الكريم ،

(★) أعني الأزهر الشريف مع علمائه الذين امتازوا بكريم الصفات مع التبحّر في العلم

(١) تشوّف إلى الشئ : تطلع إليه .

(٢) الحيا : المطر . يدعو لها بالخصب .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

نفسُ (عصامٍ) سوّدتْ عِصامَا .. وعلّمتْهُ الكرَّ والإقداما
وصيّرتْهُ مَلِكًا هُمامـا

ونشأه أبوه على الفروسية وعلّمه ركوبَ الخيل فكان بارعا فيها ،وتوسم فيه أبوه أكثر من ذلك فرجّى أن يكون من العلماء النافعين لأنفسهم وأهليهم وأوطانهم فأرسله وهو فى الثالثة عشرة من عمره إلى مدينة (طنطا) لتجويد القرآن الكريم على بعض مشايخها فلما تحقق له ذلك ألحقه بالمعْهدِ الأحمديّ ليدرسَ العلوم الأزهرية من دينيه ولغويه . ولكن طريقة الدّراسة فى هذا المعهد لذلك الوقت كانت عقيمة ملتوية فلم يتجاوبْ معها وعادَ إلى القرية في شِبْه يأس، فزوّجه والده ثم حفّزه أبوه على أنْ يسلكَ طريق العِلم مرة أخرى فاستجابَ وشد الرِّحال إلى (طنطا) وفى طريقه عرّج على بعضِ أقاربه من أخوال أبيه ومنهم الشيخ (درويشُ خضر) الرّحّالة المتصوّف، ففتّح بصيرته على أمورٍ كثيرة نافعة وتجاربَ مفيدة وشحَذَ همته ليكونَ من قادةِ هذه الأمه وأوصاهُ بالصبْر والجَلد فى طريق العلم والمعرفة . كما أوصاه بطلبِ كلّ جديدٍ نافعٍ من العلومِ والمعارف، وانتقلَ الطالبُ (محمدُ عبده) من (طنطا) إلى (القاهرة) ليدرسَ فى (الأزهر) كعْبةِ العلوم ومثْوَى كبار العلماءِ فانتظمَ فى سِلْك طُلابِهِ بروحٍ جديدة وجِدٍّ واجْتهاد .

أساتذته :

ومِنْ أشهرِ أساتذتِهِ الذين تأثّرَ بهمْ .. الشيخُ (حسنُ الطويل) من خيرةِ علماء الأزهر الشريف فى ذلك العصر . وناهزَ الطالبُ (محمد عبده) سنّ الثلاثين ولم يحصلْ على (الشهادةِ العالِميّة) بَعْدُ بسبب السّنين التى ضاعتْ منه أولَ طلبه للعلم عندما كان فى مرحلةِ التردّد والحَيْرة والرغبةِ فى حياةِ الريفِ الوادعةِ والزّواجِ والفروسيّة، وإذْ بانقلابٍ كبيرٍ يحدثُ فى حياة محمد عبده بوفودِ حكيمِ الشرقِ وفيلسوفِ الإسلام (السيد جمال الدين الأفغانى) إلى مصر عام ١٢٨٨هـ الموافقَ لعام ١٨٧١ م فى أواخرِ عهد (إسماعيل) والتفافِ المفكرينَ وصفوةِ الناسِ حوْلَه يسمعونَ منه الجديدَ فى النّهْضةِ والإصلاح الوطنيّ والدينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ ووجوبِ الثورةِ على الأوضاع الفاسدةِ فى

(العَالَم الإسْلاميّ) مِنْ حُكْمٍ فاسِدٍ واسْتعمارٍ جَائِرٍ والعملِ على جَمْعِ شملِ الأمةِ الإسلاميةِ فى بيانٍ مُشرقٍ وفصاحةِ لِسانٍ وجُرْأةِ جَنان. فكان(محمد عبده)وَاحِدًا مِنْ هَـؤلاءِ المُلْتَفّيـنَ حولَـهُ المعجَبيـنَ بطريقتِهِ المنتفعينَ بنهْجِهِ وأُسْلوبِهِ فلازَمَهُ وتبادلَ معَـهُ الحديـثَ والرأىَ والحِوار . و(جمالُ الدينِ)مَسْرورٌ بِـهذا الطـالبِ النّـابغِ النّاضجِ وازدادتْ الصِّلةُ وتعَمّقتْ حتى صَارَ(محمد عبده)أقْـرَبَ الناسِ إليه وأحَبّهمْ إلى نفسه وارتفعَ من مَرْتَبَةِ التلْمَذَةِ إلى مَرْتَبَـةِ الأُخُوّةِ والصّداقةِ ونفخَ(جمالُ الدين)مِنْ رُوحِهِ العظيمِ فى تلاميذه وفـى مقدمتـهم(محمـد عبـده)ومنـهم (محمـود سـامى البارودىّ)و(عبْدالله النديم)،و(أحمدُ عُرابى) ـ فصَـارُوا شُعَـلاً مضيئةً لوطنِهم يدعون للنهضةِ والوطنيةِ والشُّورَى؛ يكتبون فـى الصُّحف ويخطبون فى المجامع متعلقين بشريفِ المعانى ومعالى الأمورِ بعيدين عن زخارفِ اللفظ والمحسناتِ،ومكثَ(جمال الدين) فى مصر سَبْعَ سِنِينَ ناهضًا برسالتِهِ مُوَجِّـهًا لتلاميـذه فخـاف (الإنجليز) هذه الروحَ التى تسرى فى البلاد أنْ تمحقَ ونفوذَهم ونفوذ الأجانبِ الذى كان قد زاد بسببِ الدُّيُونِ التى اقْتَرَضَـها(إسـماعيل) من الأجانبِ وأوْجَدَ لهمْ الذريعةَ للتدخل فى شئون مصر فَأوْعَزَ هؤلاءِ للخديو(توفيق)بنفْيِه إلى خارجِ(مصر) وتمّ لهم ذلك فى عام ١٢٩٦ هـ ـ ١٨٧٨ م فغَادَرَهَا إلى(الهِنْدِ) بَعْدَ أنْ وَضَعَ فيـها بذورَ النهضةِ وأيقظَهاَ مِنْ سُباتٍ عميقٍ وَقَبْلَ نفْيِهِ بعَامٍ كان تلميذُهُ وَصَدِيقُهُ " محمدٌ عبده " قَدْ حَصَل عَلَى(الشـهادةِ العالِمِيـّة) مِـنَ الأزهر فى سِنٍّ يناهزُ الخمسةَ والثلاثين،واشتغل بـالتدريس فـى الأزهرِ وفى خارجه وبالتأليفِ وكتابةِ المقالات فى الصُّحُفِ وَمَعَ أنّ الشيخَ (محمدًا عَبْدَهُ) كانَ حديثَ التخرّج عندمَا أُخْرِجَ أستاذُهُ مِنْ(مصر) إلّا أنهُ كانَ ذا شخصيةٍ عِلْمِيَّةٍ واجتماعيةٍ مَرْمُوقه فكانَ فيهِ العَزَاءُ لِجَمَالِ الدّين بَعْدَ تَرْكِهِ مِصْرَ فقالَ لمودِّعيه .

" تَرَكْتُ لكمْ الشيْخَ(محمدًا عبده)وَكفَى بِهِ لمصْرَ عَالِما " ثُـمَّ عُيِّنَ مدرسًا للتاريخ فى مدرسة(دار العلوم)ومدرسًا للغةِ العربيـةِ وفروعها فى (مدرسةِ الألْسُنِ) ورئيسًا لتحريرِ جريـدةِ(الوقـائع

المصرية) وهى الجريدةُ الرسميةُ للدّولة . ولمّا شبّت (الثورةُ العُرَابيّة) وهي ثورة تحريرية تتفقُ مَعَ مبادئِ جَمالِ الدينِ الأفغانى ومدْرستهِ شَارَكَ فيها (محمدٌ عبده) مشاركةً فعّالةً منصرًا لمصرَ والمصريّين ضدّ الخديو الظالمِ والنفوذِ الأجْنبيّ ولما انتهتْ هذه الثورة بالإخفاقِ ودخولِ (الإنجليز) مصر قبضوا على الشيخِ وحُوكِمَ وحُكِمَ عليه بالنفْيِ خارجَ (مصر) واختارَ (سُوريَّا) وأقام بها عدة سنوات قامَ فيها بالتدريسِ فى كُبْرَيَاتِ مدارسها وبالتأليفِ فشرح كتابَ (نهج البلاغة) ومقاماتِ (البَديع الهمذانىّ) وقد استدعاهُ أستاذهُ وصديقُهُ (جمالُ الدين الأفغانىّ) إلى (باريس) فرَفَعَا لوَاءَ الجهادِ لتحريرِ العالَمِ الإسْلاميّ فى قلبِ (أوربا) وأصْدَرَا مجلةَ (العُرْوَةِ الوُثْقى) . التي كانتْ تُقرأ فى شتّى أنحاءِ البلادِ الإسلامية فكانتْ قذًى فى عُيُونِ المستعمرينَ وَشَجًى فى حُلُوقِهِمْ فحاربُوها بكلّ سبيل حتى تمكنوا من إيقافِها بعْدَ صُدُور (ثمانيةَ عشرَ عَدَدًا) مِنْ أعْدادِها الرّائِعةِ الفريدة .

العودة إلى مصر وفى عام ١٨٨٨ م بعد مرور ست سنوات من الغُرْبَةِ فى سبيل اللهِ والوطنِ سَعَى بعض عَارِفِى فَضْلِهِ فى مصر عند أولى الأمر فسَمَحُوا له بالعودَةِ إلى الوطن ورأوْا أنْ تنتفع البلادُ بعلمِهِ ومواهبِهِ فَعُيّنَ فى (القضاءِ الأهْلِيّ) مستشارًا فى محكمةِ الاستئناف . مع اشتغاله بالقضايا العامّةِ وبخاصّةٍ مسائلُ التعليم فعُيّنَ عضوًا (بمجلس إدارة الأزهر) وكانت فرصةً له ليُسْهِمَ بأفكارِهِ العظيمةِ النيّرَةِ فى إصلاح هذا المعهدِ العتيد والعتيق ثم لم يلبثْ أنْ عُيّنَ (مُفْتيًا للديارِ المصْرية) عام ١٣١٧ هـ ـ ١٨٩٩ م فكان نِعْمَ الاختيار، وكانتْ له فتاوَى باهرةٌ جمعتْ بين فِقْهِهِ الواسع وعقْلِهِ الراجح وتفكيرهِ السّليم وشدةِ تمسُّكِهِ بنصرةِ الإسلام فى العالمين مع قيامه (بالتدريس) فى الأزهرِ لمريديه بتفسير القرآنِ الكريم الذى تلقّاهُ عنهُ وَدَوّنَهُ تلميذُهُ وصديقُهُ الشيخ (محمدٌ رشيدُ رِضَا) وكانَ يَنْشُرُهُ فى (مَجلةِ المنَارِ الإسلاميّ) كما قامَ بشرح كتابيْ (دلائلِ الإعْجَازِ) و(أسْرَارِ البلاغةِ) لعبدِ القاهرِ الجُرْجَانِيّ) وَعَمِلَ على إنشاءِ الجمعيةِ الخيريّةِ

الإسْلاميّةِ التى كان لها مجالٌ واسعٌ فى نشْرِ العِلمِ وإنشاءِ المدارسِ النموذجية ومعاونةِ فقراءِ المسلمين فى شتى المجالات، فَضْلا عن كتاباتِه فى كُبْرَياتِ الصُّحُفِ فى الشئونِ العامةِ وفى الرّدِّ على أباطيلِ المسْتَشْرِقينَ ولاسيما المستشرقُ الفرنسىُّ " (جبرائيل هانوتو) الذى ادعى أن الاسلام مُناقِضٌ للمدنيّة فأفْحَمَهُ الشيخُ وهَزَمَهُ بالحُجّةِ الدامغةِ وانتصَرَ لدينِهِ وأمّتِه.ومازال قائما برسالتِهِ السّامِيَةِ فى الافتاءِ والتدريسِ والتأليفِ والمشاركةِ فى الحياةِ العامّةِ بآرائِهِ الإصْلاحيةِ حتىّ توفاهُ اللهُ عام ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م فبكَتْهُ الأمةُ الإسلاميةُ بأسْرِها وَأبّنَهُ الشعراءُ والكُتّابُ وخَلّفَ ذِكْرى حَسَنةً وَسيرةً حافلةً خَالِدَةً وقُدْوةً صَالِحَة بَاقِيَة •

* – شَخْصيّتُهُ العِلْمِيّة :

إلى جانب ما حصّله فى الأزهر من علومٍ أساسية قَرَأَ كثيرا وثَقّفَ نفسه بالإطلاع المتواصل ، وتعلم(اللغةَ الفَرَنْسِيّة)واطلع على ما عند(الأوربيين)من ثقافات فاكتملتْ شخصيتُهُ ومارسَ التدريسَ والكتابةَ فى الصُّحف فازدادَ صَقْلاً ونُضْجًا وشارك فى الحياتيْن السياسية والاجتماعية فأصبحَ من الرجالِ القلائلِ الذين احتلّوا موقعَ الرِّيادة فى أمّتِهمْ ومكانَ الثقةِ والتبجيلِ.هذا بالاضافة إلى عقلٍ راجحٍ وذكاءٍ متوقّدٍ وبديهةٍ حاضرةٍ وجُرْأةٍ فى الحَقّ وغيْرَةٍ عليه وإعتزازٍ بالشخصيةِ والكرامةِ وعِزّةِ العلماءِ ونزاهةِ الأتقياءِ وطارتْ شُهْرَتُهُ فى العالَمِ الاسلاميِّ بل والأوربيِّ مقرونةً بالتبجيلِ والتعظيم •

– شَخْصيّتُهُ الأدبيّةُ وَأثرُهُ فِى النّثْرِ فِى العصرِ الحَديث

أ – مولفاته :

١ – رِسَالةُ التّوْحِيدِ التى مِنْها النّصُّ المُخْتَارُ من نثره •

٢ – تفسيرُ جُزْءَىْ(عَمَّ ، وَتَبَارَك)

٣ – تفسيرُ سورةِ(البقرةِ وآلِ عِمْرَانَ والنّسَاءِ)بطَرِيقَةٍ فَذّةٍ وَقدْأكْمَلَ تَفْسِيرَ القُرْآنِ عَلىَ نَهْجِهِ(تلميذُهُ الشيخُ (محمدٌ رشيدٌ رِضَا) صاحبُ مَجَلّةِ(المَنَار) •

٤ - شَرْحُ كتابِ (نهج البلاغة) وهو كتابٌ نفيسٌ جمع فيه (الشريفُ الرَّضِيُّ) الشاعرُ العباسيُّ خُطَبَ جَدِّهِ أميرِ المؤمنين (علىِّ بْنِ أَبِى طالبٍ) وَيُعَدُّ هذا الكتابُ مَعَ شَرْحِهِ مِنْ أَفْضَلِ الكُتُبِ لتكوينِ الأديبِ •

٥ - شَرْحُ مقاماتِ (البديع الهَمَذانِىّ) وهو أيْضًا مِنَ الكُتُبِ الطريفةِ التى تُكَوِّنُ الأديبَ •

٦ - أَلَّفَ كتابَ (العِلْم وَالمَدَنِيَّةِ فِى الإِسْلَامِ والنَّصْرانِيَّة) وفيه الردُّ عَلَى أباطيلِ المستشرقين •

٧ - مقالاتُهُ فى (العُرْوَةِ الوُثْقَى) •

٨ - مقالاتُهُ فى (جريدةِ الوقائعِ المِصْرية) •

٩ - (فَتَاواهُ) الفريدةُ فى شتى شئون المسلمين رَدًّا على ما كان يَرِدُ عَلَى دارِ الإِفْتَاءِ فِى عَهْدِهِ مِنْ داخِلِ (مِصْر) وَخارِجِهَا • رضى الله عنه •

١٠ - خُطَبُهُ الكثيرةُ فى شَتَّى المواقِفِ التى نُشِرَ بَعْضُهَا فِى الصُّحُفِ لعهده والتى لوْ جُمِعَتْ كلُّها لكانتْ فِى عِدَّةِ مجلدات •

ب - أسلوبه :-

مَرَّ إسلوبُ الشيخ (محمدٍ عبده) بثلاثِ مَرَاحل :-

المرحلة الأولى : لأوّلِ عَهْدِهِ بالكتابةِ وَقَبْلَ حضُورِ (جمالِ الدينِ الأفغانىّ) إلى مصرَ وكانَ يلتزمُ السجْعَ فى كتاباتِهِ مِثْلَ كُتَّاب عَصْرِه •

المرحَلَة الثانيةُ : بَعْدَ لِقائِهِ بجمالِ الدين الأفغانى وتأثُرِهِ بأسلوبِهِ الحُرِّ المُرْسَلِ وإعْجَابِهِ بِهِ فبدأ يُخَفِّفُ مِنْ السَّجْعِ ولا يلتزمُ بِهِ فكان إسلوبُهُ مزيجًا من السجْعِ والتَّرَسُّلِ ويمثل هذِهِ المرحلة النصُّ المختارُ •

المرحَلَةُ الثالثةُ بعد توليتِهِ رئاسةَ تحريرِ جَريدةِ الدولةِ " الوقائع المصرية " فقد اسْتَقَرَّ إسلوبُهُ على الترسُّلِ وعَدَمِ القَصْدِ إلى

السّجْعِ إلّا ما جاءَ عفْوَ الخاطِرِ غيْرَ مُتكلَّفٍ وفى حُدُودٍ بالِغةِ القِلّة واسْتَمرّ على ذلكَ إلى آخِرِ حَياتِه .

وَالشّيْخُ بالمرْحلتيْنِ (الثّانيةِ والثّالثة) كانَ رَائدًا لِكُتّابِ عصْرِهِ فَأَخَذُوا فِى السّيْرِ على نَهْجِهِ حتى تَخَلّص (النثرُ الحَدِيثُ) مِنْ أوْضَارِ السّجْعِ وسائرِ المُحَسّناتِ البديعيةِ كما أنه دعا تلاميذه صَراحةً إلى النهْجِ الأخيرِ الذى ارْتَضَاهُ لنفسِهِ وهُوَ التحرُّرُ والترَسُّلُ فى الأسلوبِ وَنَبْذُ السّجْعِ والمُحَسّناتِ إيثارًا للوُضُوحِ فى المَعانى وخِدْمَةً للأهْدافِ المَوْضُوعيّةِ فِى الكِتابةِ والخَطابةِ فاستجابُوا له وفى مقدّمتهمْ (المنفلوطىّ) وَ(الخُضَرِىّ) فى (الكِتابَة) و(سَعْدُ زغلول) ، و(محمدُ مصطفى المراغىّ) فى (الخَطابَة) كذلكَ تلاميذُهُ فِى الأدَبِ بِعامّة كالشيْخ (عَبْدِالعَزِيزِ البِشْرىّ) ، وَ(مُصْطفَى صادِقِ الرّافِعىّ) و(حافِظِ إبراهيم) و(أحمدَ حسن الزيات) ، وعشراتٍ بل مئاتٍ مِنْ أنْدادِهِمْ مِنْ أدباءِ العَصْرِ الحَدِيث .

أنموذج من النثر
للشيخ / محمد عبده

من قطعة وردت في كتابه (رسالة التوحيد) عن القرآن الكريم وإعجازه "

" نزل القرآن الكريم في عصر اتفقت الرواة ، وتواترت الأخبار على أنه أرقى الأعصار عند العرب ، وأغزرها مادة في الفصاحة وأنه الممتاز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطابة،وأنفس ما كانت العرب تتنافس فيه من ثمار العقل ونتائج الفطنة والذكاء هو الغلب في القول ، والسبق إلى إصابة مكان الوجدان من القلوب ومقر الإذعان من العقول وتفانيهم في المفاخرة بذلك مما لا يحتاج إلى الإطالة في بيانه . تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها لإبطال دعواه وتكذيبه في الإخبار عن الله ، وإتيانهم في ذلك على قدر إستطاعتهم وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته ، والأمراء الذين يدعوهم السلطان إلى مناوأته ، والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته وقد اشتد جميع أولئك في مقاومته ،وانهالوا بقواهم عليه استكبارا عن الخضوع له وتمسكا بما كانوا عليه من أديان آبائهم وحمية لعقائدهم وعقائد أسلافهم،وهو مع ذلك يخطئ آراءهم ، ويسفه أحلامهم ، ويحتقر أصنامهم ،ويدعوهم إلى مالم تعهده أيامهم ، ولم تخفق لمثله أعلامهم ولا حجة له بين يدي ذلك كله إلا تحديهم بالاتيان بمثل أقصر سورة من ذلك الكتاب أو بعشر سور من مثله وكان في استطاعتهم أن يجمعوا إليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليأتوا بشيء من مثل ما أتى به ليبطلوا الحجة ويفحموا صاحب الدعوة،جاءنا الخبر المتواتر أنه مع طول زمن التحدي ولجاج القوم في التعدي أصيبوا بالعجز ورجعوا بالخيبة وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام .

أُنْمُوذَجٌ آخَرُ مِنْ نَثْرِهِ الأَدَبِيّ

[مَأْخُوذٌ مِنْ كِتَابِ (المُنْتَخَبِ مِنْ أَدَبِ العَرَبِ]

وَلِلأُسْتَاذِ الإِمَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَبْدُه[1] يَصِفُ كِتَابَ نَهْجِ البَلَاغَةِ[*]:

أَوْفَى لِي حُكْمُ القَدَرِ بِالاطِّلَاعِ عَلَى كِتَابِ (نَهْجِ البَلَاغَةِ) مُصَادَفَةً بِلَا تَعَمُّلٍ. أَصَبْتُهُ عَلَى تَغَيُّرِ حَالٍ، وَتَبَلْبُلِ[2] بَالٍ، وَتَزَاحُمِ أَشْغَالٍ، وَعُطْلَةٍ مِنْ أَعْمَالٍ. فَحَسِبْتُهُ تَسْلِيَةً. وَجَعَلْتُهُ لِلتَّخْلِيَةِ. فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ، وَتَأَمَّلْتُ جُمَلًا مِنْ عِبَارَاتِهِ، مِنْ مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَاتٍ، وَمَوَاضِيعَ مُتَفَرِّقَاتٍ. وَكَانَ يُخَيَّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا شُبَّتْ. وَغَارَاتٍ شُنَّتْ. وَأَنَّ لِلبَلَاغَةِ دَوْلَةً. وَلِلفَصَاحَةِ صَوْلَةً. وَأَنَّ لِلأَوْهَامِ عَرَامَةً[3]، وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً[4]. وَأَنَّ جَحَافِلَ[5] الخَطَابَةِ، وَكَتَائِبَ[6] الذَّرَابَةِ[7].

---

(١) نشأ الشيخ محمد عبده بمحلة نصر من قرى البحيرة، وحفظ القرآن ودرس بالأزهر واتصل بجمال الدين الأفغاني فخرج عالما كاتبا خطيبا حر الفكر، درّس بالأزهر ودار العلوم وشغل مناصب القضاء والإفتاء وله مؤلفات ومقالات دينية واجتماعية وسياسية، توفي سنة ١٣٢٣ هـ.

(٢) تبلبل البال: سوءه واضطرابه.

(٣) عرامة بفتح العين: شدة وشراسة.

(٤) الدعارة بفتح الدال وكسرها: الفجور وسوء الخلق.

(٥) الجحافل: جمع جحفل بفتح الجيم وهو الجيش الكثير.

(٦) الكتائب: جمع كتيبة بفتح الكاف، وهي القطعة من الجيش.

(٧) الذرابة بفتح الذال: الفصاحة.

(*) وَهُوَ مَجْمُوعُ مَا اخْتَارَهُ (الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ) مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الوَصْفُ فِي مُقَدِّمَةِ الشَّرْحِ الَّذِي وَضَعَهُ الأُسْتَاذُ الإِمَامُ عَلَى هَذَا الكِتَابِ.

في عقود النظام، وصفوف الانتظام. تنافخ[1] بالصفيح[2] الأبلج[3]، والقويم الأملج[4]. وتمتلج[5] المهج[6]، بروائع الحجج. وتغل دعارة الوساوس، وتصيب مقاتل الخوانين[7]. فما أنا إلا والحق منتصر، والباطل منكسر. ومرج[8] الشك في خمود، وهرج الريب في ركود. وأن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب)؛ بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد، وتحول المعاهد: تارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية، في حلل من العبارات الزاهية. تطوف على النفوس الزاكية[9]، وتدنو من القلوب الصافية. توحي إليها رشادها، وتقوم منها منآدها[10]، وتنفر بها عن مداحض[11] المزال، إلى جواد[12] الفضل والكمال. وطورا كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة[13]، وأنياب كاشرة. وأرواح في أشباح النمور، ومخالب النسور. وقد تحفزت للوثاب، ثم انقضت للاختلاب. فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون مرماها. واغتالت فاسد الأهواء، وباطل الآراء. وأحيانا كنت أشهد أن

(١) تنافخ: تدافع. (٢) الصفيح: السيوف وأراد بها هنا القرد.
(٣) الأبلج: الأبيض اللامع. (٤) يريد بالقويم الأملج: الرمح المعتدل الأسمر.
(٥) تمتلج: تمتص. (٦) المهج: جمع مهجة بضم الميم وهي دم القلب.
(٧) لعله يريد بالخوانين: ما يجول في النفس من خواطر السوء. (٨) المرج بفتح الراء القلق والاضطراب، وإنما تسكن الراء اذا قرنت بالهرج. والمرج بسكون الراء: الفتنة.
(٩) الزاكية: المطهرة. (١٠) المنآد: المعوج. (١١) المداحض: جمع مدحضة بفتح الميم وهي المزلقة والمزلة. (١٢) الجواد بتشديد الدال: جمع جادة وهي معظم الطريق ووسطه. (١٣) باسرة: مقطبة.

عقلاً نورانياً، لا يُشبه خلقاً جسدانياً . فصل عن الموكب الإلهي[1] . واتصل بالروح الإنساني . تخلّصه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى . ونما[2] به إلى مشهد النور الأجلى . وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس . وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة، ينادي بأعلى الكلمة . وأولياء أمر الأمة . يعرفهم مواقع الصواب، ويبصرهم مواضع الارتياب، ويحذرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طريق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات[3] الرياسة . ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير .

(٣) محمد بك المُوَيْلِحي (١)

كتب من مصر الى (منيف باشا) وزير المعارف فى تركيا يعزيه فى ابنته :

الى الوزيرِ الذى تَنْتعش بنظرةٍ منه عُقَدُ السياسة ، حتى تحلَّ مِنْ شدةِ الارْتِجاف ، والأميرِ الذى ينتعشُ به سُروراً دَسْتُ الرِّياسةِ ، حتى يتِيه على الأسْلاف ، والفيلسوفِ الذى تفرَّعتْ عنه أصولُ الحِكَمِ ، والهُمامِ الذى أعْيا النجومَ أن تباريَه فى علوِّ الهِمَم . والرفيعِ الذى سارتْ عنه أمثالُ المجدِ المؤثَّل ، وانتشر على السُّمّار حديثُ فضلِه المرتَّل .

إلى قُطْبِ الدنيا الذى لَوْ بفضلِهِ . مَدَحْتُ بَني الدنيا كَفَتْهم فضائلُه . . الخ

وقال فى وصف (الصَّباح) من كتابه (حديث عيسى بْنِ هِشام) : (*)

جلسْنا نتجاذبُ أطرافَ الحديث ، من قديمٍ فى الزمان وحديث ، الى أن صارت الليلةُ فى أُخْرَيات الشّباب ، واستبانتْ بالإزار والنِّقاب ، ثم دبَّ المَشِيبُ فى فَوْدِها ، وبانَ أثرُ الوَضَحِ فى جِلْدِها ، فصبَتْ بالعقودِ والقلائد ، من الجواهرِ والفرائد ، ونزعَتْ من صَدرِها كلَّ منثورٍ ومنظوم ، من دُرَرِ الكواكب ولآلِئ النجوم ، وألقَتْ بالفرقدَيْن مِنْ أُذُنها ، وخلعَتْ خواتِمَ الثُّريّا من يديْها ، ثُمَّ إنها مزّقتْ جلبابَها ،

وهذا الكتاب قصةٌ طويلةٌ ذاتُ فصولٍ فى نقد المجتمع ووصف أحواله تأثَّر فيها المؤلف بفنِّ (المقامات) الذى ظهر فى العصر العباسى الثانى فجاءت شبيهةً به من عدة وجوهٍ هى :

١ - اقتباسُ اسمِ بطل المقامات عند (بديع الزمان الهمذانى) وهو (عيسى بن هشام) ليجعله محورًا للقصة وراويًا لها كما هو هناك .

٢ - التزامُه (السجع) فيها مع طولها - لكنه سجعٌ خفيفُ الظل غيرُ مستكرهٍ مما يدل على قوة طبع المؤلف وتمكنه من اللغة والأدب .

٣ - وهمُّه (*) حملُ بعض شرائح المجتمع ونقدُ أوضاعها . بيد أن الوصف هنا كان شاملاً ، بحيث لم يدعْ شريحةً إلا تناولها ونقدها فى تشخيصٍ عميقٍ وإحاطةٍ رائدةٍ وعرضٍ شائقٍ جذاب - والمؤلف بهذه القصة أحدُ الرُّوّاد الكبار للقصّة فى الأدبِ العربىّ الحديث .

---

(١) هو ابن المرحوم ابراهيم بك المويلحى . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكبار أئمة العلم والأدب فى عصره ، وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . ويمتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونصاعة اللفظ ، وتلاؤم النسج ، ومتانة السجع ، وقد أوتى من البراعة فى فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بغباره . وله (حديث عيسى بن هشام) وكان قد نُشِرَ مُنَجَّماً فى جريدة (مصباح الشرق) التى كان يحررها مع أبيه . توفى سنة ١٩٣٠ م .

وهتكت حجابها، وبرزت للناظرين عجوزاً شمطاء، ترتعد متوكئة على عصا الجوزاء، وتردد آخر أنفاس البقاء، فسترها الفجر بملاءته الزرقاء، ودرجها الصبح فى أرديته البيضاء، ثم قبرها فى جوف الفضاء، وقامت عليها بنات هديل، نائحة بالتسجيع والترتيل، ثم انقلب المأتم فى الحال عرس اجتلاء، وتبدل النحيب بالغناء، لإشراق عروس النهار، وإسفار مليكة البدور والأقمار.

وقال فى وصف الأهرام :

وقفنا هناك موقف الإجلال والإعظام، قبالة ذلك العلم الذى يطاول الروابى والأعلام، والهضبة التى تعلو الهضاب والآكام، والبنية التى تشرف على رضوى وشمام، وتبلى ببقائها جدة الليالى والأيام، وتطوى تحت ظلالها أقواماً بعد أقوام، وتفنى بدوامها أعمار السنين والأيام، خلقت ثياب الدهر وهى فى ثوبها القشيب، وشابت القرون وأخطأ قرنها وخط المشيب، ما برحت ثابتة تناطح مواقع النجوم، وتسخر بثواقب الشهب والنجوم، وتحدث حديث المشاهدة والعيان، ما تعاقب القتيان، وتناوب الملوان، عن قدرة هذا الانسان، فى بدائع الصنع والاتقان، وتنبئ عن قوة هذا الضعيف الضئيل، فى إقامة مثل هذا الأثر الجليل، وكيف لهذا الفانى البائد، أن يصدر عنه مثل هذا الباقى الخالد — وجل صنع القدير الخالق، فى تصوير هذا الحيوان الناطق، حيث جعله مصدراً للأعمال المتناقضة، والأفعال المتغايرة المتعارضة، فبينا تراه يصعد إلى أجرام السماء وعوالمها، ويبحث بفكره فى رسومها ومعالمها، ويسير بعلمه فى أفلاكها ومداركها، ويهتدى لحساب أقمارها وكواكبها... الخ

٤- الشَّيْخُ (حسنُ بْنُ أَحْمدَ المرصفِىُّ) الْمتوفَّى عَامَ ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م

التَّعْرِيفُ بِهِ ، دراسةُ نصٍّ نثرِىٍّ له :

مولده غير معروف بالضبط ولكنّ المعلومَ وهو تاريخُ وَفاتِه ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م وبالتقريب وُلِدَ فى أوائل حكم محمد على أى حوالىْ ١٨١٠ م إنه العلامةُ اللغوىُّ الأديبُ المحقِّقُ الشيخ (حسين ابن أحمد المرصفى) وهو منسوبٌ إلى بلدة (مَرْصَفَة) " من قرى (القليوبية) القريبةِ من مدينة (بنها) ولكن الظاهرَ أن أباه أو أحدَ أجدادِه هاجر إلى (القاهرة) فوُلِدَ بها مكفوفَ البَصَر فحفظ القرآن الكريم فى أحد كتاتيبها ثم التحق بالأزهر الشريف فتلقى العلم على يدى شيوخه وكان من المجتهدين المبرِّزين حتى تخرَّجَ فيه والتحق برعيل المدرسين به وكان شغوفا بالأدبِ نثْرِهِ ونظْمِه ولم يركنْ إلى أدبِ عصْرِهِ المتأثرِ (بالعصر العثمانى) الضعيف بل وجَّهَ نظره للأدبِ القديم فى عصُور نهضَتِـهِ الأولى الصافية فذهب يواكبُ أعلامَ البلاغة (كالجاحظِ والمبرد والأصمعي) يتصفح كتبهم وينْهل من دواوينِ كبارِ الشعراءِ القدامى فى العصور الزاهرة (كالعصر الجاهلى وعصر صدر الاسلام والعصرين الأموى والعباسى) وَيرُوضُ قلمَهُ على البيانِ القوىِّ حتى صار من أعلامِ العصرِ الحديثِ ومن أساتذته الكبار وُرُوَّاده العظام إلى جانبَ تدريسَه فى الأزهر وفى مدرسة دار العلوم لأول عهدها فكان من تلاميذه الأديبُ الكبير (حِفْنِى نَاصِف) وَأضْرَابِه .

وأقبلَ عليه الشعراءُ من خارج الأزهر ودار العلوم يأخذون من علمِهِ الفياض ويعرضُون عليه شعرَهُم فَيُرْشِدهُمْ وينقّح نِتاج دواوينهم ويوجِّه أذواقَهُمْ من أمثال (البارودىّ) و(عبدِالله فِكْرى) وكتبَ بعضَ المقالاتِ الأدبية فى مجلة(رَوْضَةِ المدارس) وغيرِها فعمَّ به النفعُ وَعَظُم أثرُه فى نهضةِ العلمِ والأدب .

ومن أعظم كتبه أثرًا في (البلاغة والأدب) .... كتابه (الوسيلة الأدبية) والذي نهج فيه نهجًا جديدا في قضايا البلاغة والأدب فيسّر قضاياهما وأبعدهما عن المماحكات اللفظية والتعقيدات السقيمة* وانتفع بهذا الكتاب أعلام النهضة من أمثال "(شوقي وحافظ والرافعي) ومن نثره : نصٌّ بعنوان "

في التخلق ببعض الأخلاق "

التكبر على المتكبر :

غيرُ خافٍ أنّ التخلقَ بالكِبْرِ والخُيلاءِ والعُجْبِ والتّعظّم على الناسِ بما أفضلَ اللهُ به على الإنسانِ مِنْ عِلْمٍ وجاهٍ ومالٍ • أمرٌ غيرُ حَسَنٍ، لِمَا جُبِلَتْ عليه النفوسُ مِنَ الإباءِ والنّفْرَةِ ممّنْ يتعظّم عليها فما أكثرَ ما يتبدّل حُسْنُ الودِّ والتآلف بأشنَعِ العَداوةِ والتنافر لكنْ لذلكَ موضعٌ يكون فيه حَسَنًا وبيانُه أنّ مِنَ المشاهَدِ كونَ النوعِ الإنسانيِّ محتاجًا في حُسْنِ تَعَيُّشِهِ وتحصيلِ أغراضِهِ إلى ألفةٍ ومودّةٍ وإنصافٍ بأنْ يُحِبَّ المرءُ لأخيهِ مَا يُحِبُّهُ لنفسِه •

فإذا خرجَ بعضُ الناسِ على الجماعةِ وسعَى في الأرضِ بالفسادِ وجب على الناسِ تأديبُهُ بما يُعيدُهُ إلى الصّلاح وربما كان الزهوُ أو التكبرُ عليه أنكَى لهُ وأدْعَى لانحيازِهِ لحَيِّزِ الاستقامةِ كَمَا وَرَدَ أن رسول الله صلى الله عليهِ وسَلم رأى فارسًا مِنْ أصحَابِهِ يَمْشِي بَيْنَ الصّفّيْنِ مُخْتالاً يَميلُ يمينًا وشِمَالاً فقال: « هذه مِشْيَةٌ يَكْرَهُهَا المولَى سبحانه وتعالى إلاّ في هَذا المَوْضِع» فقدْ عَلِمْنَا أنّ للتكبّرِ موضعًا يكونُ فيهِ حَسَنًا " •

((تحليل النص))

الموضوع : يتعلق بالأخلاق وعلاج بعض الأمراض الاجتماعية وهو مرض الكِبْر • والكبر خلق ممقوت متفق على سُوءِه ولكن عليه استدراك في بعض المواطن فالكاتب أراد أن يبين أن لقاعدته شذوذا فإذا كان الكبرُ بوجه عامّ ممقوتا ومذموما فإن نوعًا منه ممدوحٌ ومقبولٌ وهو التكبر على أهلِ الباطلِ لأنه

---

* وقد أثنى فيه على (البارودي) وعرض بعض أشعاره لتكون نبراسًا لغيره من شعراء العصر الحديث •

حينئذ عِلاجٌ للمرض الأَصْلِيّ وردْعٌ لأصْحابِه عن التَّمادِى فــــى الخطأ وهذا دليل عقلى .

واستدلَّ الكاتبُ أيْضًا بدليلٍ شرْعِيّ وَهُوَ : ما أُثــرَ عَــنْ مِشْيَــةِ الصَّحابِيّ مُخْتالاً فى مَيْدانِ الحَرْب ولعلَّه هو سيدنا(أبُو دُجَانَة)فِى غزوةِ(أُحُدٍ) . إذْ أن إختيالَهُ موَجَّهٌ لأعداءِ الدين من كفار قريــش ليكسِرَ من كِبريائهمْ ويطأطِئَ من غُرورِهِمْ ولهذا أقرَّهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على هذا الاختيال منبِّهاً فِي الوقت نفسه إلــى أن الكِبْرَ فى هذا المَوْطِنِ مقبولٌ فقط وإلى أنَّ الكِبْرَ فى غــيرِ هــذا الموطنِ غيرُ مقبول ومكروهٌ منَ اللَّهِ تَعالَى .

" الأُســلُوب "

سَهْلٌ منطقيٌّ خالٍ من البديع والسجْع مدْعوم بالدليلِ والبرْهنةِ وَيسْتخلِصُ النتائج من مقدماتها الواقعيةِ وأدلتــها الشرْعِيَّةِ ولا عَجَبَ أن يختلفَ أسلوبُ الكاتب هنا عن أسلوب غــيره وَيُبشِّـرَ بأسلوبِ العصرِ الحديثِ المُرْسَلِ المُتَحَرِّر .

خاتمـــــة

ومما يدلُّ على نُضْج عقْليَّةِ الشيْـخ(حسـين)وتطـوُّر أدَبِـهِ ومعالَجتِهِ مِن القضايا مَا يُناسِبُ العصرَ ومتطلباتِه أنه ألَّفَ رسالةً لطيفة سمَّاها(الكلماتِ الثمان)تعرَّضَ فيها بِــالشَّرْحِ والبيــانِ لمعانى الأشياء الآتية :-

١- الأُمّةِ . ٢ - الوطَنِ ٣ - الحكُومَةِ
٤ - العَدْلِ ٥ - النظامِ ٦ - السِّياسَةِ
٧ - التَّرْبيةِ .
٨ - الحُرِّيةِ : وهىَ أشْياءُ فِى صَمِيمِ اهْتمامَاتِ النَّــاسِ فــي الأمة العربيةِ على ضَوْءِ مَاجَدَّ من نهضاتٍ وَما تَقلبتْ بِهِ الأحْداثُ ، تَحْديدا وتدقيقاً ليعرفَ الناسُ حقوقَهُمْ وَيُؤَدُّوا وَاجباتِهِمْ إلَى كَوْنِــهِ أديبًا مُصْلِحًا اجْتماعِيًا ، وهُوَ-بلاشكَّ-مِنْ أئِمَّةِ الأدبِ الخـالدين .

والموجِّهينَ الصَّالِحين في فجر العصر الحديث وأصْحابِ الأثَـرِ الكبيرِ في نهضتِهِ وازْدِهارِه .

٥ - الشيخُ سَيِّدُ بْنُ عَلِيٍّ المَرْصِفِيُّ :

مولده حوالى ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م

وفاته ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م

حياته الخاصة ـ حياته العلمية والأدبية ـ آثاره فـى النهضـة الأدبية .

يُنْسَبُ الشيخُ (سيد بن على المرصفي) إلـى قَرْيَـةِ (مَرْصَفا) من أعمالِ القليوبيةِ وَهِيَ بلدة أبيه وَأجْدادِهِ وَلأهْـلِ هَـذِهِ القريةِ عنايةٌ كبيرةٌ بالعِلْمِ حتى عُرِفتْ بقريةِ العلماءِ ومَمَّنْ نبـغ من أهلها الشيخ (حسين بن أحمد المرصفي) الذى سبقت ترجمتـه وصاحبُ كتاب (الوسيلة الأدبية) الذى كان له أعظم الآثار فـى نهضة اللغة العربية وآدابها في العصرِ الحديث، وفى تخريج أبنائِهِ وشعرائِهِ ويعتبرُ الشيخ (حسين) رائدًا للشيخ (سيد بن علي) المتحدَّث عنه الآن ويشبهُ الشيخ سيدُ بن علي رائدَهُ الشيخ حسينًا فى عـدم معرفتنا لتاريخ مولده بالضبط ورجَّح بعضُ النقـاد والدارسـين لحياةِ الشيخ (سيد) وهو الأستاذ (سيف النصـر الطلخـاوى) فـى دراسته عن الشيخ أنه وُلِد حوالى عام ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م أى فى أواخر حكم (محمد على) أما وفاته فمحققة عـام ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م وكانت ولادةُ الشيخ سيد بقرية (مَرْصَفا) المشـارِ إليـها وبها نشأ فى ظل أبٍ كريم هو الشيخ (عليُّ بنُ حسن) مُعَلِّمُ القـرآن بقريتِهِ وكان لابنه (سيد) شقيقان وهاجر أبوهم إلى القـاهرة حيـث افتتح كُتَّابًا لتعليم الصِّغارِ وتحفيظهم القرآن فى حَيِّ (بابِ البَحْـر) بعد أن تزوجتْ إبنته الوحيدةُ فى القاهرة، واتَّجَـهَ ابنـاه (محمد وعبدالعال) أولهما للتجارة والثانى لصناعة النسـيج فوجـه الأبُ عنايتَهُ لأخيهم الأصْغَر (سيّد) وبعد أن حَفَّظَهُ القرآنَ الكريمَ ألْحَقَهُ (بالأزهرِ الشريف) فانتظمَ فى دراسةِ علومه وظهرتْ عليه مخـايلُ النبوغ حتى نالَ الإجازةَ العِلمية من شيخِهِ الشيخ (الشِّرْبينيّ) عـام ١٣١٠ هـ الموافق لعام ١٨٩٢ م ثم تقدمَ لإمتحان (العالِمِيَّةِ) بعْـدَ

ذلك بقليل ونجح فيه وبهذا أُتيح لهُ أنْ يدرّس فى الأزهر نفسه العلومَ اللغوية والأدبية وأنْ يصبحَ أحَدَ شيوخِهِ الشبان وكانت (الثورة العرابية) قد شَبَّتْ فى أثناءِ تلقى الشيخ سيد العلم طالبا فى الأزهر فشاركَ فيها مع كثيرٍ من إخْوانِهِ الشبان المتحمّسين فكان يخطبُ فى محافلِ الشعب الثائرِ المؤيدِ (لعرابى) ويُلقى الشعرَ الحماسىّ فى تأييد الثورة على تدخّل الأجانب فى شئون البلاد والدعوة لتحريرها من ظلم الحكام من أسرة (محمد على) ورفض تفضيل العناصر الأجنبية من (تركيه وشركسية) على المصريين ومن شِعْرِه فى ذلك قصيدةٌ سماها المَرْصَفِيَّة فى مدح أحمد عرابى باشا حامى حِمى الديار المصرية وفيها يقول :

يا آلَ مِصْرَ تنبّهُوا فَمَنِ الذى
يَرْضَى بذُلٍّ فى الخليقةِ أنْكَدِ ؟!
يا آلَ مصرَ عَلِمْتُمْ ما حَلَّ فى
(هندٍ) و(تونسَ) مِنْ بَلاءٍ سَرْمَدِى

وانتصرتْ الثورة العرابية فى بادئ الأمر ثم ما لبثت أن انتكست لعوامل كثيرة منها الخيانة وآل الأمرُ إلى المصيبة الفادحة بدخول الإنجليز مصر محتلين وقُبض على أنصار الثورة لينكّلَ بهم ومنهم الشابُّ (سيد بن على المرصفى) ولبث فى السجن بضع سنوات ثم أفرج عنه وقد أصيب بالإحباط كغيره من المصريين فعكف على دراسته فى الأزهر وجعل كلَّ هَمّه فى تحصيل العلم ومطالعة الكتب المقررة وغير المقررة وكان له فى علماء بلدته السابقين عليه قدوةٌ طيبة وحافزٌ على الجدّ والتفوق فإلى جانب إتقانهُ للعلوم المطلوبة التى كانت مقررة على الطالب الأزهرى من شرعية وعقلية ولسانية مال بفطرته ومَوْهِبَتِه للعلوم اللسانية من لغوية وأدبية ولا أدل على ذلك من ظهور موهبة فى قَرْضِ الشعر والخطابة إبان الثورة العرابية وقد تأثر كذلك بعوامل النهضة التى أنجبتْ من أقرانه فى السن وأندادِه فى الدراسة أفذاذًا على رأسهم الأستاذ الشيخ الأمام محمد عبده وانتفع كما انتفع الإمام بزعيم البعْث الاسلامىّ الحديث المصلح (جمالِ الدينِ الأفغانىّ) وآرائه الإصلاحية ومنْهجِه العلمىّ

والتربويّ والسياسيّ وكان فى أثناء تدريسه بالأزهر لطلابه مقيّداً بكتبٍ على النهج القديم حافلةٍ بالتأويلاتِ والمماحكات اللفظية على حسابِ الموضوع والمعنى فكان يُظهِرُ لطلابِه الضيقَ بهذه الطريقةِ وينقُدُها متطلّعاً إلى كتبٍ أخرى خاليةٍ منها حافلةٍ بالفائدةِ والتيسير على الدارسين، ولذلكَ فرحَ أعظمَ الفرح عندما صار الشيخ (محمدٌ عبدُه) عُضْوًا في (المجلسِ الأعلى للأزهر) وتمّتْ فرْحتُهُ عندما اختاره الأستاذُ الإمامُ (محمد عبده) لتدريس كتبِ الأدبِ واللغةِ فى الأزهر وأن يختارَ من الكتبِ ما يناسبُ الطلابَ ويحققُ لهم الفائدةَ المرجوةَ فشرع الشيخ سيّد يقرأ مع طلابه أمّهات الكتبِ اللغويةِ والأدبيةِ مثل (الكاملِ للمُبَرِّد) و(ديوان الحَماسة لأبى تمام الطائى) وكتاب (الأمَالى لأبى عليٍّ القالى) و(البيانِ والتبيينِ للجاحظ) و(أدبِ الكاتب) لإبن قتيبه ووجّه طلابَهُ إلى دراسة وحفظِ الشعرِ فى(عصوره الأولى) كالعصرِ الجاهليّ وصَدْرِ الإسلامِ والعصر الأمويّ والعباسيّ ومن كلامه لطلابه " تعلموا الشعرَ فإن لم تكونوا شعراء كنتم لغويين " ونظرة إلى هذه الكتب التى اختارها لطلابه فى الأزهر نجدُ أنها تنتمى إلى(التراث الخالد لكبار العلماء والأدباء فى العصور الزاهرة) ولا سيّما(العصر العباسي) وهى المنْهلُ العذبُ والمَوْرِدُ الأصيلُ الصافى من الأكدار ، أكدارِ الحواشِى والتقريراتِ فى العصور المتأخرةِ الضعيفةِ وبهذا أسهم الشيخ سيد بن على فى بَعْثِ الأدبِ الحق وتربيةِ كُتّابٍ وشعراءَ حملوا لواء النهضة فى العصر الحديث وأظهر الشيخُ جدارةً فى تدريس الكتب وشرحها فعلق على(ديوان الحماسة) بكتاب سماه (أسرَارَ الحماسة) وحقق وشرح كتاب(الكامل للمبرد) شرحا شهيرا سماه (رغبةَ الآمل من كتاب الكامل) وضمّنه نقده لاراء المبرد وغيره كما شرح كتاب (أمالى القالى) و(العقد الفريد) لابن عبدربه الأندلسى وقد تخرج على يدى الشيخ سيد كثيرٌ من الأدباء والشعراء وكثير من النقاد والمحققين منهم(طه حسين)و(زكى مبارك) و(محمود محمد شاكر) و(أحمد حسن الزيات) و (أحمد محمد شاكر) وقد عمِلَ الشيخ بالتدريس فى الجامع الأزهر طوال حياته ولما أنشئت(الجامعة

المصرية) عام ١٩٠٨ م استضافتْ نُخبَةً من علمـاءِ الأزهـر ــ منهم ــ (محمدٌ المهدى) و(محمدٌ الخَضِرُحسين) وكل منهما تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك وثالثهمْ الشيخ سيد بن علـى المرصفـى وَفِي عام ١٩١٣م اشتغل بالتصحيح(بدار الكتب المصريـة) فصحـح كتاب(أساسِ البلاغةِ للزمخشري) ونسخَ بخَطِّـهِ الجميـلِ بعـض المخطوطات .

- حُصُولهُ على عضوية(هيئةِ كبارِ العلماء) ولمَّا عُيِّنَ صديقُـهُ الشاعرُ العالمُ الشيخُ (عبدُالرحمن قرّاعه) مديرًا فى الأزهر سعى جاهدًا لضمِّ الشيخ المرصَفي لعضويةِ كبارِ العلماء وتم له ذلـك عام ١٩٢٤ م وظلّ بها قرابةَ تِسْعِ سَنَواتٍ حتّى وَافاهُ الأَجَل .

أَهَمُّ مؤلفاتـه :-

١.- القَصِيدَةُ المَرْصَفِيَّةُ فى مَدْحِ(عُرَابى باشا) وقد مـرَّ ذكرها .

٢.- تُحفَةُ العَهد الجَديدِ فى الفِقْهِ والتَّوْحِيد .

٣.-الدُّرُّ الذى انْسَجَمْ عَلَىٰ لامِيَّةِ العَجَـمْ (للطُّغرائـيِّ) وهىَ عبارة عن(التَّخْمِيس) لِهذهِ القَصِيدة .

٤.- رَغْبَةُ الآمِلِ مِنْ كِتابِ(الكامِل)

٥.- كراسةٌ فى الألفاظِ العربيةِ(هوامِشُ وتَعْليقاتٌ).

أُنْمُوذَجٌ مِنْ أدب المقال★

٦- للسَّيِّدُ (مُصْطَفَى لُطْفِي المَنْفَلُوطِيّ)

(مُوجَزٌ فِي تَرْجَمَتِهِ): وُلِدَ وَنَشَأَ فِي (مَنْفَلُوط) إحدى مُدُنِ الصَّعِيد، وتَعَلَّمَ في الأزهر، ونبغ في الأدب، واشتغل بالصحافة محرِّرًا في جريدة (المؤيَّد) الشهيرة، واتصل بـ(سعد زغلول باشا) الزعيم الوطني فألحقه بوظائف حكومية كان آخرها في (البرلمان)، وهو من أنبغ تلاميذ الأستاذ الإمام (الشيخ محمد عبده) المتأثرين بأسلوبه ومنهجه، وكان كاتبا بارعا وأديبا مرموقا رائع الأسلوب رقيق القول محكم النسج يجيد تصوير المشاعر الإنسانية★★

★ الرحمة :

ساكون في هذه المرة شاعراً بلا قافية ولا بحر، لأني أريد ان اخاطبَ القلبَ وجهاً لوجه، ولا سبيلَ الى ذلك إلاَّ سبيلُ الشّعر .

ان البذور تُلقي في الأرض فلا تنبت إلَّا إذا حَرَثَ الحارثُ تربتَهاَ، وجعلَ عاليَها سافلها، كذلك القلب لا تبلغ منه العظة الا إذا داخلته، وتخللتْ اجزاءه، وبلغت سويداءه، ولا محراث للقلب غير الشعر .

أيها الرجل السعيد : كن رحيماً، أَشْعِر قلبك الرحة، ليكن قلبك الرحة بعينها .

ستقول : اني غير سعيد، لأن بين جنبيَّ قلباً يُلِم به من الهم ما يلم بغيره من القلوب، أجل . فليكن ذلك كذلك، ولكن أَطْعِم الجائعَ واكسُ العاري، وعزِّ المحزون، وفرجْ كُرْبَةَ المكروب، يكنْ لك من هذا المجموع البائس خيرُ عزاء يعزيك عن همومك وأحزانك، ولا تعجبْ ان يأتيك النورُ من سواد الحلَك، فالبدرُ لا يطلع إلا اذا شقَّ

★★ وله شعرٌ جيّد ولكنْ غلبَ عليه النثر، فلهُ فيه المقالاتُ البديعة، والقصصُ المُعَرَّبَةُ الشائقة التي عَرَّبَهَا عنْ بعض القصص والمسرحيات العالميّة وبخاصة عن (الفرنسيّة) مثل: (الفضيلة) و(ماجدولين) و(الشاعر) و(في سبيل التاج) ومن أشهر آثاره كتابا (النظرات) و(العبرات) وتوفي رحمه الله عام ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م

رِبَاطَ الليل ، والفجرُ لا يدرج الا من مهد الظلام .

لقد بليتْ اللذات كلها .. ورثتْ حبالها .. وأصبحت أثقل على النفس من الحديث المعاد .. ولم يبقَ مما يعزى الإنسان عنها الا لذةٌ واحدة : هي لذة الإحسان .

ان منظر الشاكرِ منظر جميل جذاب .. ونغمة ثنائهِ وحمده اوقعُ في السمع من العُود في هَزَجه ورَمَلِه [1] واعذب من نغمات (مَعْبَدٍ) في الثقيل الأول [2] .

أحسِنْ إلى الفقراء والبائسين ، وأَعِدُكَ وعداً صادقاً انك ستمر في بعض لياليك على بعض الأحياء الخاملة فتسمع مَنْ يحدِّثُ جارَهُ عنك من حيث لا يعلم بمكانك ، أنك اكرمُ مخلوقٍ ، وأشرفُ إنسانٍ ، ثم يعقب الثناء عليك بالدعاء لك ان يجزيك الله خيراً بما فعلت .. فيدعو صاحبُهُ بدعائه ، ويرجو برجائه .. وهنالك تجد من سُرور النفس وحُبُورها بهذا الذكر الجميل في هذه البيئة الخاملة : ما يجده الصالحون اذا ذُكروا في الملأ الأعلى .

ليتك تبكي كلما وقع نظرك على محزون او مفؤود [3] فتبتسم سروراً ببكائك .. واغتباطاً بدموعك ، لأن الدموع التي تحدر على خديك في مثل هذا الموقف إنما هي سطورٌ من نور .. تُسَجِّل لكَ في تلك

---

(١) الهزج والرمل : نوعان من الموسيقى .
(٢) معبد : أحد كبار المغنين في العصر الأموي ، والثقيل الأول : ضرب من ضروب الغناء .
(٣) المفؤود : المصاب في فؤاده بألم او غيره .

الصحيفة البيضاء : أنك إنسان .

إن السماء تبكي بدموع الغمام.. ويخفق قلبها بلمعان البرق .. وتصرخ بهدير الرعد ، وإن الارض تئنّ بحفيف الريح .. وتضجّ بأمواج البحر ، وما بكاء السماء ولا أنين الارض إلاّ رحمةً بالإنسان .. ونحن أبناء الطبيعة فلْنجارها في بكائها وأنينها ؟ !

إن اليد التي تصونُ الدموعَ ، أفضل من اليد التي تريق الدماء ، والتي تشرح الصدور . أشرف من التي تبقر البطون ، فالمحسنُ افضل من القائد وأشرف من المجاهد ، وكم بين من يُحيي الميتَ . ومن يُميتُ الحيّ .

إن الرحمة كلمة صغيرة .. ولكنْ بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها . والشمس في حقيقتها .

واذا وَجَد الحكيم بين جوانح الإنسان ضالّتـه من القلب الرحـيم .. وجدَ المجتمع ضالته من السعادة والمناعة .

لَوْ تراحَمَ الناسُ لما كان بينهم جائعٌ ولا مغبون ولا مهضوم .. وَلَاقْفرَتِ الجفونُ من المدامع .. ولاطمانت الجنوبُ في المضاجع . ولمحتْ الرحمةُ الشقاء من المجتمع كما يمحو لسانُ الصبح مدادَ الظلام .

لم يخلق الله الإنسان ليقتّرَ عليه رزقه . ولم يقذفْ به في هـذا المجتمـع ليموتَ فيه جُوعاً .. بل أرادتْ حكمته أنْ يخلقه ويخلقَ له فوقَ بساط الارض وتحت ظلال السماء ما يكفيه مَؤُونته . ويسدُّ حاجته .. ولكن سلبه الرحـمةَ فبغي بعضه عـلى بعض وغـدرَ القويُّ بالضعيف واحتجنَ دونه رزقَه .. فتغير نِظام القسـمة العادلة .. وتشوّه وجهُها الجميل .. ولو

كان للرحمة سبيلٌ إلى القلوبِ لما كان للشقاءِ إليها سبيل .

الفرد هو المجتمع .. وإنما يتعدد بتعدّد الصور .. أتدري متى يكون الإنسان إنساناً ؟ متى عرف هذهَ الحقيقة حق المعرفة وأشعرها نفسه .. فخفق قلبه لخفقان القلوب وسكن لسكونها . فاذا انقطع ذلك السلك الكهربائي بينه وبينها ، انفرد عنها واستوحش من نفسه ، واذا كان الأُنسُ مَأخذ [1] الإنسان المجتمع .. فالوَحْشَة مأخذُ الوَحْشِ المنقطع .

وَجماعُ القول انه لا يمكن ان تجتمع رحمة الرُّحماء وشِقْوةُ الاشقياء في مكان واحد ، الا اذا أمكن ان يجتمع في بقعةٍ واحدة المَلَك الرحيم والشيطانُ الرجيم .

ان من الناس من تكون عنده المعونةُ الصالحة للبر والإحسان فلا يفعلُ .. فاذا مشى مشى مندفعاً مندلثاً [2] لايلْوِي على شيءٍ مما حوله من المناظر المؤثرة المحزنة ، واذا وقع نظره على بائس لا يكون نصيبه منه الا الإغراق في الضحك سخرية به وبنذالة ثوبه ودمامة خَلْقِهِ ، وان من الناس من اذا عاشر الناس عاشرهم ليعرفَ كيف يحتلب دِرَّتَهم [3] ويمتصّ دماءهم ، ولا يعاملهم الا كما يعامل شُوَيْهاتِه وبَقَراتِه .. لا يُطعمها ولا يسقيها الا لما يترقبُ من الربح في الاتجار بألبانها وأصوافها .. ولو استطاع ان يهدم بيتاً ليربحَ حَجَراً لفعل .. وإن من الناس مَن لا حديث له الا الدينارُ واين مستقرُّه وكيف الطريق اليه وما السبيل الى حَبْسِه والوقوفِ في

(١) مأخذ الكلمة : أصل اشتقاقها .
(٢) الدلث : كالتدفع .
(٣) الدرة : اللبن اذا كثر وسال .

وَجْهِـهِ والحيطةِ لفراره .. يبيتُ ليـله حزيناً كئيباً لأن خزانته ينقصها درهم كان يتخيل في يقظته او يحلم في منامه انه سيأتيه فلم يُقيَّضْ له ، وان من النـاس من يؤذي الناس لا يجلبُ لنفسه بذلك منفعة او يدفع عنها مضرة ، بل لأنه شِرِّيرٌ يدفعه طبعُهُ إلى ما لا يعرف وجهه او ليضرّي [1] نفسه بالأذى مخافة ان ينساه عند الحاجة اليه .. حتى لو لم يبق في العـالم شخص غيره لكانت نفسه مَدَبَّ عقاربه وغرضَ سِهامه .. وان من الناس من اذا كشف لـك عن أنيابـه رأيت الدمَ الاحمر يترقرق فيهـا ، او عن أظافره رأيت تحتها مخالبَ حادة لا تسترها الا الصورة البشرية ، او عن قلبـهِ رأيت حَجَراً صَلْداً من أحجار الغرانيت لا يبـضّ [2] بقطرة من الرحمة .. ولا تخلص اليه نسمة من العظة .

فيا أيها الإنسان اِحذرْ الحذرَ كله ان تكون واحداً من هؤلاء فـانهم سباعٌ مفترسة وذئاب ضارية .. بـل أَعِظُكَ ألا تدنو من واحـد منهم او تعترض طريقه .. فربما بدا له ان ياكلك غيرَ حافلٍ بـك .. ولا آسف عليـك .

← أيها الإنسان . اِرْحَمِ الأَرملة التي مات عنهـا زوجها ، ولم يترك لها غير صبيةٍ صغار ، ودموع غزار، ارحمْها قبل ان ينال اليأس منها ويعبث الهم بقلبها فتؤثر الموتَ على الحياة .

ارحمِ المرأةَ السـاقطة لا تُزيِّنْ لها خِلالَهَا ولا تَشْتَرِ منهـا عِرْضَهَا علها

---

(١) يقال : أضرى فلان كلبه بالصيد ، وضراه : اذا أغراه به وعوده متابعته .
(٢) بض الدم : سال .

تعجز عن ان تجد مساوماً يساومها فيه فتعود به سالماً الى كِسْرِ بيتها .

ارحم الزوجة أُم ولدك وقعيدة بيتك ومرآة نفسك وخادمة فراشك لأنها ضعيفة ، ولأن الله قد وكّل أمرها إليك ، وما كان لك ان تُكَذّبَ ثقته بك .

إِرْحَمْ ولدك وأَحْسِنْ القيام على جسمِه ونفسه فانك إلاَّ تَفْعَلْ قتلته او أشقيته فكنت أظلم الظالمين .

ارحم الجاهل لا تتحين فرصة عجزه عن الانتصاف لنفسه فتجمع عليه بين الجهل والظلم ، ولا تتخذ عقله مَتْجَرًا تربح فيه ليكون من الخاسرين .

← ارحم الحيوان لانه يحسُّ كما تحس ويتألم كما تتألم ويبكي بغيرْ دموع ، ويتوجع ولا يكاد يُبين .. ارحمْهُ وكذّب من يقول ان الإنسان طُبع على ضرائب لُؤْمٍ ، اقلها أنه يُقبّل يَدَ ضاربه ويضْربُ من لا يمدُّ اليه يداً .

← ارحم الطيرَ لا تحبِسْها في أقفاصها ودعْها تهيم في فضائِها حيثُ تشاء ، وتقعُ حيث يطيبُ لها التغريدُ والتنقير ، إنَّ الله وهبها فضاءً لا نهايةَ له فلا تغْتصِبْها حقها فتضعَهَا في مَحْبَسٍ لا يسعُ مَدَّ جناحِها ، أَطْلِقْ سبيلَهَا وأطلقْ سمعَك وبصرَك وراءها لتسمعَ تغريدَها فوقَ الأشجارِ ، وفي الغابات ، وعلى شواطىءِ الأنهارِ ، وترى منظرَها وهي طائرة في جوِّ السماءِ ، فيخيل اليك أنها اجملُ من منظرِ الفَلَكِ الدائر والكوكبِ السَّيار .

← أيها السعداء . أَحْسِنُوا إلى البائسينَ والفقراء ، وامْسَحُوا دموعَ الأشقياء ، وارْحَمُوا مَنْ في الارضِ يَرْحمكُمْ مَنْ في السّماء .

أنموذج ثانٍ من أدب المقال لمصطفى صادق الرافعي *

المعنى السياسي في العيد

ما أشدَّ حاجتَنا نحن المسلمين إلى أن نفهم أعيادَنا فهماً جديداً ، نتلقاها به، ونأخذُها من ناحيته ، فتجيءَ أياماً سعيدةً عاملةً ، تنبّه فينا أوصافَها القوية ، وتجدّدُ نفوسَنا بمعانيها ، لا كما تجيءُ الآن كالحةً عاطلةً ممسوحةً من المعنى ، أكبرُ عملِها تجديدُ الثياب ، وتحديدُ الفراغ ، وزيادةُ ابتسامةٍ على النفاق . . .

فالعيدُ إنما هو المعنى الذي يكون في اليوم لا اليومُ نفسُه ، وكما يفهمُ الناسُ هذا المعنى يتلقون هذا اليوم ، وكان العيدُ في الإسلام هو عيدَ الفكرةِ العابدة ، فأصبح عيدَ الفكرةِ العابثة ، وكانت عبادةُ الفكرة جمعَتها الأمةَ في إرادةٍ واحدة على حقيقةٍ عملية ، فأصبح عبثُ الفكرة جمعَها الأمةَ على تقليدٍ بغير حقيقة ، له مظهرُ المنفعة وليس له معناها .

كان العيدُ إثباتَ الأمة وجودَها الروحاني في أجمل معانيه ، فأصبح إثباتَ الأمةِ وجودَها الحيواني في أكثر معانيه ، وكان يومَ استرواح القوة من جِدّها ، فعاد يومَ استراحةِ الضعفِ من ذُله ، وكان يومَ المبدأ ، فرجع يومَ المادة !

• • •

ليس العيدُ إلا إشعارَ هذه الأمة بأن فيها قوةَ تغييرِ الأيام ، لا إشعارَها بأن الأيام تتغير ، وليس العيدُ للأمة إلا يوماً تعرض فيه جمالَ نظامِها الاجتماعي ، فيكون يومَ الشعورِ الواحد في نفوس الجميع ، والكلمةِ الواحدة في ألسنة الجميع ، يومَ الشعور بالقدرة على تغيير الأيام ، لا القدرةِ على تغيير الثياب . . . كأنما العيدُ هو استراحةُ الأسلحة يوماً في شعبها الحربي .

وليس العيدُ إلا تعليمَ الأمة كيف تتسع روحُ الجوار وتمتدّ ، حتى يرجعَ البلدُ العظيمُ وكأنه لأهله دارٌ واحدة يتحقق فيها الإخاء بمعناه العملي ، وتظهرُ فضيلة الإخلاص مُستَعلنةً للجميع ، ويُهدي الناسُ بعضُهم إلى بعض هدايا القلوب المخلصة المحبة ، وكأنما العيدُ هو إطلاقُ روحِ الأسرةِ الواحدة في الأمة كلها .

* مقال (المنفلوطي) السابق عن (الرحمة) يمثّل أسلوبه السهل الميّال لمخاطبة العاطفة والوجدان . وفي هذا المقال (للرافعي) نجد خصائص أسلوبه الذي يمتاز بالعمق والفلسفة في الفكرة ، وتوليد المعاني والصور البيانية ، والروح الإسلامية القوية الظاهرة .

وليس العيدُ إلا إظهارَ الذاتية الجميلة للشعب مهزوزةً من نشاط الحياة؛ والإذاتيةَ للأمم الضعيفة؛ ولانشاطَ للأمم المستعبَدة. فالعيدُ صوتُ القوة يهتف بالأمة: أخرجي يومَ أفراحك، أخرجي يوماً كأيام النصر!

وليس العيدُ إلا إبرازَ الكتلة الاجتماعية للأمة متميزة بطابعها الشعبي، مفصولةً من الأجانب، لابسةً من عمل أيديها، معلنةً بعيدها استقلالَين في وجودها وصناعتها، ظاهرةً بقوتين في إيمانها وطبيعتها، مبتهجةً بفرحتين في دُورها وأسواقها؛ فكأن العيدَ يومٌ يفرح الشعب كله بخصائصه.

وليس العيد إلا التقاء الكبار والصغار في معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة في طريقها، وترك الصغار يلقون درسَهم الطبيعي في حماسة الفرح والبهجة، ويعلّمون كبارهم كيف توضع المعاني في بعض الألفاظ التي فرغَتْ عندهم من معانيها، ويُبصّرونهم كيف ينبغي أن تعملَ الصفاتُ الإنسانيةُ في الجموع عملَ الحليف لحليفه، لا عملَ المُنابذ لمُنابذه؛ فالعيدُ يومُ تسلّط العنصر الحيّ على نفسية الشعب.

وليس العيدُ إلا تعليمَ الأمة كيف توجِّه بقوتها حركةَ الزمن إلى معنى واحد كلما شاءت؛ فقد وضع لها الدينُ هذه القاعدةَ لتُخرجَ عليها الأمثلة، فتجعلَ للوطن عيداً ماليّاً اقتصاديّاً تبتسم فيه الدراهم بعضُها إلى بعض، وتخترع للصناعة عيدَها، وتوجد للعلم عيدَه، وتبتدع للفن مَجالىَ زينته؛ وبالجملة تُنشئ لنفسها أياماً تعمل عملَ القُوّاد العسكريّين في قيادة الشعب، يقودُه كلُّ يوم منها إلى معنى من معاني النصر.

• • •

هذه المعاني السياسيةُ القوية هي التي من أجلها فُرض العيدُ ميراثاً دهريّاً في الإسلام، ليستخرجَ أهلُ كل زمن من معاني زمنهم فيُضيفوا إلى المثال أمثلةً مما يُبدعه نشاطُ الأمة، ويحققه خيالُها، وتقتضيه مصالحُها.

وما أحسب الجمعة قد فُرضت على المسلمين عيداً أسبوعياً يُشترط فيه الخطيبُ والمنبرُ والمسجدُ الجامع — إلا تهيئةً لذلك المعنى وإعداداً له؛ فهي كل سبعةِ أيام مسلمةٍ يومٌ يجيءُ فيُشعرُ الناسَ معنى القائدِ الحربي للشعب كله.

ألا ليتَ المنابرَ الإسلاميةَ لايخطبُ عليها إلا رجالٌ فيهم أرواحُ المدافع، لارجالٌ في أيديهم سُيوفٌ من خشب (١) ....

(١) أنظر (قصة الأيدي المتوضئة) في الجزء الثاني من كتاب (وحي القلم) للرافعي.

٧- ترجمة

مُصْطَفَى صَادِق الرافعيّ

(موجزٌ عنْ حَياتِه وأدَبِه)

هو مصطفى صادق بن الشيخ عبد الرازق بن سعيد سليل أسرة (الرافعى)العريقــة فى العلم والدين ، وموطنها الأصــلى فى (طرابلس الشام) ونشأ منها هذا الفرع فى مصر ، كان أبوه من العلماء ، ومن قضاةِ الشرع وقد ولى القضاء فى دمنهــور والمنصورة ثم فى طنطــا وبها استقر مع أسرته ومات ودفن بها وبقيت فيها ذريته حتى اليوم .

ولد مصطفى صادق فى(بهتيم)من أعمالِ(القليوبية)فى دار جــدة لأمه « الشيخ الطوخىّ » عام ١٢٩٧ هـ الموافق لعــام ١٨٨٠ م وعنى أبوه بتربيته وتعليمه فأَرْسلَهُ إِلى مُحَفِّظِ(القرآنِ الكــريم)وتولاه هو فى البيت بتلقينه أُصُولَ الدِّين ومبادىءَ العربيةِ ، وفى سن الثــانية عشرة أدخله المدرسة الابتدائية فى(دمنهور) ، ولما نقل الى(المنصورة)تحول الى مدرســتها حيث نال الشــهادة الابتدائية وهى كل ما حصــل عليه من الشهادات الرسمية ، إِذْ مَرِضَ بعد نَيْلِهِ هذه الشهادةَ بحُمَّى شــديدةٍ أفقدته السَّمْعَ فانقطعَ عن المدارسِ . لكنه لم ينقطــعْ عن القــراءةِ فى مكتبةِ أبيه العامرةِ بكتبِ الدِّينِ والأدبِ واللغــةِ بلْ وَجَدَ فيهــا عِوَضًا وَسَلْوَى ، فأقبلَ علَى استيعابِ مَا فيها بِنَهَمٍ شديدٍ وَشَــجَّعَهُ والدهُ ،

وأوتى ذكاء حاداً وحافظة واعية وصبراً دءوبا فأعانه كل ذلك على تكوين نفسه تكوينا أدبيا ولغويا متينا غذّته روافدُ أُخرى مما كان يقرأ فى الصحف الأدبية والسياسية التى كانت تصدر فى ذلك العهد من شتى المقالات والأبحاث وما اطّلع عليه فيها من الأدب الأوربى المترجم • وما كان يقتنيه من الكتب الجديدة المطبوعة من الأدب العربى والآداب الأجنبية ومنها (القصص والمسرحيات العالمية)، بيْدَ أنَّ بيئته الإسلامية كانت تشُدّه بقوةٍ الى التعمّق فى الأدب العربىّ والثقافة الإسلامية •

فهو عِصَامِىٌّ النشأة ، كَوّنَ شخصيّته الأدبية بنفسه ، لكنْ ينبغى ألاّ نُغفلَ دوْرَ والدِهِ فى تربيته وتوجيهه إلى ما توجّه إليه ، ولا أن نقلل من شأنِ هذا الدوْر فقد كان هذا الأبُ شيخا صالحا ، وقاضيًا مهابا ، وعالِماً متبحِّراً ، ولقد كان بكل هذه الصفات مثلاً أعْلى لولده (مصطفى صادق)، وحين أصابتْ العِلة هذا الابنَ الذى كانت تلوح عليه مخايلُ النبوغ من صغره ازداد الأب اقترابا من ابنه ، وضاعف من اهتمامه به ، وعطفه وحدبه عليه ، ومن الحرص على توجيهه وحسن تنشئته ، كان الشيخ بسلوكه الاسلامى القديم نعم القدوة الصالحة لولده،وكان بعلمه الغزير الذى تدل عليه مكتبته العامرة نعم الموجه والمرشد له ، وحسبك من مكتبة يستعير منها العلامة الشيخ محمد الخضرى(٢) بعض المراجع(٣) وسعى له أبوه فالتحق بوظيفة حكومية متواضعة فى المحاكم

---

(٢) هو العالم المؤرخ الأديب الشيخ محمد الخضرى صاحب البحوث القيمة فى التاريخ الاسلامى ، وصاحب كتاب (مهذب الأغانى) وغيره توفى رحمه الله عام ١٩٢٧م •

(٣) وحى القلم للرافعى جـ ٣ ص ٣٤٢ •

تناسب مؤهله الرسمى كانت وسيلة الى كسب الرزق ، وتزوج فى شبابه وأنجب — ولكنه مضى قدما فى طريق الأدب باجتهاد من يحس بأن هذا الطريق هو قدره المختار ، وبأن له فيه رسالة منتظرة .

وواكبتْ نشأةُ الرافعىّ تباشيرَ النهضةِ الحديثةِ فى مصرَ والعالَم العربىّ التى شملتْ الحياة العِلمية والأدبية فى أواخر القرن (التاسع عشر الميلادى) وأوائل (القرن العشرين)، فأفادَ من حركتِها المتوثبةِ ووثّق صِلته بأعلامِها البارزين (كالشيخ محمد عبده والبارودىّ) ، وتطلّعَ لأن يكونَ أحدَ رجالِها المرموقين ، وأخذ يبارِى شبابها الناهضين من أمثال (شوقى) و(حافظ) و(المنفلوطى) و(عبد العزيز البشرى) و(أحمد محرم) ، وأسهم ذلك كله فى تكوين شخصيته الأدبية وعندما بدأ الرافعى يُنْتِجُ أدبا كان اتجاهه إلى (الشعر)، يعبر به عن مشاعره الذاتية وعاطفته المشبوبة ، وعن قضايا وطنه المصرىّ خاصة والعربىّ عامة ، ومشكلات وهموم أمته الاسلامية بوجه أعَمّ ويعالجُ من شتى أغراض الشعر ما يعالجه شعراء عصره فأخذ يراسل الصحف والمجلات وينشر فيها ما يَقْرِضُ من شِعر ، ثم تشجَّع ونَشَرَ أوَّلَ ديوانٍ له وهو فى الثالثة والعشرين من عمره وهو (ديوانُ الرافعىّ) فى جزءين ثم أتبعه بديوان آخر سماه ديوان (النظرات) فى جزءين كذلك .

لكنه اتجه بعد الثلث الأول من حياتِه الأدبية(١) — إلى (النثر) لعواملَ عِدَّةٍ ، ليس هنا مجال بسطها(٢) وأراد اللهُ تعالى أنْ يكونَ فيه

---

(١) حوالى عام ١٩١١م .

(٢) راجع فى تفصيل هذه العوامل (حياة الرافعى) لمحمد سعيد العريان .

عَلَماً بَارزًا ، ثُمَّ إماماً لاتّجاهٍ مُعيّنٍ فيه هو (الاتّجاهُ الإسلاميُّ) فى وقت نَجمتْ فيه بوادرُ التمرّدِ والزيْغ عن هذا الاتجاه ، بل والخصومةِ له والهجومِ عليه ، فَحَمَّلَ قلمَهُ — إلى جانب إثراء هذا الاتجاه بآثاره الرائعة — أمانةَ الدّفاع عنه والجهادِ فى سبيله،وردّ المهاجمين وردْعِهمْ بقلمِهِ الجَبَّار ، وبيانِهِ البَتَّار ، فصَارَ بذلك أديبَ الفِكرة الاسلامية الأوّلَ فى عصرنا الحديثِ غيْرَ منازَع .

وكان اتّصاله فى آخر حياتِهِ (بمجلةِ الرّسالةِ) الأُسْبوعيةِ التى كان يُصْدِرُها الأديب الكاتِبُ (أحْمدُ حَسَنُ الزَّيّاتُ) ومواظبتُهُ على الكتابةِ فيها تتويجًا لهذا الاتجاهِ ، وتأصيلاً لهذه المسئوليّة ، وترْسيخاً لهذه المنْزِلة .

وقَدْ عاشَ الرافِعِيُّ حيَاتهُ كُلّها فى (طنطا) وتوفّىَ رحِمَهُ اللهُ عامَ ١٣٥٦ هـ الموافقَ لِعَامِ ١٩٣٧ م قبْلَ أنْ يبْلغَ السّتّينَ بِسَنَواتٍ ثلاثٍ — بَعْدَ أنْ مَلأَ الدّنْيا بِأَدَبٍ رائِعٍ ، وَبَيَانٍ رَفيعٍ ، وَتاريخٍ مُشْرِقٍ وَضِيءٍ .

القصة في الأدب العربي الحديث :(★)

واكبت القصة العربية نهضة الأدب العربي الحديثة التي بدأت في (النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري) الموافق (للنصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي)، بعد أن كانت (القصة) قد وقفت ــ كغيرها من فنون الأدب الشعرية والنثرية ــ عند حدود الشكل والحلية البديعية ، وأصابها ما أصاب تلك الفنون كلها من ضعف ووهن وفتور وتخلف .

وقد تأثرت القصة في خطواتها الأولى ، ومسيرتها الجديدة بعنصرين :

* أحدهما : المأثور من قصصنا العربي القديم ، ولاسيما قصص (المقامات) التي كان أنموذجها ما يزال محتذى حتى ذلك الحين .

* وثانيهما : الوافد الكثير من (القصص الأوربي) المترجم الى اللغة العربية وبخاصة عن اللغتين الفرنسية والانجليزية ، بحكم احتكاك الشرق العربي بدولتي (فرنسا وانجلترا) منذ عهد الحملة الفرنسية على مصر والشام في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، وازدياد وتطور العلاقات بين العالم العربي والدول الأوربية طوال القرن التاسع عشر .

١ ــ فمما تحقق فيه التأثير الأول ــ (حديث (عيسى بن هشام) ــ (لمحمد المويلحي)، و ــ (ليالي سطيح) ــ (لحافظ إبراهيم)، فقد اتخذا فيهما (.١.)

---

(١) الذي مر بك ذكره ب ص ١٩٣

(★) أخذنا هذا الفصل من كتابنا (من قضايا النقد الأدبي..) ص ١١٥ وما بعدها مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

أُسْلُوبًا هو أقربُ إلى أسلوب (المقامات)، وَسَاقا أَحْدَاثًا طريفةً بقصْدِ عَرْضِ أَحْوالِ المجتمع فى عصرِهما ونقْدِها ابْتِغاءً للإصْلاح •

٢ ــ ومما تحقق فيه التأثير الثانى ــ وهو الأكثر تنشيطا للقصة العربية الحديثة (ما عَرَّبَهُ بعضُ الأدباء من روائع (القصص الأوربى) الذى تُرْجِمَ لهم، فلم يَلْتزموا بالترجمةِ الحرفيةِ، بل تصرَّفوا وحَوَّرُوا فيه، وصبغوه (بالصبغة العربية) حتى لكأنما كُتِبَ بها ابتداءً، دون أن تفقد القصة الأصلية، رُوحَها وجوْهَرها، ومن أوائل هذا القصص (تليماك) للكاتب الفرنسى (فنلون)(١) التى عربها على هذا النحو رائد النهضة الحديثة الشيخ (رفاعة رافع الطهطاوى)(٢) رحمه الله حوالى عام ١٨٥٠م فى أثناء وجوده فى السودان وفيها يقول تلميذه (السيد صالح مجدى)(٣): « ولقد اطلعت على تعريب الكتاب المذكور، فوجدتُ المرحومَ (الشيخَ رفاعة) قد تصرف فيه بالزيادة والنقص، وأفرغه فى قالَبِ العربيةِ المنيف، والتزم فيه السجع، مع حسن الوضع، حتى بدا كأنه لم ينسج له نظير على منوال، وغدا من المؤلفات العديمة المثال »(١) ومن أمثلته أيضا ما عربه الأديب البارع (مصطفى لطفى

---

(١) المتوفى عام ١٧١٥م •

(٢) المتوفى عام ١٢٩٠هـ الموافق لعام ١٨٧٣م •

(٣) المتوفى عام ١٢٩٨هـ الموافق لعام ١٨٨١م •

(١) من كتاب (حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رفاعة الطهطاوى) تأليف السيد صالح مجدى ــ تحقيق د• جمال الدين الشيال ص ٣٩ ط مصطفى الحلبى بالقاهرة ١٩٥٨م •

المنفلوطى)(٢) كقصة (الشاعر) التى حورها عن مسرحية للشاعر الفرنسى (ادمون روستان) واسمها (سيرا نوادى برجراك) ، وقصة (الفضيلة) التى حورها المنفلوطى أيضا عن قصة باسم (بول وفرجينى) للكاتب الفرنسى (برناردين سامدبيير) ، وقصة (فى سبيل التاج) عن مسرحية بهذا الاسم للكاتب الفرنسى (فرانسوا كوبيه) (★)

ومن أمثلة هذا النوع أيضا قصةُ (البؤساءِ) التى عَرّبها شاعر النيل (حافظ ابراهيم)(٣) عن الأديب الفرنسى الكبير (فيكتور هيجو) ومنه أيضا تعريب الأديب (أحمد حسن الزيات) صاحبُ مجلة الرسالة لقصةِ (رفائيل) للأديب الفرنسى (لامرتين) وقصة (آلام فرتر) لشاعر ألمانيا لأكبر (جوتة) •

٣ ــ وظهر لرواد القصةِ فى أدبنا الحديث قَصَصٌ تاريخيٌّ عربىٌّ خالصٌ الا أنه ــ على الأرجح ــ متأثرٌ (فى اتجاهه إلى التاريخ) بما تُرجم إلى العربية من (قصص تاريخى أوربى) يمثل النزعة (الرومانتيكية) فى العناية بالقصة التاريخية وبخاصةٍ عند زعيمها فى هذا الجانب (والترسكوت) الإنجليزى •

ومن ذلك قصة (بَابِ القَمَر) للكاتبِ المصرىِّ (إِبراهيمَ رمزىّ)(٤) وقد تناول فيها الأحداث التى واكبتْ (البعثة المحمدية الشريفة) فى شبه الجزيرة العربية ، وما يحيط بها من الممالكِ الخاضعةِ لدولَتَىْ (الفُرْس

---

(٢) المتوفى عام ١٩٢٤م •
(٣) المتوفى عام ١٩٣٢م •
(٤) المتوفى عام ١٩٤٩م •
(★) راجع ص ٢٠٢ من هذا الكتاب (الهامش) .

والروم)، وصور جانباً من الصراع الذى كان وقتئذ ناشبا بين هاتين القوتين الكبيرتين ، فى أسلوب سهل شائق خالٍ من السجع والمحسنات، وقد أتبعها بقصة (باب الشمس) على هذا النسق وتناول فيها بعض أحداث الدولة الاسلامية الفتية من بدء خلافة الفاروق عمر رضى الله عنه إلى فتح الاسكندرية على يد القائد (عمرو بن العاص) عام٢٠هـ ٦٤١م[1] ومن هذا (القصص التاريخى) أيضا سلسلة كتبها (جرجى زيدان) مؤسس(مجلة الهلال)(والمتوفى عام ١٩١٤ م) عن أهم أحداث التاريخ الاسلامى ، ومنها : (فتاة غسان) و (عذراء قريش) وأرمانوسة المصرية ، وغادة كربلاء ... الخ وقد غذاها بكثير من(الخيال) لتتم لها الحبكة القصصية ، وليوفر لها المزيد من الإثارة والتشويق ، وقد راجت هذه السلسلة عند صدورها فى أوائل القرن العشرين الميلادى وأقبل عليها القراء وبخاصة من الشباب(ومنهم مؤلف هذا الكتاب)

ومنه أيضا قصص عنى بالتاريخ العربى الجاهلى القديم مثل قصتى (المهلهل) و (عنترة) للأديب المؤرخ (محمد فريد أبى حديد) وقصص عنى بتصوير البطولة الاسلامية كقصة (وإسلاماه) لعلى أحمد باكثير ، و (أبطال القادسية) لعبد الحميد جودة السحار .

٤ — وقصص تاريخى إسلامى ذو نزعة أدبية واضحة فى الصياغة الأنيقة ، وفى اختيار أبطاله من (الشعراء غالبا)، فارسه المجلى الشاعر الكبير (على الجارم) فى(شاعر ملك)(شاعر طموح)(مرح الوليد)(فارس حمدان اللاتى تصور حياة — المعتمد بن عباد — ، والمتنبى ، و (الوليد بن يزيد) ، و (أبى فراس الحمدانى)(★) ، مع ما له من

★ وقد قرأ كاتب هذه الدراسة معظم هذه القصص فى صباه ، وكان لها أثر كبير فى تكوينه الأدبى والتاريخى، وتوجهاته المسرحية فيما بعد .

قصص أخرى مثل (سَيِّدةِ القُصُور) و (هاتِفٍ مِنَ الأَنْدلس) . والحقُّ أن التاريخَ الإسلاميَّ ، على امتدادِه مَثَّلَ النَّبْعَ الفَيَّاضَ لقَصَّاصِينَا في العصر الحديث ، والمَعِينَ الذى لا يَنْضُبُ لهم في شَتَّى الاتِّجاهات .

كما أن تراثنا القصصىّ القديم وما جاء منه على هيئة ترجمـات لاتكاد تحصى لأفراد من شتى الطبقات من ملوك وسوقة وشعراء وعلماء وتجار وصناع ، وما جاء منه على صورة أخبار ونوادر فى (الأغانى) و (العِقْـدِ الفَرِيد) وأشْباهِهما ـ قد مَثَّلَ وما يَزالُ رَوافدَ عظيمـةً لقصاصينا تُمِدُّهُمْ بالمادةِ الأَوَّلِيَّةِ التى لا تكادُ تَنْفَدُ ـ أما الخصائصُ واللمحاتُ الفنيَّةُ فى قصص (كليلةَ ودِمْنَةَ) و (أَلْفِ ليلةٍ وليْلة) وسِيَرِ الأبطال (كعنتـرة) و (سيف بن ذى يزن) و (صـلاح الدين) و (بيبرس) و (أبى زيد الهلالى) ، فقد دخلتْ فى مكوناتِ ما أشرنا اليه من قصص الروادِ الأوائلِ بلا جدال ، مما يدعونا الى التخفيفِ من أثر (الرومانتيكية الأوربية) فى قَصَصِنَا التاريخيِّ الحديث ، مع اعترافنا بما كان لها من أثرٍ مُنَشِّطٍ لهذا اللونِ من القَصَصِ كما أَسْلَفْنَا .

٥ ـ ودَخَلَ كبارُ أدباءِ عصْرِنا الحديث (مَيْدانَ القِصَّة)، ومن أظهر ما عالجوه ـ القصةُ الاجتماعيةُ ـ التى تُصَوِّرُ حياةَ المجتمعِ المصرىِّ فى رِيفِهِ وحَضَرِه ، كقصة (زينب) للدكتور (محمدٍ حُسَيْنٍ هَيْكل) وقصـة (سَارَة) للعقاد وقصتىْ (شجرةِ البؤْس) و (دُعَاءِ الكروان) لطه حُسَيْن (١) .

(١) ولطه حسين أيضا قصصٌ مستوحًى من التاريخ الإسلامى كقصة (الوعدِ الحق) و (على هامش السّيرة) وآخرُ مستوحًى من الأساطير القديمة كقصة (أحلامِ شهرزاد) .

وعالجوا أيضا (التَّرْجَمَةَ الذَّاتِيَّة) (★) كقصة (الأَيَّام) لطه حُسَيْن و(حَيَاتِي) لأَحْمَدَ أَمِين، و(هذه حَيَاتي) لعبد الحميد السَّحار، ~~و(الحمد لله هذه حياتي) للإمام (عبد الحليم محمود) و(مع الدكتور شوقي ضيف)~~

٦ — وعالجَ الأديبُ الإسلاميُّ الكبيرُ (مصطفى صادق الرافعي) لوْنًا طريفًا من القَصَصِ القَصِير كان ينْشُرُهُ في (مجلة الرسالة) ثم ضَمَّهُ إلى موضوعاتِ كتابه (وَحْيِ القَلَم) اسْتَمَدَّ موْضوعَاتِ أغلبِه من التاريخ الإسلامي ، يلتقط منه شرائحَ صغيرة أو من أخبار الصالحين من سلفِ هذه الأمة وعلمائها العاملين ورقائقِ أحوالهم يأخذ منها النادرة القصيرة ثم لا يزال بهذه الشريحة الصغيرة والنادرة المحدودة يسلّط عليها الضوء ، ويُضْفِي عليها من روحِهِ المؤمنة ، ويضيف إليها من تفسيراته المُلْهَمَة ، وينمّيها بتأملاته العميقة ، حتى يصيرَ الخبر الصغير قصةً تملأُ القلبَ بهجة وإعجابا، والنفسَ طُهْرًا وإيمانًا والروحَ سُمُوًّا وإشْرَاقًا ، فَمِمَّا التقطه من التاريخ الإسلامي (اليمامتان) و (أمراءُ للبيع) و (قصةُ زواج وفلسفةُ المهْر) و (الأسدُ) و (سموُّ الحبّ) ومما استوحَاه من أخبار الصالحين : قصة (السَّمكة) و (قُبْحٌ جميلٌ) و (رؤْيا في السماء) ، و(زوجةُ إمام) و (بنتُهُ الصغيرةُ) وغيرها .

وبعضُ هذا القصص استوْحَى مَوْضوعاتِهِ من مشاهداته في الحياة العصرية ومن تجاربه الشخصية مثل (الطفولتان) و (أحلامٌ في الشارع)، (أحلامٌ في قَصْر) و (بنتُ الباشا) و (عربةُ اللُّقَطَاء) .. الخ (١)

★ وهي التي يَحْكِي فيها الأديبُ عَنْ حياتِهِ الخاصَّة ، ويُتَرْجِمُ لِنَفْسِهِ .

---

(١) راجع (وحي القلم) للرافعي بأجزائه الثلاثة ط دار المعارف ١٩٧٢م وراجع أيضا (قصص إسلامية من وحي القلم) اختيار (محمد سعيد العريان) مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٦م .

بيد أنه مطبوعٌ كذلك بالطابع الإسلامي ، عامرٌ بالمغزى الجميل والتوجيه الاجتماعيّ والأخلاقيّ الرفيع الذى عُرِف به الرافعيُّ فى أدبه بعامَّة .

٧ ــ وظهرَ من أدبائنا المحدَثين من قصروا أدبهم على (القصة) و (المسرحية) فى طليعتهم (توفيقُ الحكيم) ومن قصصه (يومياتُ نائبٍ فى الأرياف) و (عصفورٌ من الشرق) و (عودة الروح) و (الرباطُ المقدَّس) .

(ومحمودُ تيمور) ومن قصصه : (نداءُ المجهول) و (فرعونُ الصغيرُ) و (شفاهٌ غليظة) و (أبو الهول يطير) و (عطرٌ ودُخَان) .

ومنهم (علىٌّ أحمدُ باكثير) الذى عُرِفَ بغزارة نتاجِهِ القصصيِّ (والمسرحى) وقد غلب عليه الاتجاهُ الوطنىُّ والاسلامىُّ ، ومِنْ قصصِهِ (وا إسلاماهُ) التى سبقتْ الإشارةُ إليها ــ (وسلَّامةُ القسّ) (وسيرةُ شُجاعٍ) و (ليلةُ النَّهر) .

ومنهم (عبدُ الحميدِ جَوْدَةُ السَّحَّارُ) الذى يشبه سابقه فى غزارة الإنتاج ، والاتجاهاتِ الوطنيةِ والإسلامية الغالبة ، ومن قصصه الطويل : (أحمس) و (بلالٌ مؤذنُ الرسول) (فى قافلةِ الزمانِ) و (أميرةُ قُرْطُبَةَ) وحياةُ الحُسَيْنِ و (النِّقابُ الأزرقُ) و (الشارعُ الجديدُ) و (المستنقعُ) ومن مجموعاته فى القصة القصيرة : (صَدَى السِّنين) و (همزاتُ الشياطين) و (أرملةٌ من فلسطين) ومنهم (محمد سعيد العريان) وله قِصَصٌ قصيرة تهذيبيةٌ كثيرة للأطفال منها (مِنْ حَوْلنا) وروايات طويلةٌ منها (شَجَرةُ الدُّرّ) ، (على باب زويلة) ولقد حافظتْ هذه المجموعة من القَصَّاصينَ وَمَنْ سبقَهُمْ مِنَ الرُّوَّادِ

ممن أشرنا إليهم على المستوى اللائق بالقصة كفن أدبي رفيع ، سواء في الصياغة والشكل أم في المضمون والفكر .

ومع أن (توفيق الحكيم) في الأعم الأغلب من قصصه الطويل والقصير — قد حافظ على هذا النهج ، وعلى اتخاذ (الفصحى) أسلوبا لقصصه إلا أنه تساهل في بعضها بادخال (العامية) في أسلوبها(٢) .

فكان هذا التساهل بادرة سيئة احتذاها (جيل جاء بعده)(★) من محترفي القصة المتفرغين لها فطغت (العامية) في قصصهم على (الفصحى) حتى أزهقتها وانحطت بذلك قصصهم من ناحية الشكل ، ولم يقفوا عند ذلك بل هبطوا وأسفوا في (المضمون) باستعمال العبارات المكشوفة والمعاني الصريحة المثيرة للغرائز مجاراة للمذهبين الطبيعي والوجودي(٣) فخرج قصصهم بذلك عن دائرة الأدب الحق ، وأصبح ذلك القصص المنحل مصدر بلاء كبير وشر مستطير لاسيما وكثير منه يؤخذ مادة للتمثيليات والمسرحيات (والأفلام التلفازية والسينمائية) ، فيحطم القيم ويجني على اللغة والأدب . وهنا نقول :

إنه كما تستنكر الفطرة السليمة مشي الإنسان عاريا في الشوارع والميادين العامة ، فإنها تستنكر كذلك الأدب المكشوف العاري وتفرمينه ، وكما تستقبح الطبائع الصحيحة ممارسة الانحلال والدعارة فعلا ، فإنها تستقبح أيضا كل ما يدعو إليهما ، ويغري بهما من وصف وتزيين . وما دام (الأدب فنا جميلا) ، فليس بجميل منه ما ينتج عنه قبح أو يشيع بشعور اشمئزاز أو استهجان ، وما نأى عن هذا المسلك فهو الأدب الحق ، والفن الجميل بصدق .

(٢) كما في قصة (عودة الروح) المطبعة النموذجية بالقاهرة

(٣) مذهبان أوربيان حديثان .

(★) من أمثال (يوسف إدريس) و (إحسان عبد القدوس) و (نجيب محفوظ) .

المسْرَحِيَة النثرِيَة وَأعلامها فِى العصْرِ الحَديث

وقد واكبت (المسرحيّة النثريّة) أختها (الشعرية) في الظهور والانتشار في العصر الحديث (*) ونود أن نوجز الكلام عنها فنقول: مرت المسرحية النثرية منذ ظهورها بمرحلتين هما:

أ - مرحلة البواكير: وفيها ظهرت مسرحيات أهمها:

١ - مسرحيتان للأديب الوطنيّ السيد (عبدالله النديم) هما (العرب) و(الوطن) حوالي عام ١٨٨٠ م وقد مُثلتا في (الاسكندرية) على أيدي طلاب مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان (النديم) ناظرًا لها.

٢ - ألف الشيخ (أبو خليل القباني) السوريّ مسرحيات مثّلها في (دمشق) و(القاهرة) ما بين عامي ١٨٨٠ م و١٨٨٥ م مقتبسة من قصص (ألف ليلة وليلة).

٣ - ألف الكاتب المصريّ (إبراهيم رمزي) ومولده ١٨٧٤ م ووفاته ١٩٤٩ م مسرحيات نثرية منها (المعتمد بن عبّاد) الأندلسي) — و(أبطال المنصورة).

٤ - ألف الزعيم الوطنيّ (مصطفى كامل) في شبابه الباكر مسرحيته الوحيدة (فتح الأندلس).

ب - مرحلة النضج: وحفلت بكثير من مسرحيات أشهرها:

أ - ألف الكاتب المصريّ (عبّاس علّام) مسرحيته (عبدالرحمن الناصر) ثم جاء أشهر من ألف للمسرحية النثرية (توفيق الحكيم) بمسرحيته (أهل الكهف) عام ١٩٣٥ م ذات الاتجاه الذهنيّ والفلسفي والتي ابتعد فها كثيرًا عن مفهوم قصة

(*) راجع نشأة (المسرحية الشعرية) ص ١٩٧ - ٢٠٣ من هذا الكتاب.

أَصْحَاب الكَهْف فى(القرآن الكريم)٠ وألف بعدهـــا مســـرحيات كثيرة منها (سليمانُ الحكيمُ) ـــ (سِرُّ شهرزاد) ومســـرحياتٌ عن أصلٍ يونانى مثل (بيجمـــاليون) و(الملـــكِ أوديـــب) عَـدَا عشراتِ المسرحيات القصيرةِ ما بين سياسيةٍ واجْتماعية ٠

ثم جاءَ بعدَهُ الكاتبُ المسرحيُّ النثرىُّ (محمودُ تَيْمُور) وله مسرحياتٌ (عنترَو عبلةَ) و(حوَّاء الخالدة) و(اليومَ خمرٌ) عن حياة (امْرِئِ القَيْسِ) و(صَقْرُ قريـــشٍ) عـــنْ (عبدِالرحمـــنِ الداخِلِ) و(ابنِ جَلا) عن (الحجاج الثقفى) وواكبَ هؤلاء (علىٌّ أحمدُ بَاكثير) الذى مَرَّ فى(المسرحيات الشعرية)فألفَ مسرحياتٍ نَثْرِيَّةً ومِنْ أشهرِ مسرحياته النثرية (إِخْناتُونُ) و(فَارِسُ الْبَلْقَاءِ) عن(موقعةِ القادِسِيَّة) (ودارُ بنِ لُقْمَانَ) ومسرحيَّةُ (عُمَرَ المُخْتـــار) و(استقلالُ أندونسيا) ٠ ومِنْ مسرحياته السياسية التى حَارَبَ بها الاستعمارَ والصَّهيونية (مِسْمَارُ جُحَـــا) و(امبراطوريـــةٌ فـــى المزَادِ) و(شَيْلُوكُ الجَدِيد) ـــ وَ(إلهُ إِسْرَائيل) ٠

وَمِنْ مَسْرَحِيَّاتِهِ الاجْتماعيةِ (الدكتورُ حَازِمٍ) ـــ (السِّلْسِـــلَةُ والغُفْرَانُ) وعلى الجملة :(فَلِعَلِيٍّ باكثير) أكْـــثَرُ مِـــنْ(خمســـين مسرحية)منوعة ما بين سياسيةٍ واجتماعيةٍ وتاريخية ٠

وظَهَرَ فى الأزهر فى الخمسينيَّاتِ من هذا القـــرنِ أديبـــانِ فاضِلانِ هما " الشيخ (كاملُ عجـــلانُ) بمســـرحيتِهِ (ســـلطانِ العلماءِ) و(غَادَةُ الهَوْدَجِ) التى صوَّر فى أولاهما حَيَـــاةَ الشيـــخ الجليلِ (عِزِّ الدين بنِ عبدِالسَّلام) أعظمِ علماءِ الإســـلام فـــى أواخرِ (العصرِ الأيوبى) وأوائلِ (العصْرِ المملوكـــىِّ) والَّتى كانتْ تَهابُهُ المُلُوكُ والسَّلاطِينُ ٠ كمَا صَوَّرَ انْتِصَارَ المســـلمِين على التتارِ فى موْقعةِ(عَيْنِ جَالوت)٠

والدكتورُ(أَحْمَدُ الشَّرَبَاصِىُّ) وَلَه نِتَاجٌ غزيرٌ يتّسِمُ بالطابع الإسْلامِىِّ منه (مَوْلِدُ الهُدَى) ـــ و(مَشْرِقُ النـــورِ) ـــ (أَبُـــو

حَازِم) ــ (الحَجَّاجُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْر) وفى عَــام ١٣٧٨ هــ
الموافق لـ ١٩٥٨ م ألَفَ صاحبُ هَذا الكتابِ مَسْــرحِيَّتَهُ النثريّــة الأولى
(إِسْلامَ النَّجَاشِىّ) التَّارِيخِيَّة فى خَمْسَةِ فُصُولٍ ، وقد مَثَّلَهَا طلابُ
(كليةِ اللغة العربية بالزقازيق) عام ١٤٠٣هــ ــ ١٩٨٣ م أىْ بَعْدَ
تَأْليفِهَا بِرُبْعِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمان .

تتمة في أدب المهجر في العصر الحديث

أولا : تعريف عام بأدباء المهجر :

هم مجموعة من أدباء بلاد الشام معظمهم من إقليم (لبنان) وأغلبهم في سن الشباب وأكثرهم إن لم يكن جميعهم من (المسيحيين) هاجروا من بلادهم ووطنهم العربي إلى القارتين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية لأسباب سنوضحها فيما بعد وذلك في أواخر القرن (التاسع عشر الميلادي) بقصد الإقامة الدائمة أو المؤقتة وهناك لم يذوبوا في المجتمع الجديد ولم ينسوا ماضيهم الأصيل، ولم يفقدوا هويتهم ولم يفرطوا في لغتهم الحبيبة ولم يتخلوا عن عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الرفيعة ولم يقطعوا صلاتهم الحميمة بوطنهم وبلادهم الأم الأصلية وأهليهم وإخوانهم بل رفعوا راية الوفاء وظلوا على صلة وثيقة بكل هؤلاء يزورونهم إن استطاعوا ويراسلونهم دائما كما راسلو المنتديات الأدبية والصحف والمجلات في البلاد العربية وشاركوا في حياتها الأدبية ثم كونوا في المهجر جمعيات ثقافية وهيئات فكرية واجتماعية تلم شتات جهودهم وتنظم أنشطتهم وأسهموا بجهودهم في نهضة الأدب الحديث بما أصدروا هناك من دواوين شعرية وكتب نقدية ومقالات إصلاحية ودعوات تجديديه حتى صار لهم في الأدب الحديث مكان مرموق وطابع ملحوظ وسجل مشرف ونتاج غزير جدير بالدراسة والتقدير ٠

جمعياتهم الأدبية :

أ ــ أشهرها (الرابطة القلمية) التي أسسها (جبران خليل جبران) في مدينة (نيويورك) بأمريكا الشمالية ومعه (ميخائيل نعيمة) و(إيليا أبو ماضي) و(نسيب عريضة) ،(أمين الريحاني) و(رشيد أيوب)وغيرهم ٠ ولهم جريدة تنطق باسم الرابطة اسمها (السائح) يرأس تحريرها (عبدالمسيح حداد) وكان تأسيس (هذه الرابطة عام ١٩١٢ م) واستمرت حتى عام ١٩٣١م حيث انفرط عقدها بوفاة زعيمها (جبران خليل) وتفرق

الباقين، وقدْ أعلنتْ الرابطةُ القلميةُ أهدافَها فى الدستُور الذى وضعتْه لنفسِها وهو: العملُ على "بثّ روحٍ نشيطةٍ فى جسْمِ الأدبِ العربىِّ وانتشالِهِ من وَهْدةِ الخُمولِ الذى يُفنيهِ والتقليدِ الذى لا يغنيه الخ .

كانت الرابطةُ إذنْ تنادى بالثورةِ على التقليدِ والجمودِ وتدْعُو إلى الانطلاقِ والتجديدِ وإحياءِ مَجْدِ الشعرِ العربىِّ السالفِ فالتقليد يُلْغى شخصيةَ الشاعرِ ويجْعلُهُ تابعاً لمن قلّده ويؤدّى إلى جموده وخمودِ موهبتِه والتجديدُ والانطلاقُ يدعوانه للبحث عن موضوعاتٍ جديدةٍ لشعرِهِ والتحليقِ إلى آفاقٍ فسيحةٍ لأفكاره وخيالِه مع واقعيةٍ تتبنّى مشكلاتِ العصرِ ومطالبِ الحياةِ والإنسانِ وقضايا الوطنِ والعروبة .

ولقد جمَعتْ هذه المدرسةُ بين (الرومانسية) و(الواقعية) وبين الاتجاهات (الفلسفية) و(الصوفية) و(التأملية) و(الرمزية) .

ب – **العصبة الأندلسية :**

كانت (الرابطةُ القلمية) ممثلةً للأدباءِ الذين اتّجهُوا فى هجرتِهم إلى (أمريكا الشمالية) حيث نزلوا فى الولاياتِ المتحدة أما العُصْبَةُ الأندلسية فقد مَثّلت الفريقَ الآخرَ الذى اتجهَ فى هجرته إلى (أمريكا الجنوبية) حيثُ استقرُّوا فى (البرازيلِ) وغيرها وتكونتْ العصبةُ الأندلسيةُ فى مدينةِ : (سَاوْبَاوْلو) فى البرازيل عام ١٩٣٣م على يد الأديب (شُكْرِ اللهِ الجَرّ) وصديقِهِ : (ميشالِ مَعْلوف) . ومِنْ أعضائِها (نصرُ سَمْعان) (حُسْنى غُراب) (يوسفُ غانِم) (حبيبُ مسعود)، ومِنْ أعظمِ شعرائها (رشيدُ سَليمُ الخورىّ) الملقبُ (بالشّاعِرِ القَرَوِىّ) ويمتازُ باتجاهاته الوطنيةِ والقوميةِ حتى لُقّبَ (بشاعِرِ القوميةِ العربية) وقد أصدرتْ العصبةُ صحيفةً تنطقُ باسْمِها وتدْعُو لأهْدافِها وسمّوْها (مَجلةَ العُصْبَة) واستمرّ صدورُ هذه المجلةِ حتى عام ١٩٥٣ م .

*أَهْدَافُ العُصْبَةِ الأَنْدَلسِيَّة :

وكانتْ كسابِقَتِها تدْعُو إلىَ التَّجْديدِ فى الشّعْـــرِ العربِــيِّ والنهوضِ به ولكنْ فى هدوءٍ وبلا ثورةٍ متوخيةً وَصْلَ المَاضِى بالحَاضِرِ فِى اعتدالٍ وتوسُّطٍ والمحافظةِ علىَ التراثِ القديمِ دُونَ جمودٍ أَوْ تَحَجُّرٍ عَليْه .

أُنموذجٌ مِنْ أَدبِ المَهْجَر
مِنْ قصيدةِ (فلسفةِ الحياة)
للشاعِرِ (إيليَّا أَبى مَاضِى)

المولودِ عام ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م
والمتوفى عام ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م

أيهذا الشَّاكِى وَمَابِكَ داءٌ
كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلاَ ؟
إِنَّ شَرَّ الجُنَاةِ فى الأَرْضِ نفسٌ
تتمنَّى قَبْلَ الرَّحِيلِ الرَّحِيــــلاَ
وَتَرَى الشَّوْكَ فى الوُرُودِ وَتَعْمَى
أَنْ تَرَى فَوْقَهَا النَّدَى إِكْلِيــــلاَ !
هُوَ عِبْءٌ على الحَيَاةِ ثَقِيــــلٌ
مَنْ يَظُنُّ الحياةَ عِبئاً ثَقِيـــــلاَ
والذى نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَـــــالٍ
لَا يَرَى فِى الوُجُودِ شَيْئاً جَمِيلا !
أَحْكَمُ الناسِ فى الحياة أُناسٌ
عَلَّلُوهَا فَأَحْسَنُوا التَّعْلِيــــــلا !
فَتَمَتَّعْ بالصُّبْحِ مادُمْتَ فِيـــهِ
لا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حتَّى يَــزُولاَ !

أدركت كنهها طيور الروابي
فمن العار أن تظل جهولا !

تتغنى والصقر قد ملك الجو
عليها والصائدون السبيلا !

تتغنى وقد رأت بعضها يؤخذ
حيًّا والبعض يقضي قتيلا !

تتغنى وعمرها بعض عام !
أفتبكي وقد تعيش طويلا ؟!

أيها المشتكي ومابك داء
كن جميلاً تر الوجود جميلا !!

التعريف بالشاعر :

(ترجمة موجزة) هو إيليا أبو ماضي الشاعر اللبناني المهجريّ المشهور ولد في بلدة (المحَيْدِثَة) بلبنان وفي سن (الحادية عشرة) جاء إلى مصر التماسا للرزق وعمل في مجال التجارة بمدينة (الإسكندرية) ومع ذلك كان شغوفا بالتعليم والثقافة وصاحب مَيْلٍ فِطْرِيٍّ للأدب فقرأ كثيرا واطلع وحفظ من الشعر القديم والحديث وفي السنة (الثانية والعشرين) من عمره هاجر إلى أمريكا الشمالية وانضمّ هناك إلى (الرابطة القلمية) وكان من أبرز أعضائها وأخذ يقول الشعرَ الرائعَ وينشرُه في الصُّحف وطَبَعَ أربعةَ دواوين هي: (تذكارُ الماضي) ٢- (ديوانُ أبي ماضي) ٣- (ديوانُ الخمائِلِ) ٤- (ديوانُ الجَداوِلِ) ويُعَدُّ إيليا أبوماضي من أعظمِ شعراء المهجر وأغزرهم نِتاجًا وأكثرِهم تفنُّنًا في الأغراضِ والمعاني وأجْمَلِهم صياغةً وأسلسهم أسلوبا وأعْمَقِهم تأمُّلاً وألطفِهم مَدْخَلاً إلى ما يُرِيدُ وأَسْرَعِهِمْ وُصولاً إلى فِكْرِ القارِئِ ووُجْدانِهِ وأقْدَرِهِمْ على إمْتاعِهِ وإقْناعِه .

التعليق على النص :

هذا أنموذج من شعر (إيليا أبوماضي) تظهرُ فيه خصائصُ شعرِه مِنْ سُهُولَةٍ فائقةٍ في اللفظِ والأسلوبِ ووضوح

تامٍّ فى المعنَى وعَرْضٍ شائقٍ للفِكْرةِ ، وإقناعٍ بالدليلِ المُبَسَّط ، مَعَ جَمالِ الصياغةِ وروعةِ الأداءِ ،وانسجامِ الموسيقا فالوزْنُ العروضىُّ مِنْ بَحْرِ (الخفيف) فاعلاتن مستفعلين فاعلاتن (مرتين) والقافيةُ لاميَّةٌ وحَرْفُ اللام من الحروفِ الرَّنَّانةِ المَجلجِلةِ ولكنَّ إشباعَهُ بالألِفِ جَعَلَ لَهُ جَرْسًا بديعًا سائغًا فى الأذن جَذاباً للسمْعِ كما تظهرُ فى النصِّ بعضُ خصائصِ شِعْرِ المهْجَرِ بعامَّةَ مِنَ العِنايةِ (بالطبيعة) وضرْبِ المثلِ بها ،واتخاذِها قُدْوةً يتعلمُ منها الإنسانُ ما ينقصُهُ مِنْ حِكْمَةٍ وسعادةَ ويتمثَّلُ هذا فى ذِكْرِ (الوردِ) و(الشوكِ) و(النَّدَى) و(الطيور) ... الخ .

أنموذج من الخطابة *

الزعيم الوطني مصطفى كامل[1]

من خطبة له :

أيها السادة . إنكم باجتماعكم اليومَ هذا الاجتماع الوطني ترفعون كثيرا من مقام الوطنية المصرية، وتخفِّفون من آلام مصر العزيزة التي قاست وتقاسي أشد العذاب على مشهد منكم يا أعز بنيها ويا نخبة أنجابها . فكل اجتماع وطني تذكر فيه مصر ويطالَب بحقوقها ويعلن أبناؤها إخلاصهم لها هو في الحقيقة مَرهَم لجراحها ودواء لدائها . فاذكروها ما استطعتم فان في ذكراها ذكرى آلامها، وذكرى الآلام تجر حتما الى ذكر عوامل الشفاء . اذكروها كما يذكر الولد الحنون أمه الشفيقة وهي على سرير المرض والعناء . اذكروها بآلامها وان كان غيرُكم يذكر بلاده بمجدها ورفعة شأنها . اذكروها فانكم ما دمتم مقدِّرين لمصائبها، عارفين بحقيقة آلامها، دام الأمل وطيـدا في سـلامتها ودام الرجاء . اذكروها فمن المسـتحيل أن يرى العاقلُ النارَ في داره، والداءَ في شخص أمه، ويهمل النار ويهمل الداء .

ثم قال : وهناك فئة من المصريين لا انكر إخلاص رجالها للوطن العزيز ولكن أنكر عليهم اليأس الذي يتظاهرون به في كل وقت وفي كل مكان . فهـم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملا نافعا، ولكنهم جعلوا اليأس علة عدم العمل وعلّة الكسل! فان سألتهم لم لا تقومون بعمل عمومي نافع للبلاد أجابوك " نحن يائسون من

(١) خطيب وسياسي مصري تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة، وانصرف الى مقاومة الاحتلال الانجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين احداهما بالفرنسية والأخرى بالانجليزية . وتنقل في بلدان أوروبا داعيا لمصر . وكان فصيحا مؤثرا في كتابته وخطابته مات شابا سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩٠٨ م) .

* مأخوذ من (المنتخب من أدب العرب) ج ٢ ط دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م

مستقبل الوطن، معتقدون بظلمة الأيام الآتية" فبالله كيف يستطيع طبيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل أن يفحص داءه ويعطيه الدواء ؟ على اننا نرى الكثير من الأطباء لا ييئس أبدا من شفاء المريض حتى فى آخر لحظة من حياته . فكيف ييئس رجال من بنى مصر من مستقبل البلاد ؟ ! وهم ان كانوا قد خبروا داء مصر، فيعلم الله ويعلم الناس انهم الى اليوم ما قدّموا لها الدواء !

كيف نيئس من المستقبل، والمستقبلُ بيد الله وحده، وكثيرا ما تأتى الحوادث بخلاف المنتظَر وبغير حساب ؟

هى النفوس الصغيرة التى يُخلق عندها الأمل بكلمة أو بتلغراف ! ثم يستولى عليها اليأس بكلمة أو بتلغراف ! أما النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الأمل ما دام الدمُ فى العروق وما دامت الحياة .

وأى حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس ؟ أيجمع المرء فى جسم واحد الموتَ والحياة ؟ إذ اليأس موت حقيقى وأى موت !

كيف نيأس ونحن جميعا عالمون بأن ما يظهر طويلا فى حياة الأفراد هو قصير فى حياة الشعوب، فعشرٌ من السنوات فى حياة الانسان طويلة حقا، ولكنها فى حياة الأمة قصيرة جدا؛ على انه اذا كان اليائسون معتقدين بصحة أفكارهم فعار عليهم أن يقوموا فى الأمة بوظيفة تثبيط هِمم الآملين . والآملون فى البلاد كثيرون؛ بل الأمة كلها مؤملة خيرا فى المستقبل . وان لم تظهر الى الآنَ أعمالُ الآملين فستظهر بعد قليل، وسترى الأمة المصرية وأمم العالم أجمع ان للوطن المصرى أبناء مخلصين يقدرون الوطنية قدرَها ويعرفون لمصر حقوقها .

ولا غرو فان سبل خدمة الوطن عديدة، وإن أهمها اعلان الحقيقة فى كل بلد وفى كل زمان . فالحرية بنت الحقيقة، وما انتشرت الحقيقة فى أمة إلا وارتفعت كلمتها، وعلا شأنها . فالحقيقة نور ساطع اذا انتشر اختفى الظلم والظلمة، وانتشرت الحرية والعدل . فكما أن الأفراد لا تُسلَب حقوقهم ولا يتعدى اللصوص على أمتعتهم إلا فى ظلام الليل الحالك — فكذلك شأن الأمم لا تُسلب حقوقُها ولا يتعدى العدو على أملاكها إلا اذا كانت الحقيقة مجهولة فيها، وكانت هى عائشة فى الجهل والظلام .

فيأيها المصريون المخلصون لمصر: انشروا الحقيقة فى أمتكم وفى الأمم الأخرى . قولوا للمصرى إنه انسان من بنى الانسان، له حقوق الانسان، تروه رجلا كرجال الأمم الحرة يحمل لواء الوطن بكل قوة وإقدام . قولوا للفلاح المصرى إنه خلق إنسانا ككل إنسان، وإن الله أعطاه فى الحياة حقوق أكبر الأفراد، وإن له صوتا لو رفعه سُمع فى الملأ الأعلى، وإنه ما خلق لأن يعمل لغيره بل ليعمل لوطنه ولنفسه، تروه عندئذ أشد الناس دفاعا عن حقوق الأمة والوطن . قولوا للأمة المصرية إنها أمة كسائر الأمم، من أقدس حقوقها أن تحكم نفسها بنفسها، وأن لا تنفذ رغائب غيرها، وأن تكون فى بلادها علية الكلمة قوية السلطة، لا يردُّ لها رأى ولا يخالَف لها أمر: هنالك تجدون الأمة حية والشعب قويا، ولا ترون أولئك الذين يهزءون برغبة الشعب ورغبة نوابه، ويسخرون من رغائب الأمة ومن مطالبها .

لم لا يقوم كبراء مصر ووزراؤها السالفون بأمر تأسيس المدارس الأهلية وتربية الأمة ؟ لم لا يعقدون الشركات لهذه الغاية ويخصصون أيامهم الأخيرة لهذا

العمل الشريف ؟ رأينا عظيما منهم قام بمسئلة الاعانة العسكرية وأجهد نفسه فى هذا الأمر وله من الأمة والوطن جزيلُ الشكر والثناء، فلم لا نراه يقوم مع الكبراء الآخرين بمسئلة إعانة عمومية لتأسيس مدارسَ أهلية، والبلاد فى أشد حاجة اليها؟ يأيها الكبراء ويأيها العظماء ! ويأيها الأغنياء ! ما الفخار بالرتب والألقاب، ولا بسكنى القصور العالية، والتحدث بما كان وما ربما سيكون . بل الفخار كل الفخار فى العمل آناء الليل وأطراف النهار لخدمة البلاد وإعلاء شأنها . فما الحياة بأيام تمر وسنين تكر؛ بل بالعمل وبالخدمة الوطنية .

ليس الحياةُ بانفاسٍ نرددها ان الحياة حياةُ الفكر والعمل

اتركوا الأبناء معشر الآباء فى الحياة الحرة . اتركوهم يخدموا الوطن ويخدموا أنفسهم فى غير دائرة الوظائف . اتركوهم أحرارًا غير مقيدين بقيود الرواتب . ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة، ويؤسسوا فى البلاد المعامل والمصانع، تزدادوا بذلك شرفا وفخرا، وتزدادوا أمام الله وأمام الوطن مثوبة وأجرا .

وإلا فان أُهملتْ تربية الأمة وبقى الكبراء منعكفين فى إدارة شؤونهم الخاصة، واستمر الآباء يُلقون بالأبناء الى مهاوى التوظف فى الوظائف، وبقيت التجارة والصناعة فى كساد، ودامت الأمة فى حاجة الى استجلاب لوازمها الضرورية من غير بلادها — دام الانحطاط ودام التأخر ودام الخطر .

التعليق علي الخطبة:

١- تمتاز (بالطول) وهو أمر مناسب في مثل هذه المواقف الوطنية حيث كان قائلها زعيما وطنيا يستنهض الهمم، وينشر الوعي بين طبقات أمة، وينفخ فيها من روح العزة والكرامة والأمل ويحذرها من الإخلاد إلي اليأس والكسل.

٢- وتمتاز الخطبة كذلك بالفصاحة وسهولة الأسلوب، وعدم الالتفات إلي المحسنات البديعية ولاسيما (السجع) الذي كان فاشيا في ذلك الوقت.

٣- وتمتاز بالروح العالية، وصدق العاطفة، والإيمان العميق بكل كلمة قالها الخطيب.

٤- وبجمال التمثيل، وقوة الحجة ونصاعة الدليل.

٥- وبالأساليب الإنشائية الغالبة عليها ولا سيما الأساليب (الاستفهامية) وأسلوب (الأمر) المراد به الحث والتحضيض علي كل ما من شأنه رفعة الوطن، وانتشاله من ربقة الاحتلال الإنجليزي البغيض.

وبهذا يعد (مصطفي كامل) من أعظم الرواد في الخطابة وبخاصة (السياسية) والوطنية في العصر الحديث – كما كان من أنبلهم في حب الوطن والتضحية في سبيله بكل مرتخص وغال.

تعقيبات علي بعض مباحث الكتاب

أولا: في الرد علي بعض آراء (مدرسة الديوان) في نقد الشعر

هـم يرفضـون شـعر (المناسبات) ويضربون له مثالا بما قيل في غرض (الإخوانيات) ويرفضون شعر (المدح) لبنائه علي النفاق وخلوه من العاطفة ونسوق مـثالا قصـيدة الشاعر (حافظ إبراهيم) في (عمر بن الخطاب) المسماة (بالعمرية) وهي من شعر (المناسبات).

الشـاعر أعجب بعمر بن الخطاب وأحبه، فصور مشاهد من حياته تصويرا بديعا في إطار موسيقي جميل – فهل يعاب ذلك عليه ويرفض؟ أليس الشعر تعبيرا عن العاطفة كعاطفة الإعجاب وعاطفة الحب؟

وهـذا مـا شـعر به (حافظ) نحو (عمر بن الخطاب) شعورا حقيقيا صادقا ونسـوق مـثالا آخر هو الشاعر (أبو الطيب المتنبي) الذي أعجب بالأمير (سيف الدولـة الحمدانـي) وأحبه وصور بطولاته في قصائده المشهورة، فهل نرفض هذا الشـعر لأنه قيل في مناسبات غزوات (سيف الدولة) وجهاده ضد الروم المعتدين؟ ليس هذا منطقيا. أو لكونه في (المدح)؟ ليس هذا أيضا بمنطق.

الشـعر أيا كانت مناسبته إن كان تعبيرا صادقا نابعا من صحيح القلب منبعثا من العاطفة والوجدان، وكان تصويرا رائعا ممتزجا بالخيال المحلق واللمحات الفنية الأخـاذة وفي إطار من الوسيقا الشجية والأنغام العلوية فهو الشعر الجدير بالقبول والاستحسـان، وإن فقـد عنصرا من ذلك فليس بمقبول ولذلك يخرج من الشعر ما كـان مجـرد (نظم) خال من هذه العناصر أو ضعيف في مجملها كما يخرج منه باتفـاق الـنقاد – النظم التعليمي – في شتي الفنون، لارتكازه علي الحقائق العلمية وخُلُـوِّه من الخيال والعاطفة واقتصاره علي الإطار الموسيقي المنحصر غالبا في بحر (الرجز).

أما عن شعر (الإخوانيات) وهو غرض شعري اجتماعي فله مكانة في الأدب العربـــي علي امتداد عصوره – أليس منه قصائد فريدة من أروع ما قاله الشعراء كقصيدة (ابن الرومي) في عتاب صديقه (أبي القاسم الشطرنجي) ولم يرفضها أحد من النقاد قديما وحديثا وأمثال هذه القصيدة كثير لا يكاد يحصر.

(فالمناســبات) تزيد الشعر وضوحا وفهما، وتضعه في إطار واقعي جذاب، ولا يعنـــي ذلــك أن المناسـبة تقيّد الشعر وتكبّله بل إنها (المنطلق) فتأخذ المناسبة حقهـــا، وتتسع القصيدة إلي جانب ذلك لخواطر الشاعر وفلسفته وحِكَمِهِ وتجاربه، حتي يستوفي طاقته الشعورية والفكرية.

ثانيا: موازنة عامة بين أساليب ثلاثة من زعماء الفكر في العصر الحديث:

(طه حسين – عباس محمود العقاد – مصطفي صادق الرافعي)

١) يمـــتاز أسلوب (طه حسين) بالسُّهولة المطلقة والبعد عن التكلف، ويتعمد أحيانا تكـــرار التعبير عن المعني الواحد إلا أنه تكرار مستملح أكسب أسلوبه حلاوة وقـــبولا وهو متأثر في كل ذلك بأسلوب القرآن الكريم الذي حفظه منذ صغره ودارتْ حوله معظمُ دراستِهِ في مرحلتيْ الصبا والشباب بالأزهر الشريف وقبل ذهابه إلي أوروبا.

٢) (عـــباس محمود العقاد) يمتاز (بالعقلانية) الغالبة علي أسلوبه مما يستدعي من قارئـــه إعمال الفكر لفهم مرمي الكاتب، كما يمتاز بكثرة التحليل والتعليل وقوة المـــنطق وســـوْق البراهين وظهور أثر عُمْق ثقافته وسَعَةِ إطلاعه علي ذخائر التراث وآداب الأمم قديمها وحديثها ويشترك مع صاحبه (طه حسين) في البُعْد عـــن المحســـنات البديعـــية فـــي أسلوبيهما وإيثارهما الأسلوب المرسل السمح المُيَسَّر.

٣) (مصطفي صادق الرافعي) يمتاز بالعناية الفائقة (بالصياغة) إلي جانب اهتمامه الشـديد بالمعاني وعمقها مع الاحتفاظ (بالمحسنات والصور البيانية) لأنها في رأيه جوهر البلاغة ومحل القدرة الأدبية، وموضع التفاضل بين الأساليب.

وهـو مَعْنِـيٌّ ببسـط (الفكرة) وتقليبها علي أوجه شتي أغلبها فلسفي، ويمتاز بالسَّـبَحَاتِ الإيمانـية، والإيحاءات الروحية – نظرًا لنشأته الدينية المحافظة – ويمـتاز كذلـك بقوة (التذوق الفني) للأساليب العربية في القرآن الكريم والسنة النبوية وشعرِ المجيد ين من الشعراء الأقدمين، نتيجة تَبَحُّرِهِ في علوم العربية وتَتَـبُّعِهِ لأسرارها ودأَبِهِ عن كشف كنوزها، فهو متأثر بالتراث حريص عليه مدافع عنه بأقوي حجة وأجلي بيان.

٤) أمـا (العقـاد) فهـو كبير التأثر بما قرأ في الآداب الأوروبية الحديثة ولاسيما (الإنجليزية) وأما (طه حسين) -إلي ما سبق-فهو حَفِيٌّ بما استرْوَحَهُ من الثقافة الأوروبية الحديثة وما اطلع عليه من أساليب الأدب الفرنسي بوجه خاص عندما عاش في (فرنسا) مدة من الزمان دارسا وناقدا وموازِنا بين الآداب مع اعتزازه بـالأدب العربـي واللغـة العربية ويمثِّل كل من (طه حسين) و(العقاد) نزعة (التجديد) في الأدب العربي الحديث كما يمثل (الرافعي) زعامه (أنصار القديم) في ذلك الأدب، ولكلٍّ منهم أَتْبَاعُهُ وأنصارُهُ علي المذهب الذي ارتضاه، وأوقف جهده وحياته عليه.

الفهارس

١- فهرس المصادر والمراجع

م	الكتاب والمؤلف
١	آثار باحثة البادية – مجد الدين حفنى ناصف ط- دار القومية العربية ١٩٦٢م
٢	أدب العرب – إبراهيم بك العرب- المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٩ هـ ١٩١١م
٣	أدب إبراهيم رمزى – إبراهيم دردبرى- الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١هـ ١٩٧١م
٤	الأدب العربى المعاصر فى مصر – د/ شوقى ضيف – دار المعارف ١٩٨٨م
٥	الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى- محمد سيد كيلانى – دار الفرجانى بالقاهرة ١٩٦٥م
٦	إسلام هرقل (مسرحية) محمد عبدالمنعم محمد عبد الكريم ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م
٧	إسماعيل صبرى – د/ شوقى ضيف – دار المعارف١٩٨٨م
٨	الإسلامية والمذاهب الادبية – د/ نجيب الكيلانى – مكتبة النور طرابلس ليبيا ١٩٦٣م
٩	إعجام الأعلام – محمود مصطفى – ط القاهرة ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م
١٠	الأعلام – خير الدين الزركلى – ط دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٠م
١١	البارودى رائد الشعر الحديث – د/ شوقى ضيف – دار المعارف ١٩٨١م
١٢	بناة النهضة العربية – جرجى زيدان – دار الهلال بالقاهرة
١٣	تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان – دار الهلال بالقاهرة
١٤	حديث عيسى بن هشام – محمد المويلحى – دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٩م
١٥	حلية الزمن بمناقب خادم الوطن (رفاعة الطهطاوى) – السيد صالح مجدى ط مصطفى الحلبى القاهرة ١٩٥٨م
١٦	حياة الرافعى – محمد سعيد العريان – التجارية الكبرى بالقاهرة ١٩٤٣م
١٧	دائرة معارف الشعب (التواريخ الهجرية وما يقابلها من التواريخ الميلادية) ط دار الشعب بالقاهرة – حوالى عام ١٩٦٠م
١٨	خزانة الادب – عبدالقادر البغدادى – م الخانجى بالقاهرة
١٩	دراسات فى الادب والنقد – د/ محمد عبدالمنعم خفاجى – ط المحمدية ١٩٥٦م
٢٠	ديوان البارودى – دار المعارف بالقاهرة ١٣٩١هـ ١٩٧١م
٢١	ديوان حافظ ابراهيم – ط دار الكتب المصرية ١٩٦٣م
٢٢	ديوان رفاعة الطهطاوى- دار المعارف بمصر ١٩٨٤م
٢٣	ديوان الشوقيات – أحمد شوقى- مطبعة مصر.
٢٤	ديوان مجد الإسلام – أحمد محرم – م الفلاح بالكويت.

٢٥	ديوان وحى الأربعين – عباس محمود العقاد م مصر ١٩٣٣م.
٢٦	رسالة التوحيد – الأستاذ الأمام محمد عبده – دار المنار بمصر ١٣٧٢هـ
٢٧	شعراء الوطنية فى مصر – عبد الرحمن الرافعى – دار المعارف ١٩٩٢م.
٢٨	شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى – عباس العقاد – نهضة مصر ١٩٦٣م.
٢٩	شوقى: شعره الإسلامى د/ ماهر محمد حسن دار المعارف ١٩٥٩م.
٣٠	شيخ أدباء مصر سيد بن على المرصفى- سيف النصر الطلخاوى ط السعادة بمصر ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م
٣١	صهاريج اللؤلؤ- محمد توفيق البكرى ط محمود حجاج ١٣١٩هـ ١٩٠١م.
٣٢	صور استشراقية د/ عبد الجليل شلبى- دار الشروق ١٤٠١هـ
٣٣	عجائب الآثار فى التراجم الأخبار – عبد الرحمن الجبرتى دار الجيل – بيروت ١٩٧٨م.
٣٤	على بك الكبير (مسرحية) – أحمد شوقى- القاهرة ١٩٣٢م.
٣٥	قصص إسلامية- خالد الجرنوسى- م الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.
٣٦	قصص إسلامية – مصطفى صادق الرافعى ط الإستقامة ١٩٥٦م.
٣٧	ليالى سطيح- حافظ إبراهيم- دار الهلال ١٩٥٩م.
٣٨	محمود سامى البارودى – عمر الدسوقى- دار المعارف ١٩٨١م.
٣٩	المروءة المقنعة (مسرحية) محمود غنيم- دار الكتاب العربى ب ت.
٤٠	المسرحية الإسلامية فى العصر الحديث (رسالة دكتوراه) محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم (العربى) ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
٤١	ملوك وصعاليك – صالح جودت – ط النهضة المصرية ١٩٥٨م.
٤٢	المفصل فى تاريخ الأدب العربى- أحمد الإسكندرى وآخرون- مطبعة مصر ١٣٥٢- ١٩٣٤م.
٤٣	نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب- أحمد المقرى المغربى ط عيسى الحلبى- القاهرة ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م.
٤٤	المنتخب من أدب العرب- طه حسين وآخرون ط دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٠- ١٩٣١م.
٤٥	من قضايا النقد الأدبى فى القديم والحديث – د/ محمد عبد المنعم العربى – مطبعة الأمانة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٤٦	نهج البلاغة للشريف الرضى بشرح الإمام محمد عبده ط الاستقامة ب ت.
٤٧	النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين د/ محمد رجب البيومى ط مطابع الأزهر (مجمع البحوث الإسلامية) ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٤٨	نور الدين محمود – د/ حسين مؤنس – الشركة العربية مطبعة مصر القاهرة ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م.
٤٩	وا إسلاماه- على أحمد باكثير.
٥٠	وحى القلم – مصطفى صادق الرافعى- دار المعارف ١٩٧٢م.
٥١	ولى الدين يكن – د/ محمد مندور – ط نهضة مصر بالفجالة – القاهرة ١٩٥٥م.

٢- فهرس الموضوعات



للمؤلـــف

أ- سلسلة تاريخ الأدب العربي: (ست حلقات)

١- العصر الجاهلي ٢- صدر الإسلام ٣- العصر الأموي

٤- العصر العباسي ٥- الأدب الأندلسي ٦- العصر الحديث

ب- في النقد والتراجم:

١- من قضايا النقد الأدبي في القديم والحديث.

٢- شاعر يرثي نفسه: مالك بن الريب التميمي.

٣- الطغرائي - حياته - لاميته المشهورة (لامية العجم).

جـ- في الإبداع الأدبي:

١- ديوان الومضات.

٢- مسرحية هرقل عظيم الروم شعريه طويلة.

٣- مسرحية النجاشي ملك الحبشة نثرية طويلة.

٤- مسرحية جوار الله نثرية قصيرة.

٥- مسرحية الأبطال (للمسرح المدرسي) شعرية قصيرة.

د- في البحوث:

العَلْمانية منشؤها ومفهومها وموقف الإسلام منها.

هـ- تحت الطبع:

١- ديوان اللمحات.

٢- المسرح الإسلامي والمسرحية الإسلامية (تاريخا).

٣- من أدب المسرح الإسلامي (عرض وتحليل ونقد).

٤- مسرحية الخنساء نثرية طويلة.